جامعـــة النيـــلين
كلية الدراســات العليا
قســم اللغة العربية

صورة البطل في الشعر الجاهلي

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الدراسات الأدبية والنقدية

إعداد الطالب
جميل سليم عبد المهدي السعود

إشراف الدكتور
الحسن الفضل علي

١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى

﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾

صدق الله العظيم

الإهداء

إلى روح **والدي** الطاهرة في مثواه الأخير، الذي غرس فيَّ حـــب الجد والاجتهاد والمثابرة، والاعتماد على النفس.

إلى **والدتي** التي كانت وما تزال خير مثال للبذل والعطاء، فـأنتجت بذرة صالحة، وغرسة نافعة، فرضعت منها لبان العمل الدؤوب.

إلى بناتي: **آلاء وإقبال وديمه** اللواتي أرجو أن يسرن على نـــهجي العلمي المتواضع الذي يتسم بالبحث والصبر والأناة.

إلى روح أستاذي الكبير **الأستاذ الدكتور محمد عثمـان علـي** تغمَّده الله بواسع رحمته، وأسكنه فسيح جناته، وألهم ذويه الصبر والسلوان.

شكر وتقدير

بالشكر والامتنان وأحرِّ العزاء، أتقدَّم إلى أسرة الفقيد المرحوم بإذنه تعالى أستاذي المشرف الدكتور محمد عثمان علي - تغمده الله برحمته - الذي كان يغمرني بلطفه وعطائه، ويقيل عثراتي ويسدِّد خطاي بملاحظاته، حتى عندما كان يرقد على فراش المرض. كما أتقدم بأحرِّ التعازي إلى أسرة الجامعة.

وبالشكر والعرفان أتقدَّم إلى أستاذي المشرف الدكتور الحسن الفضل علي، الذي قبل طائعاً بأريحيَّة وصدر رحب أن يشرف على رسالتي على الرُّغم من المشقَّة والعناء، لأنهل من معينه الذي لا ينضب، وأقطف من جناه، وأسلك طريقه، وأقتفي إثره وخطاه. مكرِّراً شكري له على ما بذله من جهد دؤوب، وتحرٍّ دقيق، توخِّياً للحقيقة والأمانة العلميَّة، ورفد هذا البحث بحسن التقويم والتوجيه. مؤكِّداً بأنني سأقتصُّ آثاره، وأقتفي آراءه.

والله ولي التوفيق

الطالب

جميل سليم عبد المهدي السعود

٢٠٠٠م

(أ) أهمية البحث وأسباب اختياره:

١. أهمية البطل في حياة العرب في الجاهلية.
٢. إبراز سمات البطولة التي ينبغي توفرها في البطل الجاهلي.
٣. دراسة ظاهرة البطولة في العصر الجاهلي من خلال نماذج شعرية.
٤. الكشف عن بعض جوانب البطولة في العصر الجاهلي، وتجليتها للقارئ تفصيلاً وإيضاحاً.
٥. إثراء المكتبة العربية بمزيد من نتاج التراث العربي.
٦. الحصيلة العلمية التي سيخرج بها الباحث من خلال اتصاله بمصادر البحث ومراجعه.

(ب) منهج البحث:

١. اعتماد المنهجين الوصفي والاستقرائي في البحث.
٢. الاعتماد على الدواوين والمجاميع الشعرية، لإبراز صور البطولة وأشكالها في العصر الجاهلي.
٣. الرجوع إلى المعاجم اللغوية لتوضيح معاني المفردات والألفاظ والمصطلحات، والإبانة عن غامضها ومكنونها.
٤. الترجمة بإيجاز لمن تقتضي طبيعة البحث ترجمته والتعريف به.
٥. الأمانة العلمية في نقل المعلومات من مظانها.
٦. الفهرسة التفصيلية للبحث، ثم ذكر مصادر ومراجع البحث التي اعتمدت وتم الرجوع إليها.

(ت) خطة البحث :

يتألف البحث من مقدمة وستة فصول وخاتمة وثبت بمصادر البحث ومراجعه وفهرسة تفصيلية لموضوعات البحث على النحو التالي :

الفصل الأول: مؤثرات البطولة عند العرب ، ويتكون من أربعة مباحث :

أولاً : أيام العرب في الجاهلية

ثانياً : طبيعة الحياة العربية الداعية إلى الحرب

١- مدلول كلمة يوم .

٢ - أشهر أيام العرب في الجاهلية

٣- بواعث الحرب في الجاهلية .

ثالثاً : العرب أمة حرب .

رابعاً : الحرب وعدتها.

الفصل الثاني : البطل والبطولة ، ويتكون من ستة مباحث :

أولاً : البطل في اللغة .

ثانياً : مكانة البطل وقدسيته .

ثالثاً : سمات البطل .

رابعاً : أنواع البطولة :

١- البطولات الحربية .

٢- بطولة النفس .

٣- البطولة الفردية .

٤- بطل السلام .

خامساً : دوافع البطولة :

١- الطبيعة الصحراوية .

٢- المرأة .

٣- الحرب .

سادساً: البطل في الشعر .

الفصل الثالث : مظاهر البطولة عند العرب ، ويتكون من ثلاثة مباحث :

أولاً : الفخر والحماسة :

١- الفخر .

ثالثاً : سمات البطل .

رابعاً : أنواع البطولة :

١- البطولات الحربية .

٢- بطولة النفس .

٣- البطولة الفردية .

٤- بطل السلام .

خامساً : دوافع البطولة :

١- الطبيعة الصحراوية .

٢- المرأة .

٣- الحرب .

سادساً: البطل في الشعر .

الفصل الثالث : مظاهر البطولة عند العرب ، ويتكون من ثلاثة مباحث :

أولاً : الفخر والحماسة :

١- الفخر .

٢- الحماسة .

ثانياً : الفروسية :

١- معنى الفروسية .

ثالثاً : الفتوّة :

١- الفتوة في معاجم .

٢- الفتوة في الجاهلية .

٣- معاني الفتوة في النصوص الجاهلية .

الفصل الرابع : شعر الفروسية في الجاهلية ، ويتكون من مبحثين :

أولاً : الفروسية والفرسان .

ثانياً : نماذج من الشعراء والفرسان

١- المهلهل بن ربيعة .

أ- أغراض شعره .

٢- عنترة بن شداد .

أ- نسبه وكنيته .

ب- منزلته الشعرية .

ج- شجاعته وبطولاته وبلاؤه في القتال.

د- أغراض شعره وآثاره .

هـ- موضوعات شعره :

(١) البطولة الحربية ووصف المعارك والأسلحة .

(٢) الغزل .

و- سمات معلقة عنترة .

٣- عمرو بن كلثوم :

أ- نسبه وكنيته .

ب- منزلته الشعرية .

ج- أغراض معلقته.

د- شعره .

الفصل الخامس : نماذج من الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي .

١- الشنفرى .

أ- اسمه ونسبه ونشأته .

ب- وفاته .

ج- نماذج من شعره .

٢- عروة بن الورد :

أ- نسبه وأخباره .

ب- مكانته وشرفه وأقوال الثناء فيه .

ج- نماذج من شعره .

٣- تأبط شراً :

أ- اسمه ونسبه .

ب- صفاته .

ج- سمات البطولة عند تأبط شراً .

د- الصفات المذمومة والسيئة عند تأبط شراً .

الفصل السادس: دراسة في الخصائص الفنية ويتكون من خمسة مباحث:

أولاً : الشكل والبناء (وحدة الموضوع) :

١- المطلع .

٢- التخلص .

٣- الخاتمة .

ثانياً : اللغة الشعرية والأسلوب (الألفاظ والتراكيب والمعاني) .

ثالثاً : الأخيلة والصور الشعرية.

رابعاً : الأوزان والقوافي .

(و) الخاتـــــــــــــمة.

(ز) المصادر والمراجع.

(ح) فهرس المحتويات.

المقدمة

المقدمة

اخترت هذا الموضوع بحثاً لرسالتي في الماجستير كمحاولة لاستكشـــاف صـــورة البطل في الشعر الجاهلي.

وقد نشطت الدراسات حديثاً حول البطل والبطولة، وتناولت تلك الدراسات بعـــض الجوانب، ولكن هذا الجانب الذي حاولت دراسته الآن لم يتناوله باحث من قبل برغم ما له من أهمية في توضيح الصورة الحربية والأدبية للبطل في العصر الجاهلي.

وبذلك تكون دراسة هذه الزاوية لصورة البطل في الشعر الجاهلي اســتيفاءً لثغــرةٍ مازالت في حاجةٍ إلى البحث والدرس ومحاولة لاستكشاف البذور الأولى لصورة البطـــل في الشعر الجاهلي.

يتألف البحث من مقدمة وستة فصول وخاتمة وثبت بمصـــادر البحـــث ومراجعـــه وفهرسة تفصيلية لموضوعات البحث على النحو التالي:

الفصل الأول: مؤثرات البطولة عند العرب، ويتكون من أربعة مباحث:

١- **أيام العرب في الجاهلية:** وتحدثت فيه عن أشهر أيامهم ووقائعهم، وهي كثيرة ومن أشهر حروبهم، حرب البسوس وكانت بين بكر وتغلب ابني وائل، وقد دامت أربعين عاماً. وكان من أسبابها مقتل (كليب) أخي المهلهل. وقد وقعت فيها أيام مشـــهورة، وكان بطلها وفارسها (المهلهل بن ربيعة) التغلبي. وحرب داحس والغبراء، التـــي دارت بين عبس وذبيان، وكان سببها رهان سباق بين قيس بن زهير سيد بين عبس وبين حذيفة بن بدر بن فزارة سيد ذبيان. وكان بطلها عنترة العبسي، وقد اســتمرت هذه الحرب إلى أن سعى بالصلح بين الحيين؛ عبس وذبيان (الحارث بـــن عـــوف

وهرم بن سنان المريّان)، اللذان خلّد ذكرهما "زهير بن أبي سلمى" في معلقته المشهورة، حيث عُدَّ بحق شاعر الحكمة والسلام.

٢- **طبيعة الحياة العربية الداعية إلى الحرب:** وقد عرضت فيه لأهم آراء العلماء والباحثين، الذين تحدثوا عن أسباب وقوع الأيام والحروب والمعارك بين عرب الجاهلية.

٣- **العرب أمة حرب:** حيث تحدثت فيه عن ظاهرة الحرب وبواعثها عند العرب، حيث أملت عليهم بيئتهم وشظف عيشهم تلك الحروب والمنازعات.

٤- **الحرب وعدتها:** وتحدثت فيه عن بطولات عرب الجاهلية، وعن شجاعتهم، وعن أدوات القتال التي استعملوها كالخيول والسيوف والرماح والسهام والقسيّ، كما أن الحرب كانت مذمومة عندهم.

الفصل الثاني: البطل والبطولة، ويتكون من ستة مباحث:

١- **البطل في اللغة:** تحدثت فيه عن تعريف البطل في معجم لسان العرب، وبعض المعاجم العربية الأخرى، حيث جاء فيها تعريف البطل متفقاً أو متقارباً.

٢- **مكانة البطل وقدسيته:** تحدثت فيه عن مكانة البطل في العصر الجاهلي، حيث أصبح عندهم كرمز أسطوري أو إلهي، يعقر على قبره، ومثال ذلك ربيعة بن مكدم وصخر بن عمرو بن الشريد.

٣- **سمات البطل:** تحدثت فيه عن بعض السمات المادية والجسمية للبطل، وعن السمات الخلقية والمعنوية كالجرأة والشجاعة وغيرها من السمات التي ينبغي أن تتوافر في البطل.

٤- **أنواع البطولات:** تحدثت فيه عن أنواع البطولات، كالبطولة الحربية، وبطولة النفس، وبطولة القبيلة، والبطولة الفردية وبطل السلام.

٥- **دوافع البطولة:** تحدثت فيه عن الدوافع التي مهدت لظهور البطولة والفروسية في المجتمع الجاهلي، مثل الطبيعة الصحراوية، والمرأة، والحروب والمعارك.

٦- **البطل في الشعر:** تحدثت فيه عن البطل في رأي الشعراء الجاهليين، وخاصة الفرسان منهم والصعاليك، وعرضت للأبيات الشعرية التي وردت فيها لفظتا (البطل والفارس)، حيث إن البطولة والفروسية لفظتان مترادفتان ومتلازمتان.

الفصل الثالث: مظاهر البطولة عند العرب، ويتكون من ثلاثة مباحث:

١- **الفخر والحماسة:** تحدثت فيه عن معنى الفخر والحماسة، وعن الصلة الوثيقة بينهما، وأوردت بعض النماذج الشعرية للفخر والحماسة من أشعار الجاهليين.
٢- **الفروسية:** تحدثت فيه عن معنى الفروسية وصفات الفارس، وعن معنى الفروسية في الشعر الجاهلي.
٣- **الفتوة:** تحدثت فيه عن معنى الفتوة في معاجم اللغة بمعناها اللغوي، ومعناها الاصطلاحي، وأوردت بعض الشواهد من الشعر الجاهلي توضح معنى الفتوة في نظر عرب الجاهلية.

الفصل الرابع: شعر الفروسية في الجاهلية، ويتكون من مبحثين:

١- **الفروسية والفرسان:** تحدثت فيه عن أهمية الفارس في حياة عرب الجاهلية، حيث إن له ميزة على غيره، وتحدثت فيه أيضاً عن بعض مشاهير الفرسان في العصر الجاهلي.
٢- **نماذج من الشعراء الفرسان:** تحدثت فيه عن نخبة من الشعراء الفرسان كمثال اقتضتها طبيعة الدراسة والبحث، حيث كانت نماذج منتقاة، أمثال المهلهل بن ربيعة التغلبي وعنترة بن شدّاد العبسي وعمرو بن كلثوم التغلبي، وأوردت نماذج شعرية لكل منهم، وعقدت مقارنة مجملة بينهم.

الفصل الخامس: نماذج من الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي:

أ- الشنفرى ب- عروة بن الورد ج- تأبط شراً

حيث تحدثت فيه عن هذه النماذج من الشعراء الصعاليك، وعرضت فيه لمنتقيات من أشعارهم.

الفصل السادس: دراسة في الخصائص الفنية:

أ- الشكل والبناء (وحدة الموضوع).
ب- اللغة الشعرية والأسلوب (الألفاظ والتراكيب والمعاني).
ت- الأخيلة والصور الشعرية.
ث- الموسيقى الشعرية.
ج- الأوزان والقوافي.

حيث تحدثت عن شكل القصيدة الجاهلية ووحدة الموضوع فيها، وعن اللغة الشعرية وأسلوبها: ألفاظها وتراكيبها ومعانيها. حيث كانت ألفاظها تتراوح بين الوحشية أو الحوشية (الغريبة) وبين الجزالة والسهولة تبعاً للغرض الذي يطرقه الشاعر. كما تحدثت عن أخيلتهم وصورهم الشعرية من كناية واستعارة وتشبيه، وتطرقت إلى موسيقاهم الشعرية؛ الداخلية والخارجية، وإلى جرس ألفاظهم، وإلى الأوزان والقوافي في قصائدهم، وإلى أسجاعهم وأراجيزهم وقصيدهم. وإلى أقوال بعض الباحثين والدارسين، حيث قال بعضهم: إن بدايات الشعر الجاهلي وأوليّته تمثّلت في سجع الكهان، ثم تطوّر الشعر عندهم من السجع إلى الرجز فالقصيد. وأن العرب في العصر الجاهلي نظموا الشعر على أوزان وبحور اكتشفها الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه الأخفش، وقد سماها الخليل "بحور الشعر" وأحصاها فكانت خمسة عشر بحراً عدا المتدارك الذي تداركه الأخفش، وأن العرب قد نظموا الشعر دون الرجوع إلى قواعد "علم العروض"، وإنما كان ذلك بحكم فطرتهم وسليقتهم.

أما الخاتمة فقد أوجزت فيها خلاصة البحث وأجملت أهمّ نتائجه.

الفصل الأول

مؤثرات البطولة عند العرب

أولاً: أيام العرب في الجاهلية

ثانياً: طبيعة الحياة العربية الداعية إلى الحرب

ثالثاً: العرب أمة حرب

رابعاً: الحرب وعدتها

الفصل الأول
مؤثرات البطولة عند العرب

أولاً: أيام العرب في الجاهلية:

إن أبرز ظاهرة في حياة العرب في العصر الجاهلي هي الحروب التي عرفت بأيام العرب. فالمجتمع العربي في الجاهلية مجتمع محارب بدافع ظروفه الاقتصادية والاجتماعية[١]. وكانت العرب تعيش قبائل وشعوباً متنافرة متخاصمة، تعتز كل قبيلة بشرفها وكرامتها وعصبيتها. وتحاول أن تقيم على مواقع الغيث ومنابت الكلأ ولو اغتصبته بالرماح والسيوف من قبيلة أخرى. وكانوا يقدسون الحرية ويعيشون في ظلال الفوضى[٢]. وكان للعرب في جاهليتهم حروب كثيرة، أو هي غزوات غير منظمة، يجعلون من أيامها مادة لفخرهم وإخزاء أعدائهم[٣]. وهذه الغارات هي التي تعرف – على وجه العموم – بأيام العرب. والحقيقة أن هذه القبائل لم تكن على وئام فيما بينها، وكانت أسباب النزاع كثيرة فيما بينها منها: تجاهل العرف المعمول به بين القبائل أو خرقه والأخذ بالثأر، والغارة على القوافل أو الجيران، وما شابه ذلك. ولقد صارت الغارة على الجيران عادة متأصلة عند بعض القبائل التي أصبحت صناعة لها أو وسيلة لكسب الرزق، وعصر الجاهلية غني بأمثال هذه الأحداث التي تغنى بها الشعراء فيما هو معروف بأيام العرب.

ولقد اعتنى الإخباريون بجمع أخبار هذه الحروب الصغيرة، وهي في معظمها من القصص الشعبي الطريف الذي تتخلله قطع من الشعر[٤] .

ثانياً: طبيعة الحياة العربية الداعية إلى الحرب:

يشير الدكتور عفيف عبد الرحمن إلى أيام العرب في العصر الجاهلي ويقسمها إلى صور عدة أهمها[٥]:

---

[١] بشرى الخطيب: الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام، كلية الآداب – جامعة بغداد، د.ت: ٣٣.

[٢] محمد عبد المنعم خفاجي: الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، دار الجيل – بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م: ٧٧.

[٣] بطرس البستاني: الشعراء الفرسان، دار المكشوف – بيروت، ط٢، ١٩٦٦م: ٢٢.

[٤] سعد زغلول عبد الحميد: في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النهضة العربية – بيروت، ١٩٧٦م: ٣١١.

[٥] عفيف عبد الرحمن: الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي، دار الأندلس – بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ –١٩٨٤م: ٩٧.

١- نزاع يحدث بين طرفين، ويشتد هذا النزاع، فيفزعون إلى أسلحتهم وخيولهم وسرعان ما يكتشفون أن الأمر لا يستحق الاقتتال، فيتراضون ويحسمون النزاع، بينهم، ومن أمثلة هذه الأيام يوم ذي ذرائح الذي كان بين تميم واليمن "ولم يكن بين القوم حرب ولكن تصالحوا" [١].

٢- وأحياناً تأخذ الحروب بينهم طابع الغارات التي تقوم على المباغتة، ويقصد منها السلب والنهب والأسر، وهذه الأيام لا تراق فيها الدماء إلا عند الضرورة، وهذه الصورة كثيرة في أيامهم، بل تكاد تشكل نسبة كبيرة منها. ومثالها تلك الأيام بين بكر وتميم، وبين القبائل المتجاورة.

٣- وصورة أخرى من تلك الأيام، وهي الأيام التي تقع في عدة سنين، وقد يفصل اليوم عن الآخر فترة قد تطول، ولكن حالة الحرب والعداء تستمر، وقد تحالف كل قبيلة قبائل أخرى، فيتسع نطاق الحرب، وطابع هذه الحرب يكون أشد عنفاً من الصورة التي سبقتها. ومن أمثلة هذه الصورة حرب داحس والغبراء، وحرب البسوس، وأيام الأوس والخزرج.

٤- وصورة رابعة من صور الأيام، وهي أن تلتقي عدة أطراف عند هدف مشترك، ويبقى لكل طرف أطماعه، ويتكون فريقان من القبائل، ويكون يوم عظيم يقتتل فيه الطرفان، وفي نية كل فريق القضاء على الفريق الآخر، ومثال ذلك يوم جبلة.

أما الأيام التي كانت بين القبائل العدنانية والقحطانية، أو بين العرب والفرس، فقد تميزت بالضراوة والشدة وكثرة القتل.

مدلول كلمة يوم:

أطلق العرب "الأيام" منذ العصر الجاهلي القديم، على الملاحم التي وصلت إلينا والتي تزخر مضامينها بحياة أمتنا العربية وثقافتها، وهي تشكل بالنسبة لذلك العصر، أروع تراث شعري، خلال الحقبة السابقة للإسلام، والتي اعتاد المؤرخون - إذا استظهروا غاية الاستظهار - أن يقفوا بها عند حدود القرن الخامس الميلادي، أو مائتي سنة قبل الإسلام[٢].

وبهذا يدفع الدكتور عادل البياتي أن يكون مصطلح "الأيام" قد أطلقته الروايات العربية على الحروب التي قامت بين القبائل في العصر الجاهلي[٣] لأن المقصود بالروايات، هي "الأيام"

---

[١] الميداني: مجمع الأمثال، مكتبة دار الحياة - بيروت، ١٩٦١م: ٢/٥٣٠.

[٢] الجاحظ: الحيوان، ت: عبد السلام هارون، مطبعة الحلبي بمصر، ط٢، ١٣٦٤هـ: ١/٧٤.

[٣] دائرة المعارف الإسلامية، لجنة الترجمة: أحمد الشناوي ورفيقاه - القاهرة، ١٩٣٣م: ٣/١٨٠.

نفسها، وقد رويت منذ العصر الجاهلي، وأن كلمة "يوم" كانت تتردد في أشعارهم داخل الملحمة نفسها[١] . قال عمرو بن كلثوم في أيام قومه[٢]:

وأيامٍ لنا غُرٍّ طِوالٍ عَصَيْنَا الْمَلْكَ فيها أن نَدِينا

ولم نحصل من قدماء الرواة ولا العلماء، على تعريف واضح، لكلمة "يوم"، لكن ابن السكيت فسر "الأيام" بمعنى "الوقائع والنعم" وإنما خصوا الأيام، دون ذكر الليالي في الوقائع، لأن حروبهم كانت نهاراً[٣].

وعرفت الحروب والمناوشات التي وقعت بين القبائل بعضها مع بعض، أو بين ملوك اليمن والقبائل أو بين الفرس والعرب أو بين الملوك العرب والقبائل "بالأيام" و "أيام العرب"[٤].

وهذه الأيام تؤلف القسط الأكبر من علم الإخباريين بتأريخ الجاهلية، ومادتها القصص الذي تناقله الناس عمن شهدوها، وحفظوه في صدورهم، إلى أن كان التدوين فدون. وهو مادة محبوبة تناولها الناس في الجاهلية والإسلام بلذة وشوق. فكانت هي والشعر الجاهلي من أهم المجالس[٥]، فكانت تلك الوقائع العظيمة – التي هاجت قبائلهم، وأثارت عصبياتهم – مادة رائعة للسمار والمحدثين في حقب طويلة، وأعصار بعيدة[٦] . (قيل لبعض أصحاب رسول الله ﷺ ما كنتم تتحدثون به إذا خلوتم في مجالسكم؟ قال: كنا نتناشد الشعر، ونتحدث بأخبار جاهليتنا)[٧]، وأهم أخبار الجاهلية هي هذه الأيام.

ومادة هذه الأيام عربية خالصة، يتخللها شعر قيل بالمناسبة في تلك الأيام في الفخر والحماسة وفي هجاء الخصم والانتقاص منه. والفضل هو لهذا الشعر في حفظ أخبار تلك الأيام، وصيانتها من النسيان. وعلى هذه المادة العربية كان اعتماد المؤرخ في تدوين تاريخ العرب في الجاهلية. وفي شعر المخضرمين وشعر الشعراء الإسلاميين الذين نبغوا في العهد الأموي مادة

---

[١] عادل البياتي: الملاحم العربية، مطبعة دار الجاحظ – بغداد، ١٩٧٦م: ٦٣.

[٢] الزوزني: شرح المعلقات السبع، دار الجيل – بيروت، ط٢، ١٩٧٢م: ١٧٢.

الأيام: الوقائع. غر: بيضاء، مشهورة. أن ندين: أن نطيع.

[٣] عادل البياتي: الملاحم العربية: ٦٦.

[٤] ابن منظور: لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط ١. د.ت: ١٣٩/١٦.

[٥] جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين – بيروت، ط٣، ١٩٨٠م: ٣٤١/٥.

[٦] محمد عبد المنعم خفاجي: الشعر الجاهلي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٩٨٠م: ٩٣.

[٧] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ت: أحمد أمين ورفيقاه، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة، ١٩٤٦م: ٣/٦ وما بعدها.

تفيدنا في الوقوف على خبر تلك الأيام. فقد حفظ تفاخر الشعراء بقبائلهم ومهاجاة بعضهم بعضاً آثار تلك الأيام، فدونت في شعر الهجاء والتباهي والتفاخر، وزاد بذلك علمنا الذي أخذناه من أخبار الأيام ومن الشعر الجاهلي الذي أشير فيه إليها[١].

ويقال إن أبا عبيدة صنف في ألف يوم ومائتين منها كتاباً اعتمد عليه من جاءوا بعده، ولم يصلنا هذا الكتاب، وإنما وصلنا شرحه لنقائض جرير والفرزدق وفيه طائفة كبيرة منها، وألف فيها من بعده كثيرون أحصاهم ابن النديم في كتابه الفهرست. وفي كتاب الأغاني للأصبهاني وشرح حماسة أبي تمام للتبريزي منثورات منها كثيرة. وعقد لها ابن عبد ربه في العقد الفريد وابن الأثير في كتابه الكامل والنويري في نهاية الأرب فصولاً طويلة، وكذلك صنع الميداني في كتابه مجمع الأمثال إذ تناول منها مائة واثنين وثلاثين يوماً ضبط أسماءها وذكر القبائل التي اشتركت في كل منها[٢].

وتسمي العرب اليوم غالباً، باسم المكان الذي حدث فيه القتال كيوم عكاظ. وربما سموه باسم ماء قريب من الموقعة كيوم الكلاب. وأحياناً يسمى اليوم باسم رجل أو امرأة له أثر واضح في اليوم كيوم حجر[٣] ويوم حليمة[٤]، وحرب البسوس. وإذا حدثت عدة وقائع لسبب واحد فإنها تسمى باسم المسبب الأصلي للأحداث كحرب داحس والغبراء، وحرب البسوس، وربما سموا الأيام لصفة اتصفت بها كحروب الفجار[٥]. وأحياناً يسمون اليوم باسمي مكانين حدث فيهما القتال في ذلك اليوم[٦] كيوم النباج وثيتل. وأحياناً يسمى اليوم بأكثر من اسم كيوم ذي قار ويوم قراقر، ويوم حنو ذي قار، ويوم حنو قراقر، ويوم الجبايات، ويوم ذات العجرم ويوم الغذوان، ويوم البطحاء[٧].

ومن أيامهم المشهورة يوم خزاز وكان بين ربيعة واليمن من مذحج وغيرهم، ويوم طخفة بين المنذر بن ماء السماء وبني يربوع، ويوم أوارة الأول بينه وبين بني بكر، ويوم أوارة الثاني

---

[١] جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ٣٤١/٥.

[٢] شوقي ضيف: العصر الجاهلي، دار المعارف بمصر - القاهرة، ط٥. د.ت: ٦٤، ٦٥.

[٣] وكان لبني أسد على حجر؛ وحجر ملك من ملوك كندة. انظر الأصفهاني: الأغاني، مصور عن طبعة دار الكتب، مؤسسة جمال للطباعة والنشر - بيروت. د. ت: ٨١/٩.

[٤] وكان للحارث الأعرج بن جبلة الغساني، ملك العرب بالشام على المنذر بن المنذر، ملك العرب بالحيرة، وحليمة هي بنت الحارث، وفي هذا اليوم ضرب المثل "ما يوم حليمة بسر". انظر ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار صادر - دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م: ٣٢٨/١.

[٥] كانت بين كنانة وقيس، سميت الفجار؛ لأنها كانت في الأشهر الحرم، وهي الشهور التي يحرمونها ففجروا فيها، وانتهت سنة (٥٨٩م). انظر الأغاني: ٧٤/١٩.

[٦] عفيف عبد الرحمن: الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي: ١١٠، ١١١ نقلاً عن معجم ما استعجم للبكري.

[٧] ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ٣٩٧/١.

بين ابنه عمرو بن هند وبني تميم، ويوم ظهر الدهناء بين بني أسد وطيء، ويوم الكلاب الأول بين بني بكر وعشائر من تميم وضبة بقيادة شرحبيل بن الحارث الكندي وبين تغلب والنمر وبهراء بقيادة أخيه سلمة، وأيام الأوس والخزرج، ويوم حوزة الأول بين سليم وغطفان، ويوم اللوى بين غطفان وهوازن، ويوم الكلاب الثاني بين تميم وبني عبد المدان النجرانيين، ويوم الوقيظ بين تميم وربيعة، وكذلك يوم جدود وذي طلوح والغبيط ومبايض والجفار، ويوم الرحرحان بين قيس وتميم وكذلك الصرائم والمروت والنسار، ويوم الشقيقة بين ضبة وبني شيبان، ويوم بزاخة بين ضبة وإياد، ويوم دارة مأسل بينها وبين بني عامر. وكانوا لا يقتتلون في الأشهر الحرم، ومع ذلك وقعت فيها بعض مناوشات تسمى بأيام الفجار بين كنانة وهوزان يومها الأول، أما يومها الثاني فكان بين كنانة وقريش وبين بني عامر وتبعت ذلك أيام أخرى. أما حرب البسوس فقد اشتعلت بين قبيلتي بكر وتغلب في أواخر القرن الخامس الميلادي[١]، وهم أخوان وأبناء عمومة، وبقيت ذكراها إلى أواخر العصر الأموي، ومن شعرائها: المهلهل، وعمرو بن الأهتم، وعمرو بن كلثوم وغيرهم[٢]. وكان سببها اعتداء كليب سيد تغلب على ناقة للبسوس خالة جساس بن مرة سيد بني بكر، ويقال إنها دامت أربعين سنة[٣]، وكان من أيامها يوم عنيزة، ويوم واردات ويوم الحنو ويوم القصيبات ويوم قضة[٤].

وأما حرب داحس والغبراء فكانت في أواخر العصر الجاهلي، وكان السبب في نشوبها سباقاً على رهان بين الفرسين، فسميت باسميهما، وكان قد أجراهما سيد عبس وذبيان: قيس ابن زهير وحذيفة بن بدر[٥]، ومن شعرائها عنترة، وقيس بن زهير والربيع بن زياد العبسي، وعقيل بن علفة المري، والربيع بن قعنب، وعمر بن الأسلع وغيرهم[٦].

وهذه الأيام ليست حروباً بالمعنى المفهوم من الحرب، فإن منها ما هو مجرد مناوشات أو مهاترات وغزوات لم يسقط فيها إلا بضعة أشخاص، ومنها أيام وقعت في عدة سنين كانت تثار فيها الحرب حينما تتجدد المناسبات. والنابه من هذه الأيام، معدود ومحدود عند بعض العلماء. وقد حصرها أبو عبيدة في الأيام الكبيرة العظيمة، التي ساهم فيها عدد كبير من الفرسان،

---

[١] شوقي ضيف: العصر الجاهلي: ٦٥.

[٢] محمد الخطراوي: شعر الحرب في الجاهلية عند الأوس والخزرج، دار القلم - دمشق، بيروت ، ط١، ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م: ١٨٣.

[٣] شوقي ضيف: العصر الجاهلي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ٣، ١٩٨٠م: ٦٥، ٦٦.

[٤] ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ت: مفيد قميحة ونعيم زرزور، دار الكتب العلمية - بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م: ١٨٣.

[٥] شوقي ضيف: العصر الجاهلي: ٦٦.

[٦] محمد الخطراوي: شعر الحرب في الجاهلية عند الأوس والخزرج: ١٨٢-١٨٣.

وجعلها: يوم الكلاب، ويوم ربيعة، ويوم جبلة، ويوم ذي قار[١]. وهي صورة صحيحة للعرب وعاداتهم وتقاليدهم، وتصوير صادق لأسلوب حياتهم وشأنهم في الحرب والسلم والنجعة والاستقرار.

وهذه الأيام منها ما كان بين العرب والفرس كيوم ذي قار، وما كان بين النزاريين واليمنيين كيوم خزازى، وما كان بين اليمنيين بعضهم مع بعض كيوم بعاث بين الأوس والخزرج، ويوم حليمة بين المناذرة والغساسنة، وما كان بين النزاريين كيوم الزويرين بين ربيعة ومضر، وما كان بين المضريين بعضهم مع بعض كحرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان، وما كان بين الربعيين بعضهم مع بعض كحرب البسوس بين بكر وتغلب[٢]. وسنتحدث عن أهم أيام العرب في الجاهلية:

يوم اللوى[٣]: وكان بين غطفان وهوازن، وفيه قتل عبد الله أخو دريد بن الصمة، وكان دريد من فرسان العرب المعدودين وشاعر بني جشم وسيدهم وقائدهم في الحرب. وقد جرح دريد في هذا اليوم، وفيه يقول دريد:

أَمَرْتُهُمُ أَمْـــري بِمُنْعَرَجِ اللِّـــوى ... فلم يَسْتَبينوا الرُّشْدَ إلا ضُحى الغدِ
فلما عَصَوْني كنتُ مِنْهُمْ وَقَدْ أرى ... غَوايتَهُـــمْ وأننـــي غيـــرُ مُهتـدِ
وَهَـلْ أنا إلا مِنْ غزيَّةَ إنْ غَـوَتْ ... غَويْـتُ وإنْ تَرْشُـــدْ غزيَّةُ أَرْشُـــدِ
دعاني أخـي والخيلُ بيني وبينَهُ ... فلما دعانـــي لم يَجِدْني بقُعْـدُدِ
أخـــي أرضعتني أُمُّـــهُ بِلِبانِهـــا ... بثَدْيَـــيْ صفـــاءٍ بيننا لم يُجَـــدَّدِ
تنادَوْا فقالوا: أَرْدَتِ الخيلُ فارساً ... فقلـــتُ: أعبدُ اللهِ ذلكُمُ الـــرَّدي
فَجِئْـــتُ إليـــهِ والرمـــاحُ تنوشُـــهُ ... كَوَقْعِ الصَّياصي في النسيجِ الْمُمَدَّدِ
فَطَاعَنْتُ عنهُ الخيلَ حتى تَبَدَّدَتْ ... وحتى علاني حالكُ اللونِ أســودُ
فما رِمْتُ حتى خَرَّقَتْني رِماحُهُمْ ... وغُودِرْتُ أَكْبُو في القنا المُتَقَصِّدِ

---

[١] الأصفهاني: الأغاني: ١٣١/١١.

[٢] محمد عبد المنعم خفاجي: الشعر الجاهلي: ٩٣-٩٤.

[٣] بطرس البستاني: الشعراء الفرسان: ٢٥، ٥١.

قتالَ امريءٍ واسى أخاهُ بنفسهِ ويعلمُ أنَّ المرءَ غيرُ مُخلَّدِ[١]

يوم خزازى: وهو من أعظم أيام العرب في الجاهلية، وكان لمعد على مذحج، وكانت معد لا تستنصف من اليمن، ولم تزل اليمن قاهرة لها، حتى كان هذا اليوم فانتصرت معد فيه، وصارت لها المنعة ولم تزل كذلك حتى جاء الإسلام، وفي هذا اليوم يقول "السفاح التغلبي"[٢] واسمه سلمة ابن خالد[٣] :

وَلَيْلَةَ بِتُّ أُوقِدُ في خزازى هَدَيْتُ كتائباً مُتَحيِّراتِ[٤]

وفيه يقول ابن الحائك[٥] :

كانت لنا بخزازى وَقْعَةٌ عَجَبٌ لَمَّا الْتَقَيْنَا وحادي الموتِ حاديها
مِلْنا على وائلٍ في وَسْطِ بَلْدَتِها وذو الْفَخارِ كُلَيْبُ الْعِزِّ حاميها

ويقول عمرو بن كلثوم التغلبي في معلقته يفتخر بقومه

ونحنُ غداةَ أُوقِدَ في خزازى رَفَدْنا فوقَ رِفْدِ الرَّافِدِينَا
وكُنَّا الأَيْمَنِينَ إذا الْتَقَيْنا وكان الأيسرينَ بنو أبينا

---

[١] الأصفهاني: الأغاني: ٤/٩، ٥ وأبو زيد القرشي: جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، ت: علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة - القاهرة، د.ت: ٤٦٨-٤٧٠.

اللوى: موضع كانت به الوقعة التي قتل فيها أخوه عبد الله. ومنعرجه: حيث انعرج. غزية: رهط الشاعر، وأحد أجداده. القعدد: الجبان اللئيم. لم يجدد: لم يقطع. الردي: الهالك. تتوشه: تتناوله. الصياصي: القرون. النسيج: الثياب المنسوجة. في البيت الثامن "إقواء" ، وروي "أسود" بالجر على الجوار، وفيه عدة روايات أخرى. انظر الأخفش الأصغر: كتاب الاختيارين، ت: فخر الدين قباوة، مطبعة محمد هاشم الكتبي- دمشق، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م: ٤١١ (الحاشية). المتقصد: المتكسر.

[٢] محمد عبد المنعم خفاجي: الشعر الجاهلي: ١٠١.

[٣] عادل البياتي: الملاحم العربية: ٣٨١.

[٤] حسن السندوبي: أخبار المراقسة وأشعارهم في الجاهلية وصدر الإسلام، المكتبة الثقافية - بيروت، ط٧، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م: ٢٤٣، ٢٤٤. خزازى: موضع كانت فيه موقعة مشهورة بين ربيعة واليمانيين. متحيرات: غير مهتديات.

[٥] محمد عبد المنعم خفاجي: الشعر الجاهلي: ١٠٢ وفي أخبار المراقسة: ٢٤٤ البيتان لشاعر اليمن عمرو بن زيد مع اختلاف في بعض ألفاظ البيتين.

فَصَالُـوا صَـوْلَةً فِيمَنْ يَليهِمْ ... وَصُلْنا صَوْلَةً فِيمَـنْ يَلينـا
فآبُـوا بالنِّهـــابِ وبالسَّـــبَايا ... وأُبْنا بالملوكِ مُصفَّدينـا[1]

يوم ذي قار: يوم من أشهر أيام العرب، كان بين العرب والفرس، وانتصرت فيه العرب وهو أول يوم تنتصر فيه على العجم. وكان يوم ذي قار في مبعث الرسول ﷺ، وقال فيه: "هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبي نصروا"، وذو قار: ماء لبكر قريب من الكوفة، ويعد هذا اليوم من مفاخر بكر[2].

وقد افتخر الشعراء بهذا النصر العظيم، فقال أعشى قيس[3]:

لَمَّا التقيْنا كَشَـفْنا عَنْ جَماجِمِنَـا ... لِيَعْلَمُـــوا أَنَّنـــا بَكْرٌ فَيَنْصَرِفُـــوا
وَجُنْدُ كِسْرَى غَداةَ الْحِنْوِ صَبَّحُهمْ ... مِنَّا كَتَائِبُ تُزجي الموتَ فانصرفوا
إذا أمالـوا إلى النُّشَّاب أَيديَهُـــمْ ... مِلْنا ببيضٍ فَظَلَّ الهامُ يُخْتَطَـــفُ
وَخَيْـــلُ بكرٍ فما تَنْفَـكُّ تطحنُهُمْ ... حتـــى تَوَلَّوْا وكادَ اليـــومُ يَنْتَصِفُ
لَوْ أَنَّ كُلَّ مَعَدٍّ كـــــانَ شـــاركَنا ... في يَوْمِ ذي قارَ ما أَخْطَاهُمُ الشَّرفُ

وقال العديل بن الفرخ العجلي[4]:

ما أَوْقَدَ النَّاسُ مِنْ نارٍ لِمَكْرُمَةٍ ... إلا اصْطَلَيْنا وكُنَّا مُوقِدي النارِ
وما يَعُدُّونَ مِنْ يَوْمٍ سَمِعْتَ بهِ ... للناسِ أَفْضَلَ مِنْ يَوْمٍ بذي قارِ
جِئْنَا بأَسْلابِهِمْ والخيلُ عابسةٌ ... لَمَّا اسْتَلَبْنا لكسرى كُلَّ إسـوارِ[5]

---

[1] الزوزني: شرح المعلقات السبع: ١٨٢، ١٨٣. الرفد: الإعانة. النهاب: الغنائم. الأوب: الرجوع. التصفيد: التقييد.

[2] ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ٢٨٩/١ والأغاني: ٩٧/٢ (طبعة دار الكتب).

[3] شرح ديوان الأعشى الكبير "ميمون بن قيس"، ت: حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٤م: ٢١٠، ٢١١.

الحنو: موضع جرت بقربه موقعة ذي قار. صبحهم: غزاهم صباحاً. البيض: السيوف. انتصف النهار: بلغ النصف وقت الظهر. معد: هو ابن عدنان جد عرب الشمال من قبائل ربيعة ومضر.

[4] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ت: عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، د.ت: ١١٥/٦.

[5] الأسلاب: جمع سلب؛ وهو ما يسلب وينتزع قهراً. الإسوار: الفارس المقاتل من فرسان الفرس.

يوم حليمة: وكان بين المناذرة والغساسنة؛ وهو من أيام العرب المشهورة، انتصر فيه الغساسنة، وضرب به المثل فقيل: "ما يوم حليمة بسر"، وينسب إلى (حليمة) بنت الحارث الأعرج الغساني. وقال النابغة في وصف سيوف ذلك اليوم[١]:

تُوُرِّثْنَ مِنْ أزمانِ يَوْمِ حَلِيمَةٍ إلى الْيَوْمِ قَدْ جُرِّبْنَ كُلَّ التجارِبِ[٢]

وكان ممن أسرهم الحارث من بني تميم شأس بن عبدة أخو علقمة بن عبدة الشاعر الجاهلي الفحل. فلما سمع علقمة بأسر أخيه ذهب إلى الحارث مستشفعاً وأنشده قصيدته البائية المشهورة[٣]:

طَحَا بِكَ قَلْبٌ في الْحِسَانِ طَرُوبُ بُعَيْدَ الشَّبابِ عَصْرَ حانَ مَشِيبُ
إلى الحارثِ الْوَهَّابِ أَعْمَلْتُ ناقتي لِكَلْكَلِها والقُصْرَيَيْنِ وَجِيبُ[٤]

حرب البسوس: وقعت هذه الحرب بين بكر وتغلب ابني وائل، ودامت أربعين عاماً، وقعت فيها أيام مشهورة، يوم النهي، وكان النصر فيه لتغلب، يوم الذنائب، وفيه انتصرت بنو تغلب وقتل شراحيل أخو جساس، يوم عنيزة، تكافأ فيه الطرفان، يوم واردات وفيه قتل همام أخو جساس، ويوم قضة. وهي من أشهر أيام العرب وحروبهم، وسببها تافه صغير[٥] وهو مقتل ناقة البسوس خالة جساس البكري، حيث قتلها كليب التغلبي. ويرى بطرس البستاني أن سببها الحفاظ على جوار الجار[٦]. وبعد مقتل كليب قام أخوه المهلهل على قبره يرثيه:

---

[١] ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ٣٢٨/١.

[٢] الأعلم الشنتمري: مختار الشعر الجاهلي، ت: مصطفى السقا، المكتبة الشعبية، ط ٣، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م: ١٦١/١. يوم حليمة: من أيام العرب المشهورة في الجاهلية، وهي حليمة بنت أبي شمر الغسّاني.

[٣] ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ت: أحمد محمد شاكر، دار المعارف - القاهرة، د.ت ٢٢١/١.

[٤] ديوان علقمة الفحل، ت: لطفي الصقال ودرية الخطيب، وراجعه الدكتور فخر الدين قباوة، دار الكتاب العربي بحلب، ط١، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م: ٣٣، ٣٩. طحا: اتسع، وذهب بك كل مذهب. والطروب في الحسان: الذي له طرب في طلب الحسان، ونشاط في مراودتهن. عصر حان: حين حان. أعملت: وجهت وأجهدت. الكلكل: الصدر. القصريان: ضلعان قصيرتان تليان الخاصرتين. الوجيب: الرعدة والاضطراب لشدة السير.

[٥] محمد عبد المنعم خفاجي: الشعر الجاهلي: ١٠٣.

[٦] بطرس البستاني: الشعراء الفرسان: ٣٢.

أهاجَ قَذَاءَ عيني الادِّكارُ ... هُدَوّاً فالدُّمُوعُ لها انْجِرَارُ
وصارَ الليلُ مُشتملاً علينا ... كأنَّ اللَّيْـلَ لَيْسَ لَهُ نَهـارُ
أجِبْني يا كُلَيْبُ خَلاكَ ذَمٌّ ... لقد فُجِعَتْ بِفارِسِـــها نِزارُ[1]

وقال المهلهل في يوم الذنائب[2] :

أَلَيْلَتَنـــا بذي حُسُمٍ أَنـيري ... إذا أَنْتِ انْقَضَيْتِ فلا تَحُوري
فَإِنْ يَكُ بالذَّنائِبِ طَالَ لَيْلـي ... فَقَدْ يُبْكَى مِنَ اللَّيْلِ القصـــيرِ

داحس والغبراء: وقعت هذه الحرب بين عبس وذبيان بسبب تافه على إثر سباق داحس والغبراء. وداحس جواد لقيس بن زهير سيد بني عبس، والغبراء لحمل بن بدر سيد بني فزارة، وكلاهما من أشهر خيول العرب، ولكنهما كانا شؤماً على القبيلتين حتى قال فيهما عنترة[3] :

فَلَيْتَهُمَا لَمْ يَجْرِيَا نِصْفَ غَلْوةٍ ... وَلَيْتَهُمَـــا لم يُرْسَلا لِرِهـانِ
لقدْ جَلَبا حَيْناً وحرباً عظيمةً ... تَبيدُ سَرَاةَ الْقَوْمِ مِنْ غَطَفَانِ[4]

وحدثت بين عبس وذبيان أيام كثيرة من أشهرها (يوم المريقب) لعبس على ذبيان، وفيه قتل عنترة ضمضماً المريّ، وبلغه أن ولديه يتوعدانه ويسبانه[5] ، فقال في معلقته:

وَلَقَدْ خَشيتُ بأَنْ أَموتَ ولم تَدُرْ ... للحربِ دائرةٌ على ابْنَيْ ضَمْضَمِ
الشَّاتِمَيْ عِرْضي وَلَمْ أَشْتُمْهما ... والنَاذِرَيْنِ إذا لقيتُهُمـــا دَمـي

---

[1] حسن السندوبي: أخبار المراقسة وأشعارهم في الجاهلية وصدر الإسلام: ٢٧١، ٢٧٢. الادكار: التذكر. هدواً: في هدأة من الليل. خلاك ذم: برئت مما تذم عليه من قول أو فعل. نزار: اسم جدهم الأعلى.

[2] الأصمعي: الأصمعيات، ت: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٦٤م: ١٥٤. ذو حسم: موضع. فلا تحوري: فلا ترجعي. الذنائب: موضع به قبر كليب بن ربيعة.

[3] بطرس البستاني: الشعراء الفرسان: ٤٢. وفي الأغاني: ٨٦/١١ حذيفة بن بدر بن فزارة سيد ذبيان.

[4] المرجع السابق: ٤٢ ومصطفى السقا: مختار الشعر الجاهلي: ٤١١/١. الغلوة: الطلق، والمراهنة في السباق مقدار مضي السهم عند الرمي. الحيْنُ: الهلاك والمحنة. غطفان: قبيلة تجمع عبساً وذبيان وفزارة، كانت بينهم حرب داحس والغبراء.

[5] محمد عبد المنعم خفاجي: الشعر الجاهلي: ١١٦.

إنْ يَفْعَلا فلقدْ تَرَكْتُ أَبَاهُمَا جَزَرَ السِّباعِ وكُلِّ نَسْرٍ قَشْعَمِ[١]

وما زالت نار الحرب تستعر وتتلظى بين الحيين حتى سعى بالصلح بينهما الحارث بن عوف وهرم بن سنان المريان[٢] . وقد أنشأ زهير بن أبي سلمى معلقته في هذا الموقف، وفيها يقول:

سَعَى ساعيا غَيْظِ بنِ مُرَّةَ بعدما تَبَزَّلَ ما بينَ العشيرةِ بالدَّمِ
فأقسمتُ بالبيتِ الذي طافَ حَوْلَهُ رجالٌ بَنَوْهُ مِنْ قُريشٍ وَجُرْهُمِ
يمينـاً لَنِعْمَ السَّيِّدانِ وُجِدْتُما على كُلِّ حالٍ مِنْ سَحيلٍ وَمُبْرَمِ
تَدارَكْتُما عَبْساً وذبيانَ بعدما تفانَوْا ودقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشِمِ
تُعَفَّى الكُلومُ بالمئينَ فأصبحتْ يُنَجِّمها مَنْ لَيْسَ فيها بِمُجْرِمِ
يُنَجِّمُها قومٌ لِقَوْمٍ غَرامَةً وَلَمْ يُهَرِيقوا بَيْنَهُمْ مِلءَ مِحْجَمِ[٣]

بواعث الحرب في الجاهلية:

يعرض الدكتور عفيف عبد الرحمن لمختلف آراء الباحثين في دوافع هذه الحروب فيوجزها في ما يلي[٤] :

---

[١] ابن الأنباري: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ت: عبد السلام هارون، دار المعارف - القاهرة، ١٩٦٣م: ٣٦٣-٣٦٥. ابنا ضمضم: هرم وحصين. جزر السباع: مقتول لها تأكله. القشعم: الكبير، والمسن من النسور.

[٢] محمد عبد المنعم خفاجي: الشعر الجاهلي: ١١٧.

[٣] ابن الأنباري: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٤، ٢٦٥. قال التبريزي: الساعيان: الحارث بن عوف، وهرم بن سنان. تبزل: تشقق وتفطر، ومراده كان بينهم صلح فشقق بالدم. بالبيت: المراد به الكعبة. من سحيل ومبرم: قال أبو جعفر: معناه من أمر شديد أو لين، محكم أو غير محكم. عطر منشم: قال الأصمعي: زعموا أنها امرأة عطارة. انظر التفاصيل في شرح ابن الأنباري للقصائد السبع: ٢٦١. تعفى الكلوم: تمحى الجراح. المئين: الإبل تجعل نجوماً. ينجمها: تؤدى نجماً نجماً. يهريقوا: يريقوا. محجم: آلة الحجام.

[٤] عفيف عبد الرحمن: الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي: ٧٣.

جرجي زيدان[١] : يرد سبب الحروب والتنازع فيما بين القبائل إلى ضعف سلطة اليمن "واستقلال عرب الحجاز ونجد من سيطرتها فهاج شاعريتهم وأيقظ ما فطروا عليه من عزة النفس وإباء الضيم، فأخذوا يختلفون فيما بينهم لأن سيطرة اليمن قد جمعتهم قيودها، فلما أطلق سراحهم تنازعوا، فجرت بينهم حروب ...".

فيليب حتي[٢]: يخالف الذين دونوا أخبار الأيام وسعيهم إلى إبراز الدوافع التي أدت إليها، وتعزيزهم أمر العداوة الدموية، ويرى "أن كثيراً من هذه الحوادث بلا ريب بعثتها عوامل اقتصادية بحتة"، ويرى في الأيام "منفذاً للتخلص من شر ازدحام السكان".

بلاشير[٣] : يرد عوامل اللجوء إلى القوة في ذلك العهد إلى عاملين: تأمين العيش، وأخذ الثأر.

ول ديو رانت[٤]: الحرب عند العربي كانت دفعاً لملل الحياة الرتيبة وسآمتها يدفعها بالحب والحرب.

علي مظهر[٥]: ودافع الحرب عند العربي هو العصبية، لأن الكلمة يفهم منها المحاباة دون مراعاة لمصلحة المجموع، وكثيراً ما يكون هذا الحب أو تلك المساعدة ضد مصالح الآخرين، لهذا السبب قضى سكان الجزيرة يحارب بعضهم بعضاً منشقين على أنفسهم.

جواد علي: يرى أن الغالب على الأيام التي وقعت بين القحطانية والعدنانية "طابع التخلص من سيطرة اليمن ومن نفوذها على العدنانية" ويرى أن أكثر أسباب هذه الأيام هو نزاع على ماء أو مرعى أو أخذ لثأر، أو محاولة للتخلص من حكم القبائل على القبيلة بظهور شخصية قوية فيها[٦] . ويرى كذلك أن سببها هو عسف حكام القبائل القوية في القبائل الضعيفة التابعة لأولئك الحكام بسبب الإتاوة التي كانوا يلحون في جبايتها غير مفكرين في الظروف والأوقات، وأمثال هذه الأسباب، قد يكون بينها سبب تافه سخيف، يؤدي إلى إزعاج المتخاصمين بسبب النزاعات العاطفية التي تتغلب عند القبائل في غالب الأحوال على العقول[٧].

البهبيتي[٨]: يسوق اتهامه إلى ملوك الحيرة الذين كانوا وراء كل خلاف يقع بين القبائل العربية، فالخلاف والفرقة والدماء التي تراق، كل ذلك بسبب سياسة التفرقة التي انتهجها هؤلاء الملوك.

---

[١] جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، دار الهلال – مصر، ١٩٥٧م: ١/٧١.

[٢] فيليب حتي: تاريخ العرب مطول، دار الكشاف – بيروت، ط٤، ١٩٦٥م: ١/٣٤.

[٣] بلاشير: تاريخ الأدب العربي، ترجمة إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، ١٩٩٢م: ١/٤٠.

[٤] ول ديو رانت: قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، ط٢، ١٩٦٤م: ١٣/١٢.

[٥] علي مظهر: العصبية عند العرب حتى زوال بني أمية، مصر، ١٩٢٤م: ٦-٧.

[٦] جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام. المجمع العلمي العراقي – بغداد، ١٩٥٠-١٩٥٨م: ٤/٣٧٤.

[٧] جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ٥/٣٤٣.

[٨] نجيب محمد البهبيتي: تاريخ الشعر العربي حتى أواخر القرن الثالث الهجري، دار الفكر، مكتبة الخانجي – بيروت. د.ت: ٣١.

أحمد الشايب[١]: يرى أن "البداوة الفقيرة قد أدت إلى ظاهرتين طبيعيتين: الفقر الحسي والعلمي، والغنى النفسي والتشبث بالحرية. وقد نشأ عن هذا كله بين أفراد القبيلة عدم احتمال الضيم، والثورة والعمل على إشاعة رهبة القبيلة بين القبائل". ويرد التنافس في موضع آخر بين القبائل في الجاهلية إلى عاملين رئيسين: "مادي يتمثل في طمع في إبل أو مرعى أو بئر أو فرس أو متاع ما، وأدبي يتمثل في رغبة في رياسة، أو أخذ بثأر، أو اعتزاز بنفس، أو مفاخرة بقوة، أو غضب لجار أهين أو عهد نقض، أو مجاراة لسفيه. وفي موضع ثالث يلخص الأسباب المباشرة للأيام بالطمع والرغبة في النهب والسبي، والغضب للكرامة والشرف، والوشايات والعوامل السياسية، والملاحاة والمراء الذي يوغر الصدور، وحماية الجار والنجدة لصديق أو حليف أو قريب وفي سبيل الفقراء، والثأر، وفي سبيل النفوذ الخارجي. ولرفع الضيم والتشبث بالحرية، ومن أجل الرياسة وزعامة القبائل، وحماية اللطائم[٢]. ويرى أن الحرب كانت "ضرورة للحصول على العيش، كما كانت ضرورة لتحقيق الحرية والكرامة، ثم صارت غاية يفخر بها الشيوخ والشبان"[٣].

الدكتور شوقي ضيف[٤]: يرى أكثر حروبهم "كان يجرها نزاع بعض الأفراد في قبيلتين مختلفتين، إما بسبب قتل أو إهانة أو اختلاف على حد من الحدود".

الدكتور عبد الحميد يونس[٥]: يتحدث عن حروب عامر في "الهلالية" فيذكر أن أغلب الأيام كانت تدور على التناحر على البقاء بصورة من الصور.

بطرس البستاني[٦]: يرى أن أسباب الأيام "النهب والسلب، أو التزاحم على الماء والكلأ، ومنها ما كان يحدث لأسباب تافهة تدعو إليها عنجهية البدوي كحرب البسوس وقلما وقعت لدفع عدو غريب كيوم ذي قار وحروب اليمن والأحباش". ولكن يظهر أن من أسباب حرب البسوس طغيان كليب وبغيه، فقد روى صاحب الأغاني أن كليباً كان قد عزّ وساد في ربيعة فبغى بغياً شديداً، وضرب به المثل في العز فقيل: "أعز من كليب وائل"[٧].

محمد دروزة[٨]: يراها تقع لأسباب "حلفية أو شخصية أو نسائية أو نتيجة لغارات يشنها بعضهم على بعض".

---

[١] أحمد الشايب: تاريخ النقائض في الشعر العربي، مكتبة النهضة المصرية، ط٣، ١٩٦٦م: ٣٦. وأحمد الشايب: تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني، مكتبة النهضة المصرية، ط٤، ١٩٦٦م: ٤٦.

[٢] أحمد الشايب: تاريخ النقائض في الشعر العربي: ٦٣-٦٤. اللطائم: العير التي تحمل الطيب. انظر الأغاني: ٢٤/٧١.

[٣] أحمد الشايب: تاريخ النقائض في الشعر العربي: ٣٨.

[٤] شوقي ضيف: العصر الجاهلي: ٦٣.

[٥] عبد الحميد يونس: الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي، كلية الآداب - جامعة القاهرة، ١٩٥٦م: ٢٢.

[٦] بطرس البستاني: الشعراء الفرسان: ٢٠.

[٧] الأصفهاني: الأغاني: ٥/٣٩.

[٨] محمد دروزة: تاريخ الجنس العربي، المكتبة العصرية - بيروت، ١٩٦١م: ٥/١٥٣.

الدكتور زكي المحاسني[١]: يحصيها فيجدها "النعم والمال، والحفاظ على الشرف وإجارة المستجير، والشهرة والزعامة وحب التسلط، للدفاع عن كرامة المرأة، وبسبب المال الذي قد يكون ستراً تنفذ منه أحقاد الصدور كحرب البسوس".

الدكتور علي الجندي: يعزوها إلى عدم وجود سلطة مركزية قوية يخضع لها العرب جميعاً، وقد عبر النابغة عن ذلك[٢]:

تَعْدُو الذِّئابُ على مَنْ لا كِلابَ لَهُ وَتَتَّقي صَوْلَةَ الْمُسْتأْسِدِ الضَّارِي

ويعبر زهير عن المعنى ذاته[٣]:

وَمَنْ لَمْ يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلاحِهِ يُهدَّمْ ومَنْ لا يَظْلِمِ الناسَ يُظْلَمِ

ويضيف إلى هذا السبب الأساسي أسباباً أخرى منها: "الصراع بين العدنانية والقحطانية، والصراع بين أهل البدو والحضر، والتسابق على منابت الكلأ والرغبة في التوسع".[٤]

شاكر الجودي[٥]: ودوافع الحرب عنده: "قلة الخيرات في شبه الجزيرة التي أشاعت الفقر بين سكان الجزيرة، ولعل هذا الفقر كان أهم أسباب الغارات والحروب، يلجأ إليها البدوي حين لا يجد وسيلة غيرها لسد حاجته، ولعل هذا الفقر أيضاً هو الذي جعل الحياة هنيئة يبذلها من أجل الحصول على أتفه المكاسب ...". ويضيف سبباً آخر هو: انقسام العرب إلى قحطانيين وعدنانيين وانقسام كل منها إلى قبائل، وكل منها يريد الغلبة لنفسه".

الدكتور عمر فروخ[٦]: يردها إلى ثلاثة عوامل رئيسة: اقتصادية ويمثل لها بحرب البسوس، وسياسية ويمثل لها بحروب الأوس والخزرج، وأجنبية ويمثل لها بعين أباغ وحليمة.

الدكتور إحسان النص[٧]: ويجملها في أربعة أسباب: بدافع الحاجة والفقر وسوء الأحوال المعيشية في بلاد العرب، وبدافع الثأر والانتقام، وبدافع الغضب لشرف القبيلة وسمعتها وكرامتها، وبدافع المفاخرات القبلية.

---

[١] زكي المحاسني: شعر الحرب في أدب العرب في العصرين الأموي والعباسي إلى عهد سيف الدولة، دار المعارف بمصر، ١٩٦١م: ٢٧.

[٢] الأصفهاني: الأغاني: ٨٨/١، لم يرد في ديوانه، وورد في العقد الثمين وشرح الأشعار مع اختلاف في ألفاظ عجز البيت. تعدو عليه: تثب. تتقي: تحذر. الصولة: السطوة في الحرب. وصال عليه: سطا عليه ليقهره. المستأسد؛ استأسد: صار كالأسد، الضاري من السباع: المولع بأكل اللحم والصيد.

[٣] الزوزني: شرح المعلقات السبع: ١٢١. يذد: يدفع. حوض الرجل: حريمه، حيث استعار "الحوض" للحريم.

[٤] علي الجندي: شعر الحرب في العصر الجاهلي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢، ١٩٦٣م: ١٧.

[٥] شاكر الجودي: إلمامة بالرجز في الجاهلية وصدر الإسلام، بغداد، ١٩٦٦م: ٣٠-٣٢.

[٦] عمر فروخ: حضارة العرب، دار العلم للملايين - بيروت، ط١، ١٩٦٦م: ٥٨.

[٧] إحسان النص: العصبية وأثرها في الشعر الأموي، دار اليقظة - دمشق، ١٩٦٣م: ١٤٨.

وخلاصة ذلك أن الدوافع الأساسية للحرب هي: العصبية القبلية وما يلحق بها من تبعات، والأخذ بالثأر، والصراع على أسباب الحياة، ومناطق الحدود، والصراع حول تقاليد المجتمع القبلي، والتمرد على سلطة الممالك المجاورة.

العصبية القبلية هي: أن يدعو الرجل إلى نصرة عصبته، والتآلب معهم، على من يناوئهم ظالمين كانوا أو مظلومين، وتعني كذلك: الميل والمحاباة ضد مصالح الآخرين[١].

ثالثاً: العرب أمة حرب:

الحرب ظاهرة بشرية صحبت الإنسان منذ فجر التاريخ، وإن تباينت الصور التي جاء فيها القتال، فالحياة البدوية، بطبيعتها الصحراوية، وظروفها الحيوية، كانت منطلقاً واسعاً وميداناً فسيحاً لقيام الحرب. وهي في الوقت نفسه قد وهبت العربي حب الانطلاق، فعاشت الحرية في دمه فقدسها، وجعلها مثلاً عالياً من مثله. وتقليداً محترماً من تقاليده، فهو يأبى العبودية، ولا يرضى بها من أية جهة كانت، ويتمرد على الهوان ولا يخضع للمذلة ويفضل الموت، وهو يقتل تحت صليل السيوف، من أن يعيش عبداً ذليلاً في ظل نعيم وافر[٢]، كما قال الأفوه الأودي[٣]:

نَقُودُ ونَأْبى أنْ نُقادَ ولا نَرَى ... لِقَوْمٍ عَلَيْنَا في مَكَارِمِهِمْ فَضْلا

ونفس العربي وما فطرت عليه من شجاعة وإباء وشمم وفروسية كانت تجعل الحرب قريبة منه مألوفة بل محبوبة عنده في كثير من الأحيان. وكانوا يغيرون على أعدائهم فإن لم يجدوا لهم أعداء أغاروا على الأقرباء[٤] كما قال القطامي[٥]:

أَغَرْنَ مِنَ الضَّبابِ عَلَى حُلُولٍ ... وَضَبَّةَ إِنَّهُ مَنْ حَانَ حَانَا

وأَحْيَاناً عَلَى بَكْرٍ أَخِينَا ... إِذا ما لم نَجِدْ إلا أَخانا

---

[١] عفيف عبد الرحمن: الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي: ٧٧.

[٢] نوري حمودي القيسي: الفروسية في الشعر الجاهلي، دار التضامن - بغداد، منشورات مكتبة النهضة - بغداد، ط١، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م: ٧٥.

[٣] عبد العزيز الميمني: الطرائف الأدبية، دار الكتب العلمية - بيروت. د.ت: ٢٢.

[٤] محمد عبد المنعم خفاجي: الحياة الأدبية في العصر الجاهلي: ٧٧-٧٨.

[٥] أبو تمام: ديوان الحماسة، شرح التبريزي، دار القلم - بيروت. د.ت: ١٢٩/١. الضباب: قبائل عربية تشتمل على (ضبة وضبيب وحسل وحسيل). الحلول: الذين يحلون في مكان واحد. وفي البيت الأول التفات، كأنه التفت إلى إنسان وقال له: إنه من هلك بغزونا فقد هلك.

وعناية العرب بأنسابهم وبخيولهم وأسلحتهم وبأنواع الحيوان المشهورة بالبطش والقوة كالأسد والذئب، كل ذلك من آثار شعورهم بالحاجة إليها حين الخصام والنضال وفي المعارك والحروب[١].

إن أقدم النقوش والمدونات التي حملت إلينا العبارات المسجوعة ذات النبر الواضح، ومطالع الرجز الصحيحة تثبت لنا أن الحرب كانت المبدأ التكويني للجماعة العربية، كما أن موضوع الحرب كان المبدأ التكويني الفني، فأكثر وأهم ما استعملت فيه الأسجاع والأرجاز، إنما كان في طلب النزال ومنافرات الحرب ومفاخرة الصراع والمناجزة، حتى ما وصل من غمغمات الكهانة وطمطمة الكهان ونفث الكاهنات، يطالعنا منه فوران الدم ودمدمة الغضب[٢]. إن الأمة العربية أمة حرب، جبلت على حب البطولة والأبطال[٣].

لقد احتلت الحرب موضعاً من الحياة الجاهلية، كان لها بواعثها وتفاصيلها وقوانينها الأخلاقية، يمكن لنا أن نستقرئها من موروث الحرب الشعري[٤].

ولا ضير على العرب القدامى أن يقتتلوا فيما بينهم أحر قتال، وأن تكون الحرب بينهم سجالاً، فكانوا يقتتلون من أجل الماء والكلأ. وكانت الحروب تنشأ بينهم للحفاظ على الشرف. ولم يكونوا زاهدين في الشهرة والزعامة وحب التسلط، فإن كثيراً من ساداتهم وغطاريفهم شنوا الحرب من جراء الإمارة. وكانوا كغيرهم يتغلب فيهم القوي على الضعيف ولا يحمى لديهم الذمار إلا بحد السيوف. وكانوا لا يدفنون غضاضة. ولم تكن الديات عندهم سوى كفكفة دموع، وإرضاء للضعاف، وإنما كان الثأر لديهم شعاراً للحروب. وكان الغزو وسيلة مشروعة من وسائل الحياة في المجتمع الجاهلي[٥]. ومعروف أن الجزيرة استحالت في الجاهلية إلى ما يشبه ميداناً كبيراً ما تزال تقتتل فيه القبائل، وتسل السيوف، وتصوب الرماح والنبال، وتدق الأعناق والرؤوس، وبذلك كانت حياتهم حروباً مستمرة، فكل قبيلة دائماً واترة موتورة أو قاتلة مقتولة[٦]. وهكذا كانت شريعة الغزو المقدسة في حياة القبائل الجاهلية استجابة لمطالب الأمن والحياة[٧]، وهذا ما جعل العرب يقولون في أمثالهم "الغزو أدر للقاح، وأحد للسلاح[٨].

---

[١] محمد عبد المنعم خفاجي: الحياة الأدبية في العصر الجاهلي: ٧٩.

[٢] محمد عفيفي مطر: شروخ في مرآة الأسلاف، دار الرشيد - بغداد، ١٩٨٢م:١٧.

[٣] محمد الخطراوي: شعر الحرب في الجاهلية عند الأوس والخزرج: ١٨٢.

[٤] محمود عبد الله الجادر: مدخل إلى قصيدة الحرب، مجلة آفاق عربية، نيسان، ١٩٨٢م: ٣٨.

[٥] مي يوسف خليف: القصيدة الجاهلية في المفضليات، دراسة موضوعية وفنية، مكتبة غريب - الفجالة. د. ت: ٢١.

[٦] شوقي ضيف: الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور، دار المعارف - القاهرة، ط٢. د.ت: ١٩.

[٧] مي يوسف خليف: القصيدة الجاهلية في المفضليات: ٢١.

[٨] ابن قتيبة: عيون الأخبار، المؤسسة المصرية للطباعة، ١٣٨٣هـ -١٩٦٣م: ٢٤٤/١.

وكانت حروب العرب جميعاً من النوع الداخلي إلا ما كان من حرب ذي قار[١].

ولعل أطرف القصائد التي احتفظت بها المفضليات في مجال الحرب قصيدة عبد يغوث الحارثي التي أنشدها وهو أسير يرثي بها نفسه قبل قتله والتي نراها تفيض بالفخر والحماسة[٢]

ولو شِئْتُ نجَّتْني مِنَ الخيلِ نَهْدةٌ ... ترى خَلْفها الحُوَّ الجِيادَ تَوَالِيَا

ولكنني أحمي ذِمارَ أبيكُمُ ... وكانَ الرماحُ يَخْتطِفْنَ المُحاميا

أقولُ وقد شَدُّوا لساني بِنِسْعَةٍ ... أمعشرَ تَيْمٍ أطلقوا عَنْ لسانيا

أمعشرَ تَيْمٍ قد مَلَكْتُمْ فأَسْجِحُوا ... فإنَّ أخاكُمْ لم يَكُنْ مِنْ بَوائيا

أحقاً عبادَ اللهِ أَنْ لستُ سامعاً ... نشيدَ الرِّعاءِ المُعْزِبينَ المَتَاليا

وتضحكُ مني شَيْخَةٌ عَبْشَمِيَّةٌ ... كأنْ لم تَرَيْ قبلي أسيراً يمانيا

لقد كان العربي يحس بما يكابده الإنسان من أهوال الحرب وأنه لم يكن مندفعاً من أجلها ولكنه كان مضطراً إلى خوضها مقدراً فظائعها وما تجره من أهوال. وفي أبيات قيس بن الخطيم إشارة واضحة إلى هذه الحالة:

دعوتُ بني عَوْفٍ لحقنِ دِمائِهِمْ ... فلما أَبَوْا سامحتُ في حربِ حاطبِ

---

[١] محمد الخطراوي: شعر الحرب في الجاهلية عند الأوس والخزرج: ١٨٢.

[٢] المفضل الضبي: المفضليات، ت: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف المصرية، ط٣، ١٩٦٤م: ١٥٥/٣٠ وفي عجز البيت الأخير قوله: "كأن لم ترا قبلي" قال الأخفش: رواية أهل الكوفة: " كأن لم تَرَنْ قبلي" وهذا عندنا خطأ، والصواب " تَرَيْ " بحذف النون علامة للجزم. وهذا مبني على أن الفعل مسند لياء المخاطبة على معنى "كأنْ لم تَرَيْ أنتِ". انظر القالي البغدادي: ذيل الأمالي والنوادر، دار الآفاق الجديدة - بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م: ١٣٤. النهدة: المرتفعة الخلق. الحوة: الخضرة، والأحوى من الخيل: ما ضرب لونه إلى الخضرة. الذمار: ما يجب على الرجل حفظه، من منعه جاراً وطلبه ثأراً. النسعة: القطعة من النسع، وهو سير يضفر من جلد. "وشد اللسان" هنا إما حقيقي، بأن يكموه بالنسعة، وإما مجازي، أراد أنهم فعلوا ما منع لسانه عن مدحهم. أسجحوا: سهلوا ويسروا في أمري. أخاكم: هو النعمان بن جساس. البواء: من قولهم: "باء فلان بفلان" إذا قتل به وصار دمه بدمه. وفي ذيل الأمالي والنوادر: ١٣٤ "البواء": السواء، يريد: إن أخاكم لم يكن نظيراً لي فأكون بواء له. الرعاء: بكسر الراء: جمع راع، ويجوز ضم الراء. المعزب: المنتحي بإبله. المتالي: الإبل التي نتج بعضها وبقي بعض. عبشمية: نسبة إلى "عبد شمس"، ويقال فيه "عبشمس". والذي أسر عبد يغوث فتى من بني عمير بن عبد شمس، وكان أهوج، فانطلق به إلى أهله، فقالت أمه لعبد يغوث - ورأته عظيماً جميلاً -: من أنت؟ قال: أنا سيد القوم، فضحكت وقالت: قبحك الله من سيد قوم حين أسرك هذا الأهوج! وذلك قول عبد يغوث: "وتضحك مني".

وكنتُ امرءاً لا أبعثُ الحربَ ظالماً ... فلما أبوْا أشْعلتُها كُلَّ جانبِ
فلما رأيتُ الْحَرْبَ حَرْباً تجرَّدتْ ... لَبِسْتُ مَعَ البُردَيْنِ ثَوْبَ الْمُحَارِبِ[1]

إن العرب يقدمون على الحرب عندما لا يجدون مفراً منها، ولا خلاص من شرها، ولا مهرباً من أذاها، وعند ذلك يقتحمونها اقتحام الأبطال والفرسان، كما صور ذلك "الفِنْدُ الزِّمَّانيُّ" بقوله[2]:

صَفَحْنَا عَنْ بني ذُهْلٍ ... وَقُلْنا القومُ إخوانُ
عسى الأيامُ أنْ يَرْجِعْنَ ... قوماً كالذي كانوا
فلما صَرَّحَ الشَّرُّ ... فأمسى وهو عُرْيانُ
مَشَيْنَا مِشْيةَ اللَّيْثِ ... غدا والليثُ غَضْبانُ
بِضربٍ فيه تَوْهينٌ ... وتخضيعٌ وإقرانُ
وبعضُ الْحِلْمِ عندَ الجهلِ ... للذِّلةِ إذعانُ
وفي الشَّرِّ نجاةٌ حيـ ... ـنَ لا يُنْجيكَ إحسانُ

والعربي ينازل خصومه وجهاً لوجه، كما قال الحصين بن الحمام المري[3]:

تأخَّرْتُ أستبقي الحياةَ فلم أجِدْ ... لنفسي حياةً مِثْلَ أنْ أتقدَّما
فَلَسْنَا على الأعقابِ تَدْمى كُلُومُنا ... ولكنْ على أقدامِنا تقطُرُ الدَّما

ونراه في القصيدة نفسها يذكر أن قومه أكرهوا على الحرب، وأنه دخلها مضطراً، بعد أن نفد حلمه وأناته، ذاكراً بعض أدوات الحرب من سيوف ورماح صلبة:

جزى اللهُ أفْناءَ العشيرةِ كُلَّها ... بدارةِ مَوْضُوعٍ عُقوقاً وَمأثَما

---

[1] ديوان قيس بن الخطيم، ت: أحمد مطلوب وإبراهيم السامرائي، بغداد، ١٣٨١هـ ١٩٦٢م: ٣٢. حاطب: هو حليف للأوس قتل فكانت بينهم وبين قاتليه حرب في قتله. تجردت: جدّ أمرها. البرد: ثوب مخطط.

[2] أبو تمام: ديوان الحماسة، شرح المرزوقي، ت: أحمد أمين وعبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة، ط٢، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م: ١/٣٠، ٣٢، ٣٤، ٣٥، ٣٦. والفند اسمه شهل بن شيبة من ربيعة؛ شاعر جاهلي من فرسان ربيعة المشهورين، شهد حرب بكر وتغلب (حرب البسوس). صرح الشر: انكشف. الليث: الأسد. غدا: ابتكر. التوهين: التخضيع. الإقران: الإسترخاء. الإذعان: الانقياد.

[3] أبو تمام: ديوان الحماسة، شرح التبريزي: ١/٦٠-٦١. الأعقاب: جمع عقب وهو مؤخر القدم. الكلوم: الجراح.

بـني عَمِّنـا الأدنَيْـنَ مِنْهُـمْ وَرَهْطَنـا فـزارةَ إذْ رامـتْ بنـا الحـربُ مُعْظَمـا

ولمـا رأيـتُ الْـوُدَّ لَيْـسَ بنـافعي وأنْ كـانَ يومـاً ذا كواكـبَ مُظْلِمـا

صَبَرْنـا وكـان الصَّـبْرُ فينـا سَـجِيَّةً بأَسْـيافِنَا يَقْطَعْـنَ كَفّـاً ومِعْصَمـا

يَهُـزُّونَ سُـمْراً مِـنْ رِمـاحِ رُدَيْنَـةٍ إذا حُرِّكَـتْ بَضَّـتْ عوامِلُهـا دَمَـا[1]

وبقيت ساحات وميادين الحرب تشهد لهم بإقدامهم الجريء واقتحامهم البطولي، يقول بشامة ابن حزن النهشلي[2]:

إنـا لَـنُرْخِصُ يَـوْمَ الـرَّوْعِ أَنْفُسَـنا وَلَـوْ نُسـامُ بهـا في الأَمْـنِ أُغْلِينـا

بيـضٌ مَفارِقُنـا تَغْلـي مراجِلُنـا نأسـو بأَمْوالِنـا آثـارَ أيدينـا

إنـي لَمِـنْ مَعْشَـرٍ أَفْنَـى أوائلَهُـمْ قيـلُ الكُمـاةِ ألا أَيْـنَ الْمُحَامونـا

لَـوْ كـانَ في الألـفِ منا واحـدٌ فَدعَـوْا مَـنْ فـارسٌ خَـالَهُمْ إيـاهُ يَعْنونـا

إذا الكُمَـاةُ تَنَحَّـوْا أَنْ يُصيبَهُـمُ حَـدُّ الظُّبـاةِ وَصَلْناهـا بأيدينـا

---

[1] المفضل الضبي: المفضليات: ٦٤/١٢-٦٥. أفناء الناس: القوم النزاع من هنا وههنا لا يدري من أي قبيل هم، لا واحد له من لفظه، وقيل واحده "فنا" ولامه واو، وقيل "فنو" بكسر فسكون. دارة موضوع: مكان كانت فيه الموقعة. عقوقاً ومأثماً: جزاء عقوقهم وإثمهم. الأدنين: الأقربين. مظلما: أظلم اليوم من غبار الحرب حتى استبانت الكواكب. السمر: الرماح الصلبة. ردينة: امرأة كانت تقوّم الرماح بالبحرين. بضت: سالت. عامل الرمح: سنانه، وقيل ما يلي السنان.

[2] أبو تمام: ديوان الحماسة؛ شرح التبريزي: ٢٥/١-٢٧، الروع: الحرب والألف في "أغلينا" للإشباع. بياض المفارق: كناية عن نقاء العرض وانتفاء الذم والعيب. تغلي مراجلنا: أي حروبنا. نأسو: نداوي. الكماة: جمع كامٍ، وكمى نفسه: سترها بالدرع والبيضة (الخوذة)، والكميُّ: لابس السلاح، والشجاع المقدام الجريء، كان عليه سلاح أو لم يكن. خالهم: ظنهم. الظباة: جمع ظبة وهي حدُّ السيف.

والحرب عند العرب طاحنة تهلك الحرث والنسل، وتفتت الجمع وتسحقهم فتجعلهم طحيناً متبدداً، كما أشار إلى ذلك عمرو بن كلثوم:

متى نَنْقُلْ إلى قومٍ رحانا ... يكونوا في اللِّقاءِ لها طَحِينا
يكونُ ثِفالُها شَرْقيَّ نجدٍ ... وَلُهْوَتُها قُضَاعَةَ أَجْمَعِينا[1]

وقال المهلهل بن ربيعة[2]:

كأنَّا غُدْوةً وبني أبينا ... بجوفِ عُنَيْزَةٍ رَحَيَا مُديرِ

أو كقول زهير بن أبي سلمى[3]:

فَتَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الرَّحى بِثِفَالِها ... وتَلْقَحْ كِشافاً ثُمَّ تُنْتَجْ فَتُتْئِمِ

أو كقول بشامة بن حزن النهشلي[4]:

لَوْ كانَ في الأَلْفِ مِنَّا واحدٌ فَدَعَوْا ... مَنْ فارسٌ خَالَهُمْ إياهُ يَعْنُونا

أو كقول طرفة[5]:

إذا القومُ قالوا: مَنْ فتىً خِلْتُ أنني ... عُنيتُ فلم أَكْسَلْ ولم أَتَبَلَّدِ

أو كقول الآخر[6]:

إذا القومُ قالوا: مَنْ فتىً لعظيمةٍ ... فما كُلُّهُمْ يُدْعى وَلَكِنَّهُ الْفَتَى

---

[1] الزوزني: شرح المعلقات السبع: ١٧٣. أراد بالرحى: رحى الحرب. الثفال: خرقة أو جلدة تبسط تحت الرحى ليقع عليها الدقيق. اللهوة: القبضة من الحب تلقى في فم الرحى.

[2] الأصمعي: الأصمعيات: ١٥٥. عنيزة: موضع.

[3] الزوزني: شرح المعلقات السبع: ١١٢. الباء في قوله "بثفالها" بمعنى مع. اللقح واللقاح: حمل الولد. الكشاف: أن تلقح النعجة في السنة مرتين. أنتجت الناقة: إذا ولدت. الإتآم: أن تلد الأنثى توأمين.

[4] المرزباني: معجم الشعراء، ت: د. كرنكو، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م: ٦٦ وشرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٢٧/١.

[5] الزوزني: شرح المعلقات السبع: ٧٧ وابن الأنباري: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: ١٨٣. يقول: إذا قالوا من فتى لهذه المفازة خلت أنهم يعنونني ويقولون ليس لها غيره؛ فلم أكسل عن أن أقول أنا لها ولم أتبلد عن سلوكها، ويقال (رجل بليد ومتبلد): إذا أثّر فيه الجهل كي يذهب به عن فطن الناس واحتيالهم. أما ابن الأنباري فقال: إذا قالوا مَنْ فتى لأمر عظيم؟ ظننتني عنيت بذلك الأمر. وقال أبو جعفر:إذا قالوا مَنْ فتىً يحدو بنا لننجُوَ؟.

[6] أبو تمام: ديوان الحماسة، شرح المرزوقي: ١٠٨/١. العظيمة: النازلة الشديدة.

ويتحدث الشاعر ربيعة بن مقروم عن بطولات وتضحيات قومه قائلاً[١]:

وقومـــي فإنْ أنْتَ كَذَّبْتَنـــي ... بقوليَ فاسْـأَلْ بقومـــي عَليمـــا
أليســـوا الذيـــنَ إذا أزمـــةٌ ... ألحَّتْ على الناسِ تُنْسي الحُلوما
يُهينونَ في الحـقِّ أمْـــوالَهُمْ ... إذا اللَّزِبـــاتُ التحيْنَ الْمُسِـــيمَا
طِوالُ الرِّماحِ غَداةَ الصَّبـــاحِ ... ذوو نَجْدةٍ يَمْنَعُـــونَ الحريمـــا
بنو الحربِ يوماً إذا اسْتَلأَمُوا ... حَسِبْتَهُمُ في الحـــديدِ القُرومـــا

وإذا قلنا: إن العرب أمة حرب فليس معنى هذا أنهم يفتقدون الأناة والتبصر في الأمور، واستعمال الحكمة والرأي فيما يعرض لهم من أمور، ومشاكل وأحداث، رغم أن أيديهم كانت قريبة من سيوفهم وخاصة في المجتمع الرعوي، إلا أننا نجد صوت الحكمة يصرخ قوياً من بين ركامات البغضاء والأحقاد، ويعلو مدوياً من خلال مثار النقع وظلام الأقتار[٢]، فهذا زهير بن أبي سلمى يقول[٣]:

وما الحربُ إلا ما عَلِمْتُمْ وذُقْتُمُ ... وما هو عَنْها بالحديثِ الْمُرجَّمِ

وتنتهي الحرب مخلفة وراءها الخراب والدمار، وتنجلي عن أشد المصائب وأفدح النكبات كما قال زهير[٤]:

متى تَبْعَثُوها تَبْعَثُوها ذَميمَةً ... وتَضْرَ إذا ضَرَّيْتُموها فَتُضْرَمِ

---

[١] المفضل الضبي: المفضليات: ١٨٣/٣٨. ألحت: لزمت وتتابعت. الحلوم: العقول. اللزبات: جمع لزبة، وهي القحط. التحين: قشرن. المسيم: صاحب الإبل والغنم. النجدة: الرفعة في كل أمر، والنجدة: القتال والشجاعة والشّدة. الحريم: ما يجب عليهم منعه. استلأموا: لبسوا اللأمة، وهي السلاح. القروم: فحول الإبل.

[٢] محمد الخطراوي: شعر الحرب في الجاهلية عند الأوس والخزرج: ١٨٣. الأقتار: جمع قتر، وهو الناحية والجانب.

[٣] التبريزي: شرح القصائد العشر، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني - القاهرة، ط١، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م: ١٥٣. وقوله "وما هو عنها بالحديث المرجم": وما الخبر عنها بحديث يرجم فيه بالظن. فقوله : "هو" كناية عن العلم؛ لأنه لما قال: "إلا ما علمتم" دل على العلم. والمرجم: الذي يرمى فيه بالظن.

[٤] التبريزي: شرح القصائد العشر: ١٥٤. تبعثوها: تثيروها. ذميمة: مذمومة ويروى "دميمة" أي حقيرة. تضر: تعوّد وتدرب وتضرى كما يضرى السبع. تضرم: تشتعل.

وجعل إفناءها إياهم بمنزلة طحن الرحى الحب، وهذا تمثيل لفظاعة الحرب ونتائجها الوخيمة[١]:

فتعركُكُمْ عَرْكَ الرَّحَى بِثِفالِها وَتَلْقَحْ كِشافاً ثم تُنْتَجْ فَتُتْئِمِ

وكنى عن طول مدة الحرب وكثرة نتائجها المذمومة قائلاً[٢]:

فَتُنْتَجْ لَكُمْ غِلْمانَ أَشأمَ كُلُّهُمْ كأحمرِ عادٍ ثُمَّ تُرْضِعْ فَتُفْطِمِ

ويتهكم الشاعر حيث يقابل شرور الحرب ومضارها بمنافع الغلال الناتجة من قرى العراق[٣]:

فَتُغْلِلْ لَكُمْ مالا تُغِلُّ لأَهْلِها قُرًى بالعِراقِ مِنْ قَفيزٍ وَدِرْهَمِ

وشبهها بالكلأ المستوخم الذي يكون سيء العاقبة، وغير مريء[٤]:

فَقَضَّوْا مَنَايا بَيْنَهُمْ ثُمَّ أَصْدَرُوا إلى كَلأٍ مُسْتَوْبَلٍ مُتَوَخَّمِ

واستعار لها صورة من مورد الماء، حيث إن المتخاصمين كانوا في صلح مدة من الزمن، ثم خاضوا غمار حرب دامية[٥]:

رَعَوْا ما رَعَوْا مِنْ ظِمْئِهِمْ ثُمَّ أَوْرَدُوا غِماراً تَفَرَّى بالسلاحِ وبالدَّمِ

---

[١] التبريزي: شرح القصائد العشر: ١٥٤. الثفال: جلد يجعل تحت الرحى. الكشاف: أن تحمل على الناقة في كل سنة فتلقح. فتتئم: تأتي بتوأمين.

[٢] المصدر نفسه: ١٥٥. نتجت الناقة تنتج وأنتجت: إذا استبان حملها فهي ناتج. أحمر عاد: عاقر الناقة. وقال محمد بن سلام البصري: أراد كأحمر ثمود، فجعل عاداً في موضع ثمود لضرورة الشعر، فقال على جهة الغلط. انظر ابن الأنباري: شرح القصائد السبع: ٢٦٩ وانظر لأغلاط الشعراء ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل - بيروت، ط٤، ١٩٧٢م: ١٩١/٢ والسيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ت: محمد أحمد جاد المولى ورفيقاه، دار الكتب العربية، ط ٤، ١٩٥٨م: ٤٩٧/٢. ولكن المبرد يغاير الرأي في تفسيره لـ (كأحمر عاد). انظر التبريزي: شرح القصائد العشر: ١٥٦.

[٣] المصدر نفسه: ١٥٦. القفيز: مكيال. قال يعقوب: هذا تهكم وهزء.

[٤] المصدر نفسه: ١٥٨. الكلأ: العشب. المستوبل: المستثقل. المتوخم: مثله وهو نعت له. وقوله: "ثم أصدروا إلى كلأ": أي إلى أمر استوخموا عاقبته، وهذا مثل.

[٥] التبريزي: شرح القصائد العشر: ١٥٧. الظمء: العطش. وهو هنا: ما بين الشربتين. تفرى: تكشف وتفتح وتشقق عليهم، وأصله "تتفرى". الغمار: جمع غمر، وهو الماء الكثير. والغمار: الأمور العظام. والغمار ها هنا مثل، يريد ما غمرهم من أمر الحرب.

وشبه الشعراء الحرب أيضاً بالسوق تقام للبيع والشراء والمقايضة، كما تصلح للضرب والطعن والجلاد واللعب بالسيوف:

نُقيمُ لها سُوقَ الجِلادِ ونغتلي ... بأسْيافِنا حتى نُوجَّهَ خالَها[1]

نُقيمُ لها سُوقَ الضِّرابِ ونعتصي ... بأسْيافِنا حتى نُوجَّهَ خالَها[2]

ولكنها سُوقٌ يكونُ صِفاقُها ... سُرَيْجِيَّةً قد أرهفَتْها الصَّياقِلُ[3]

وتعرض الشعراء إلى من يملك زمام الحرب، ويدير شؤونها في دقة، فشبهوه بمن يملك سجل البئر يتحكم فيه، ويصرفه كيف يشاء، قال قيس بن الخطيم[4]:

أتذكرُ أمراً لم تَنلْهُ وإنما ... تناولَ سَجْلَ الحربِ مَنْ كانَ أنجدا

وشبهها الأعشى الأكبر باللاقح العوان[5]:

وقد شَمَّرتْ بالناسِ شَمْطاءُ لاقحٌ ... عَوانٌ شديدٌ هَمْزُها فأضلَّتِ

وإذا جاز لبعضهم أن يعد شعر الرثاء، وهو أخلد الفنون الشعرية عند العرب وأصدقها عاطفة لأنهم كانوا يقولونه وقلوبهم موجعة، فإن من المؤكد أن شعر الحرب هو أقوى ما نظم الشعراء العرب وألصقه بنفسية العربي، وأوشجه بوجدانه، لأن العرب أمة فطرت على الحرب وجبلت على حب البطولة والأبطال، حتى ليصح أن يقال: إن الأمة العربية أمة حرب. إن لدى الإنسان - أنى كان - ميلاً إلى البأس والقوة والحرب، فحب الحرب غريزة فيه، متغلغلة في كيانه، مغروسة في طبائعه، ومنظر الدماء مسكن لسوراته مهديء لغضبه، معبر عن قهره وغلبته، هكذا كان منذ

---

[1] شرح ديوان الأعشى الكبير: ٢٦٣. نغتلي: نسرع. نوجهه: نسوقه. خالها: لواؤها.

[2] المصدر نفسه: ٢٦٥. الضراب: القتال. نعتصي: نمتنع. الخال: لواء الجيش.

[3] أبو عبيدة: النقائض، طبعة أوروبا، نسخة مصورة عنها. مكتبة المثنى - بغداد: ٥٢/١. الصفاق: البيع. سريجية: سيوف تنسب إلى سُريج، وهو رجل من بني أسد كان يصنعها، وهناك من يرى أن سُريجاً هذا كان رومياً. انظر إحسان هندي: مكانة السيف عند العرب، مجلة الفيصل - الرياض، إبريل، ١٩٨٠م: ٢٢ نقلاً عن: علي الجندي: شعر الحرب في العصر الجاهلي: ١٥٩.

[4] قيس بن الخطيم: ديوانه، ت: ناصر الدين الأسد. مكتبة دار العروبة بمصر، ط١، ١٩٦٢م: ٤١. السجل: الدلو العظيمة. أنجدا، النجدة: الشجاعة والشدة.

[5] ديوانه: ٨٢. شمطاء، الأشمط: المختلط سواد شعره ببياض، وهي شمطاء جمع شمط. لاقح، اللقح: الحَبَل؛ واللاقح: إذا قبلت ماء الفحل أو الرجل، وهي التي تلد وتنتج. عوان: النَّصَفُ من النساء والبهائم.

أن قتل قابيل هابيل إلى اليوم، وسيظل كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فهو إما هاجم أو مهجوم عليه[١].

رابعاً: الحرب وعدتها:

الحرب أكبر ميدان لتدريب الفرسان، فيها يتقوم الضعيف ويشتد ساعده، ويقوى عوده ليكون أهلاً للنزال إذا التحمت المعارك، واشتدت المنازعات. قال الطفيل الغنوي:

وفينا ترى الطُّولى وكُلَّ سُمَيْدَعٍ ... مُدَرَّبَ حربٍ وابنَ كُلِّ مُدرَّبِ
طويلُ نجادِ السيفِ لم يَرْضَ خُطَّةً ... مِنَ الْخَسْفِ ورَّادٌ إلى الموتِ صَقْعَبِ
وفينا رباطُ الخيلِ كُلُّ مُطَهَّمٍ ... رُجَيْلٍ كَسِرْحَانِ الغضا الْمُتَأَوِّبِ[٢]

إن نفس العربي وما فطرت عليه من شجاعة وإباء وشمم وفروسية كانت تجعل الحرب قريبة منه، مألوفة لديه، لأنه يعدها مجالاً لبطولته، فهي من مقومات الحياة وأحد عناصر البقاء في المجتمع الجاهلي. فالحروب عندهم كانت ضرورة وغاية يفتخر بها، وكانوا يعدون أبناءهم لها إعداداً، لأنها مسرح الرجولة والبأس، ووسيلة الظفر بالثناء، والعمل المثير لإعجاب المرأة بهم[٣].

وكان الفارس منهم تتنازعه عاطفة الأبوة نحو أبنائه، وعاطفة الغلبة والحصول على الغنائم، فكان يؤثر الثانية على الأولى، قال سلامة بن جندل[٤]:

تقولُ ابنتي إنَّ انطلاقَكَ واحداً ... إلى الرَّوْعِ يوماً تاركي لا أباليا
دَعينا مِنَ الإشْفَاقِ أو قَدِّمي لنا ... مِنَ الحَدَثَانِ والْمَنِيَّةِ واقيا
سَتَتْلَفُ نفسي أَوْ سأجمعُ هَجْمَةً ... تَرى ساقِيَيْها يألَمَانِ التَّراقِيا

---

[١] محمد الخطراوي: شعر الحرب في الجاهلية عند الأوس والخزرج: ١٨٢.

[٢] شعر الطفيل بن عوف الغنوي: ديوانه، ت: كرنكو - لندن، ١٩٢٧م: ٤-٥. السميدع: السيد الموطأ الأكناف أو السيد الذي يلاذ به ويضاف في كنفه. الخطة: الحالة والخصلة. الخسف: الذل والهوان. الصقعب: الطويل. المطهم: المحسّن التام. رجيل: صُلْب قوي على المشي صبور عليه. السرحان: الذئب، وذئاب الغضا من أخبث الذئاب. المتأوب: المتهيء، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية المصري - القاهرة، ط ٢. ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م: ٣٣٢/١، ٤٢٥، ٥٦٩/٢، ٦٥٥ والفيومي: المصباح المنير، المكتبة العلمية - بيروت. د. ت: ١/١.

[٣] نوري القيسي: الفروسية في الشعر الجاهلي: ٧٩-٨٠.

[٤] ديوان سلامة بن جندل، ت: فخر الدين قباوة. المكتبة العربية - حلب. ١٩٦٨م: ٢١. الروع: الحرب. الحدثان: نوائب الدهر. هجمة، الهجمة: العدد العظيم من الإبل. التراقي: التعب من الصعود. المعجم الوسيط: ١٦٠/١، ٣٨٢. ٩٧٤/٢.

لقد حفل الشعر الجاهلي بصورة رائعة لغارات الفرسان، وخوارق بطولاتهم وتضحياتهم، وصواب آرائهم في الحرب، وحفل الشعر الجاهلي، بموضوعات البطولة، وصور رائعة للمعارك. قال زيد الخيل يصف معركة علا غبارها وجهه[1]:

رأتني كَأَشْلاءِ اللِّجامِ وَلَنْ ترى ... أخا الحربِ إلاَّ ساهِمَ الوجهِ أَغْبَرَا
أخا الحربِ إنْ عَضَّتْ بهِ الحربُ عَضَّها ... وإنْ شمَّرتْ عَنْ ساقِها الحربُ شَمَّرا

والمفضل النكري من أصحاب المنصفات[2] يبدي إعجابه بأعدائه، وينصفهم واصفاً ثباتهم في الحرب قائلاً:

هُمُ صَبَروا وصبرُهُمُ تليدُ ... على الْعَزّاءِ إذْ بلغَ الْمَضِيقُ
وهُمْ دَفَعُوا المنيَّةَ فاستقلَّتْ ... دِراكاً بعدما كادتْ تَحيقُ
تَلاقَيْنا بغَيْبَةَ ذي طُرَيْفٍ ... وبعضُهُمُ على بعضٍ حَنِيقُ
فجاؤوا عارِضاً بَرِداً وجِئْنا ... كَسَيْلِ العِرْضِ ضاقَ بهِ الطريقُ
مَشَيْنا شَطْرَهُمْ وَمَشَوْا إلينا ... وقلنا: اليومَ ما تُقْضى الحقوقُ
وكَمْ مِنْ سَيِّدٍ منّا ومنهُمْ ... بذي الطَّرْفاءِ مَنْطِقُهُ شَهيقُ
فأَشْبَعْنا السِّباعَ وأَشْبَعوها ... فراحَتْ كُلُّها تَتِقُ يَفُوقُ
فأبكَيْنا نساءَهُمُ وأَبْكَوْا ... نساءً ما يَسُوغُ لَهُنَّ ريقُ[3]

---

[1] البحتري: الحماسة، ت: لويس شيخو اليسوعي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م: ٣٣ وتنسب في حماسة ابن الشجري إلى حاتم الطائي: ١٥. ساهم الوجه: متغير الوجه. أغبر: علاه الغبار.

[2] المنصفات: هي القصائد التي أنصف قائلوها فيها أعداءهم، وصدقوا عنهم وعن أنفسهم، فيما اصطلوه من حر اللقاء، وفيما وصفوه من أحوالهم من إمحاض الإخاء دون مبالغة أو مغالاة، فذكروا بطولاتهم إلى جانب بطولة خصومهم، إنصافاً لهؤلاء الأبطال وتأييداً لهم في ثباتهم أمامهم. والمنصفات كما ذكرها صاحبا الأشباه والنظائر ثلاثة: ١٤٩. انظر الأصمعيات: ١٩٩، ونوري القيسي: الفروسية في الشعر الجاهلي: ٨١.

[3] الأصمعي: الأصمعيات: ٢٠٠. التليد: القديم، وأصله المال القديم. العزاء: الشدة. عارضاً: السحاب يعترض في أفق السماء. البرد: ذو القر والبرد. العرض: الوادي. ما تقضى الحقوق: قضاء الحقوق. ذو الطرفاء: موضع. التتق: الممتلىء. فاق يفوق فؤوقاً وفواقاً: أخذه البهر.

وقال المزرد بن ضرار الغطفاني يفخر بشجاعته، ويصف سلاحه[١]:

فَقَدْ عَلِمَتْ فِتْيانُ ذُبيانَ أنني ... أنا الفارسُ الحامي الذِّمارَ المقاتِلُ
وأني أردُّ الكبشَ والكبشُ جامحٌ ... وأَرْجِعُ رُمحي وهو ريَّانُ ناهِلُ
وعندي إذا الحربُ العَوَانُ تلقَّحتْ ... وأبدتْ هواديها الخطوبُ الزلازلُ

وقال ربيعة بن مقروم يفخر بقومه، ويصف شدة بأسهم في الحروب[٢]:

بنو الحربِ يوماً إذا استلأَمُوا ... حَسِبْتَهُمُ في الحديدِ القُروما
تَرَكْنا عُمارةَ بينَ الرماحِ ... عُمارةَ عبسٍ نزيفاً كليما
ولولا فوارسُنا ما دَعَتْ ... بذاتِ السُّلَيْمِ تميمٌ تَميما

ولقد وصفوا شدتها أنها إذا باشرها الشيخ المجرب غص بريقه، قال بشر بن عمرو بن مرثد[٣]:

قُلْ لابْنِ كُلثومٍ السَّاعي بذمَّتِهِ ... أَبْشِرْ بحربٍ تُغِصُّ الشَّيْخَ بالرِّيقِ
وصاحِبَيْهِ فلا يَنْعَمْ صَبَاحُهُما ... إذْ فُرَّتِ الحربُ عن أنيابها الرُّوقِ

لقد شغل العرب بالحرب كثيراً، وتحدثوا عنها في أشعارهم، حتى أصبح الحديث عنها موضوعاً أساسياً من موضوعات شعرهم[٤]. والسلاح عند العربي رمز ينضوي تحته كثير من المعاني، فيعد من أسمى آيات الاحترام وسبب إلى العزة والسيادة[٥]. لقد عرف العرب من أدوات الحرب في غابر عهدهم مثلما عرفت الأمم من هذه الأدوات في قديمها. إن العرب - وقد تمرسوا بالحرب - أعدوا لها عدتها من آلة الحديد، ومطايا النزال، ولقد أحاطوا بأوصاف السلاح وعدة الحرب بما لم تحط به أمة من أمم الحرب. وحق للعرب وهم في باديتهم محصورون أيام

---

[١] المفضل الضبي: المفضليات: ٩٥. الذمار: ما يجب على الرجل أن يحميه. كبش القوم: بطلهم وسيدهم. الناهل: الريان. العوان: التي قوتل فيها مرة بعد مرة. تلقحت: حملت بالقتال. هواديها: أوائلها. الزلازل: المصائب.

[٢] المصدر نفسه: ١٨٣. استلأموا: لبسوا اللأمة، وهي السلاح. القروم: فحول الإبل. عمارة: هو ابن زياد العبسي. كليم: مجروح، على وزان فعيل بمعنى مفعول. ذات السليم: موضع كان به يوم من أيامهم.

[٣] المصدر نفسه: ٢٧٤. فرت: أصلها من "فرّ الدابة" كشف عن أنيابها. الروق: طول الأسنان. قال الأصمعي: جعل أنيابها روقاً يهول بها.

[٤] نوري القيسي: الفروسية في الشعر الجاهلي: ٧٥.

[٥] المصدر نفسه: ١٦٥.

الجاهلية أن يحققوا بأوصاف سلاحهم وذكر حروبهم وعدتها، لأنها كانت تملأ حياتهم في ليلهم ونهارهم[١].

إن ظروف الحياة القاسية تفرض على البدوي أن يجيد الحرب، ويتقن أساليب القتال، وأن تكون الفروسية هي المثل الأعلى، وأن تكون الشجاعة بكل ضروبها وسيلته الناجعة للوصول إلى هذا الهدف. فلا غرابة أن يكون التدريب على القتال، ومعرفة طرق الحرب وممارسة ركوب الخيل لإعداد الأبناء للحرب، ليكونوا الطبقة الثانية من الفرسان[٢].

لقد ظهر لنا من خلال جولتنا مع الشعر الجاهلي، أن البيئة الجاهلية كانت تساعد على وجود المنازعات والمشاحنات، وانتشار الخوف والفزع، وتوقع الخطر في كل لحظة. مما نشأ عنه كثرة الحروب في أيامها. فكان من الطبيعي أن تصبح الأسلحة والمعدات الحربية ضرورية للحياة في ذلك الوقت، لذلك اهتم العربي اهتماماً كبيراً، وبذل كل ما يستطيع للحصول على أكبر كمية من خيرها وأجودها. وقد شرح لنا الشعراء في أشعارهم وجهة نظر الجاهلي نحو الأسلحة حينذاك، وأنها كانت عدته التي يعتمد عليها لمواجهة الخطر. قال أمية بن أبي الصلت[٣]:

وأرصَدْنا لِرَيْبِ الدهرِ جُرْداً ... لهاميماً وماذِيّاً حَصينا

وَخَطيّاً كأشْطانِ الرِّكايا ... وأسيافاً يَقُمْنَ ويَنْحنينا

لقد كابد الإنسان في شتى العصور أهوال الحرب، وعلم عواقبها الوخيمة، وللحرب آثارها المشهورة في أدب كل أمة بلا استثناء، وكان العرب في الجاهلية كغيرهم من الأمم في قتال لا يكاد يهدأ، وكانت تقع بين قبائلهم وأشرافهم ثارات وعداوات لا تكاد تنتهي، حتى اضطروا إلى أن يتخذوا لهم موضعاً حراماً دعوه بالسوق، وأشهراً حرماً، تهدأ فيها الخصومات وتغمد الصوارم وتتصل الأسباب.

والحرب طبيعتها الغلظة والقسوة، لا تعرف الرحمة والهوادة، فهي ضرام تأتي على زهرة شباب الأمم، وتأكل خيراتها، وتحطم مدنيتها وحضارتها، وقد وصفها عنترة فقال: "أولها شكوى وأوسطها نجوى وآخرها بلوى".[٤]

---

[١] زكي المحاسني: شعر الحرب في أدب العرب في العصرين الأموي والعباسي إلى عهد سيف الدولة: ٣٩.

[٢] نوري القيسي: الفروسية في الشعر الجاهلي: ١٦٧.

[٣] أبو زيد القرشي: جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام: ٤٠٩، ٤١٠. اللهموم: كثير الجري، وفي اللسان اللهموم: الجواد من الناس والخيل. الماذيّ: الدرع اللينة. الخطي: الرمح المنسوب إلى الخط وهو موضع بالبحرين تنسب إليه الرماح الخطية؛ لأنها تباع به. انظر المعجم الوسيط: ٢٤٤/١. الأشطان: جمع شطن، وهو الحبل. الركية: البئر.

[٤] ابن عبد ربه: العقد الفريد: ٩٤/١.

والحرب والغارات تعود على أصحابها بالمآسي والفواجع والكوارث، وتفرق شمل العشيرة، وتذهب برجالها، وتيتم أطفالها. قال عامر بن الطفيل مفتخراً ببطولته وبطولة قومه ومعدداً انتصاراتهم[١]:

ونحنُ صَبَحْنا حيَّ أسماءَ بالقنا ... ونحنُ تَرَكْنا حيَّ مُرَّةَ مَأْتَمَا
بَقَرْنا الحبالى مِنْ شَنُوءَةَ بعدما ... خَبَطْنَ بفيفِ الرِّيحِ نَهْداً وخَثْعما
ونحنُ صَبَحْنا حيَّ نجرانَ غارةً ... تَبيلُ حبالاها مَخَافَتَنا دَما

إن الحرب نكبة من أفدح النكبات، فهي تجر الويلات على الغالب والمغلوب معاً. وتستنزف مواردها، وتفقد الأمم النفوس البشرية الغالية، وتثكل الآباء والأمهات.

ولم تكن الحرب في نظر الشعراء مقبولة، فقد وصفها عمرو بن معدي كرب فقال: "مرة المذاق، إذا كشفت عن ساق، من صبر فيها عرف ومن نكل عنها تلف، ثم أنشأ يقول"[٢]:

الحربُ أوَّلُ ما تكونُ فُتَيَّةً ... تسعى بزينَتِها لِكُلِّ جَهُولِ
حتى إذا حَمِيتْ وَشُبَّ ضِرامُها ... عادتْ عجوزاً غيرَ ذاتِ خليلِ
شمطاءَ جزَّتْ رأسَها وتنكَّرتْ ... مكروهةً للشَّمِّ والتَّقْبيلِ

والعرب تقول: "الحرب غشوم لأنها تنال غير الجاني"[٣].

وعن أهوال الحرب وويلاتها يتحدث أيضاً عمرو بن معدي كرب قائلاً[٤]:

أشابَ الرأسَ أيامٌ طِوالٌ ... وَهمٌّ ما تَضَمَّنُهُ الضُّلوعُ
وَسوْقُ كتيبةٍ دَلفتْ لأُخرى ... كأنَّ زُهاءَها رأسٌ صليعُ

---

[١] ديوان عامر بن الطفيل، برواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري. ت: كرم البستاني، دار صادر – بيروت، ١٣٧٩هـ – ١٩٥٩م: ١١٧. القنا: جمع قناة، وهي الرمح. فيف الريح: موضع.

[٢] ابن عبد ربه: العقد الفريد: ٩٤/١. وابن قتيبة: الشعر والشعراء: ٢٣٥. ضرامها: اشتداد حرها. خليل: صديق. جزت رأسها: قطعت شعر رأسها.

[٣] ابن عبد ربه: العقد الفريد ٩٥/١.

[٤] ابن قتيبة: الشعر والشعراء: ٢٣٦. دلفت: مشت أوْ سعت رويداً رويداً. زهاء: عدد كثير أو مقدار كثير. الصليع: الأصلع؛ وهو المنحسر شعر رأسه.

ويتحدث عمرو بن معدي كرب لعاذلته التي تلومه على خوض غمار الحرب وركوب مخاطرها، فيجيبها بأن عدته في الحرب بدنه ورمحه وجواد ضامر سلس القياد[1]:

أعاذِلُ شِكَّتي بدني وَرُمحي ... وكُلُّ مُقَلَّصٍ سَلِسِ القِيادِ
أعاذِلُ إنما أفْنَى شَبابي ... رُكوبي في الصَّريخِ إلى المُنادِي

وإذا تتبعنا ألفاظ لغة العرب في مضمار الحرب، وجدنا أن لغة العرب لغة حرب وضرب، وطعان ونزال في أروع بيانها وأبرع تشابيهها. لقد عاش السيف في أيديهم يذكرون بلاءه في حز الرقاب وقصم الظهور وقطع الدروع. وعاش الرمح في أيدي الفرسان طعاناً في المبارزة يلتمع سنانه، فهو أزرق كأنياب الغول يخترق الصدور، ويدمي النحور. وكانت النبال للقتال فقرنوها بلحظ العيون الفواتن، وجعلوا من جعب السهام أجفان الغواني الرعابيب. وانطلقت الخيل في الحرب فكانت مرسلة كالريح فعبرت بهم على جثث العدى، أو أنجتهم من المهالك. وإذا رأى الشعراء أو سمعوا رغاء الماء وهديره، شبهوه برغاء البعير وجرجرة هديره، وإذا شاموا البرق قالوا: إنه لمعان السيوف، وإذا وصفوا العزائم قرنوها بمضي الجياد ونفاذ النبال[2].

ويذكر عمرو بن معد يكرب - فارس زبيد - ما أعد للحرب من عدة من درع ورمح وسيف، وقوس وسهم وفرس كأنه ثور الوحش في نشاطه:

أعْدَدْتُ للحربِ فَضْفاضةً ... دِلاصاً تثنّى على الراهشِ
وأجْرِدَ مُطَّرِداً كالرِّشاءِ ... وسيفَ سلامةَ ذي فائِشِ
وذاتَ عِدادٍ لها أزْمَلٌ ... بَرَتْها رُماةُ بني وابِشِ
وكُلَّ نَحيضٍ فتيقِ الغِرارِ ... عَزوفٍ على ظُفُرِ الرَّائِشِ

---

[1] ابن قتيبة: الشعر والشعراء: ٢٣٧. الشكة: ما يحمل أو يلبس من السلاح. المقلص: فرس طويل القوائم منضمُّ البطن مشمّر. سلس القياد: سهل القياد. الصريخ: المستغيث، الاستغاثة. والعاذل: منادى مرخم؛ وهي التي تلومه.
[2] زكي المحاسني: شعر الحرب في أدب العرب: ٣٩-٤١.

وأجردَ ساطٍ كشاةِ الإرا ... نِ رِيعَ فَعنٌّ على النَّاجشِ[1]

وقال المفضل النكري يصف حرباً دارت بين قومه وأعدائهم، وهي من المنصفات يذكر فيها السلاح الذي استخدم في المعركة من سهام ورماح[2] :

رَمَيْنا في وجوهِهِمُ بِرِشْقٍ ... تَغَصُّ بهِ الحناجرُ والْحُلُوقُ
يُهزْهِزُ صَعْدةً جَرْداءَ فيها ... سِنانُ الموتِ أو قِرْنٌ مَحيقُ
فأَلْقَيْنا الرِّماحَ وكانَ ضَرْباً ... مَقيلَ الْهَامِ كُلٌّ ما يَذوقُ

وذكر عامر بن الطفيل من عدة الحرب وأدواتها فرسه "المزنوق" والرماح[3] :

وقد عَلِمَ المزنوقُ أني أُكِرُّهُ ... على جَمْعِهِمْ كَرَّ المنيحِ الْمُشَهَّرِ
إذا ازورَّ مِنْ وَقْعِ الرِّماحِ زَجَرْتُهُ ... وقلتُ له: ارْجِعْ مُقْبلاً غيرَ مُدْبِرِ
ألستَ ترى أرماحَهُمْ فيَّ شُرَّعاً ... وأنتَ حِصانٌ ماجدُ العِرْقِ فاصبِرِ

---

[1] الأصمعيات: ١٧٧/٦٢. فضفاضة: واسعة، يريد الدرع. الدلاص: اللينة البراقة الملساء. الرواهش: عصب وعروق في باطن الذراع، وقيل في ظاهره، واحدتها راهشة وراهش. الأجرد: الرمح قد سويت كعوبه فأملس. مطرد: مستقيم. الرشاء: الحبل. سلامة ذو فائش: قيل من أقيال اليمن؛ وهو سلامة بن يزيد من بني يحصب. فائش: واد باليمن كان يحميه. ذات عداد: يريد القوس. وعدادها: صوتها ورنينها وهو صوت الوتر. الأزمل: الصوت. بنو وابش: قبيلتان عربيتان. وفي الشنقيطية: بنو وابش: من عدوان، وهم أرمى الناس. في الشنقيطية: "النحيض: السهم المرقق. فتيق: عريض. غرار: حد. عزوف: تسمع له صوتاً". والذي في اللسان: "نصل فتيق: حديد الشفرتين جعل له شعبتان كأن إحداهما فتقت من الأخرى". الرائش: الذي يريش السهم. ساط: الساطي من الخيل: البعيد الشحوة؛ وهي الخطوة. شاة إران: الثور الوحشي، وآرن الثور البقرة: طلبها. عنّ: ظهر. الناجش: الذي يثير الصيد ليمر على الصياد، أو الذي يحوش الصيد.

[2] الأصمعيات: ٢٠١/٦٩. الرشق: الرمي بالسهام. الصعدة: القناة المستوية. قرن: في صلب الشنقيطية "كانت العرب تضع مكان الأسنة القرون. المحيق: المدلوك المحدد". الهام: جمع هامة؛ وهي أعلى الرأس. ومقيله: موضعه.

[3] الأصمعيات: ٢١٥/٧٧، والمفضليات: ٣٦١/١٠٦. المزنوق: اسم فرسه. المنيح: قدح تكثر به القداح لا حظّ له، وإنما خُصَّ المنيح لكثرة جولانه في القداح، لأنه إذا خرج منها رد فيها، وإذا خرج منها غيره مما له حظ عزل عنها. المشهر: المشهور. عني بذلك كثرة جولانه عليهم. الإزورار: الميل عن الشيء، والإنحراف عنه.

وذكر الشاعر عبد قيس بن خفاف من عدة النائبات السيف والرمح والدرع[١] :

فأصبحتُ أعْدَدْتُ للنَّائبا ... تِ عِرْضاً بَريئاً وَعَضْباً صَقِيلا
وَوقْعَ لسانٍ كحدِّ السِّنانِ ... ورمحاً طويلَ القناةِ عَسُولا
وسابغةً مِنْ جيادِ الدُّرو ... عِ تَسْمَعُ للسيفِ فيها صَليلا

وقال طرفة في معلقته ذاكراً السلاح والسيف بأسمائه وصفاته "العضب والمهند والحسام":

فآليتُ لا يَنْفَكُّ كَشْحي بِطانةً ... لِعَضْبٍ رقيقِ الشَّفْرَتَيْنِ مُهنَّدِ
حُسامٍ إذا ما قمتُ مُنْتصِراً بهِ ... كفى الْعَوْدَ منهُ البَدْءُ ليسَ بِمِعْضَدِ
إذا ابْتَدَرَ القومُ السِّلاحَ وَجَدْتَني ... مَنيعاً إذا بلَّتْ بقائِمهِ يَدي[٢]

---

[١] الأصمعيات: ٨٨/٢٣١. والمفضليات: ١١٧/٣٨٦. العضب: السيف القاطع. الرمح العسول: المضطرب للينه. الدرع السابغة: الدرع الطويلة. الصليل: صوت ذو رنين.

[٢] الزوزني: شرح المعلقات السبع: ٩٠، ٩١ وابن الأنباري: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥. وعجز البيت الأول في شرح القصائد السبع لابن الأنباري: ٢١٣ "لأبيضَ عَضْبِ الشفرتيْنِ مهنّد". فآليت: حلفت. لا ينفك: لا يزال. الكشح: الخاصرة وما اضطمت عليه الأضالع. البطانة: نقيض الظهارة. العضب: السيف القاطع. شفرتا السيف: حداه. والجمع الشفرات والشفار. مهند: منسوب إلى الهند، وهي نسبة على غير قياس. وقال أبو عمرو: التهنيد: شحذ السيف. الحسام: القاطع من السيوف. منتصراً: متابعاً للضرب، ناصراً. وقال أبو جعفر: منتصراً: معناه أنتصر من ظلمي. كفى العود منه البدء: كفت الضربة الأولى التي بدأ بها أن يعود ثانية. المعضد: الرديء من السيوف التي تمتهن في قطع الشجر، وقيل الكليل من السيوف. ابتدر القوم: عجلوا إليه وتبادروا، استبقوه. وقال أبو جعفر: إذا ابتدر القوم السلاح: معناه إذا فوجئوا بالغارة فدهشوا كنت منيعاً. المنيع: الذي لا يقهر ولا يغلب. بلّ بالشيء: إذا ظفر به. قائم السيف: مقبضه.

وذكر عنترة في معلقته: الخيل وحصانه والقسي والرماح وسيوف الهند[1] :

هَلاَّ سألتِ الخيلَ يا ابنةَ مالكٍ ... إنْ كُنْتِ جاهلةً بما لم تَعْلمي

إذْ لا أَزالُ على رِحالةِ سابحٍ ... نَهْدٍ تَعاوَرُهُ الكُماةُ مُكَلَّمِ

طَوْراً يُجرِّدُ للطِّعانِ وتارةً ... يأوي إلى حَصِدِ القِسِيِّ عَرَمْرَمِ

ولقدْ ذَكَرْتُكِ والرماحُ نواهلٌ ... مِنِّي وبيضُ الْهِنْدِ تَقْطُرُ مِنْ دمي

وَمُدَجَّجٍ كَرِهَ الكُماةُ نِزالَهُ ... لا مُمْعِنٍ هَرَباً ولا مُسْتَسْلِمِ

جادَتْ لَهُ كَفِّي بِعاجلِ طَعْنةٍ ... بِمُثَقَّفٍ صَدْقِ الكُعوبِ مُقَوَّمِ

والخيلُ تَقْتَحِمُ الخَبارَ عَوابِساً ... ما بَيْنَ شَيْظَمةٍ وأَجْرَدَ شَيْظَمِ

---

[1] بدوي طبانة: معلقات العرب، دار المريخ للنشر - الرياض، ١٩٨٤م:١٨٨.

والبيت الرابع لم يرد في شرح القصائد السبع لابن الأنباري والزوزني والتبريزي ولا في مختار الشعر الجاهلي، ولكنه ورد في ديوان عنترة، ت: فوزي عطوي، دار صعب - بيروت ط ٣، ١٩٨٠م: ١٦. وكذلك البيت الأخير ورد في مختار الشعر الجاهلي: ٣٧٩/١ وورد في شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الأنباري: ٣٦٢ حيث ورد في عجزه: "من بين ..." والبيت السادس: "جادتْ لـه كفي ..." فهذه العبارة وردت في شرح المعلقات السبع للزوزني: ٢٠٧ ووردت على نحو آخر هو: "جادت يداي لـه ... " في شرح القصائد العشر للتبريزي: ٢٠٢ وشرح القصائد السبع الطوال لابن الأنباري: ٣٤٦ ومختار الشعر الجاهلي: ٣٧٧/١.

هلا: في هذا المقام تعني اللوم والتوبيخ. قوله "بما لم تعلمي" يريد عما لم تعلمي، والباء بمعنى عن. وفي البيت تقديم وتأخير، والمعنى "هلا سألت الخيل بما لم تعلمي إن كنت جاهلة يا ابنة مالك". الرحالة: سرج كان يعمل من جلود الشاء بأصوافها يتخذ للجري الشديد. والسابح من الخيل: الذي يدحو بيديه دحواً، أو فرس يسرع كأنه يسبح في الهواء. النهد: الغليظ. تعاوره؛ أي تتعاوره، فحذف إحدى التاءين: أي يطعنه ذا مرة وذا مرة. الكماة: جمع كميّ، وهو الشجاع التام السلاح. طوراً: مرة؛ وجمعه أطوار، وقال قوم: الطور: الحال. يجرد: يُبرز لـه ويُجدّ فيه. حصد: جيش كثير القسي. العرمرم: الكثير. والرماح نواهل: أي مرتوية من الدماء. بيض الهند: السيوف، وكانت أمضى أنواع السيوف. المدجج: الذي توارى بالسلاح. نزاله: منازلته. الإمعان: الإسراع في الشيء والغلو فيه. مستسلم، الإستسلام: الإنقياد والسكينة. بعاجل طعنة: سبقته بالطعن. المثقف: المصلح المقوّم. الصدق: الصلب. الكعوب: عقد الأنابيب. المقوم: الذي قد قوّم وسُوّيَ. الاقتحام: الدخول في الشيء بسرعة. الخبار: الأرض اللينة. العوابس: الكوالح من الجهد. الشيظم: الطويل من الخيل. الأجرد: القصير الشعر.

الفصل الثاني
البطـــل والبطولـــة

أولاً : البطل في اللغة

ثانيـــاً: مكانة البطل وقدسيته

ثالثـــاً: سمات البطل

رابعـــاً: أنواع البطولات

خامساً: دوافع البطولة

سادساً: البطل في الشعر

الفصل الثاني
البطـــــل والبطولـــــة

أولاً: البطل في اللغة:

جاء في لسان العرب[١]: بطل: بطل الشيء بطلاً وبطولاً وبطلاناً: ذهب ضياعاً وخسراً، فهو باطل، وأبطله هو، ويقال ذهب دمه بطلاً: أي هدراً، وبطل في حديثه بطالة وأبطل: هزل، والاسم البطل.

والباطل: نقيض الحق، والجمع أباطيل، على غير قياس، والبطلة: السحرة، وقد جاء في الحديث: ولا تستطيعه البطلة، قيل هم السحرة. ورجل بطّال ذو باطل. وقالوا: باطل بيّن البطول. وتبطلوا بينهم: تداولوا الباطل، عن اللحياني والتبطل: فعل البطالة وهو اتباع اللهو والجهالة. وقالوا بينهم أبطولة يتبطلون بها أي يقولونها ويتداولونها وأبطلت الشيء: جعلته باطلاً. وأبطل فلان: جاء بكذب وادعى باطلاً، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾[٢]. قال: الباطل هو إبليس أراد ذا الباطل أو صاحب الباطل وهو إبليس، وفي حديث الأسود بن سريع: كنت أنشد النبي ﷺ فلما دخل عمر قال: اسكت، إن عمر لا يحب الباطل، قال ابن الأثير: أراد بالباطل صناعة الشعر واتخاذه كسباً بالمدح والذم، فأما ما كان ينشده النبي ﷺ فليس من ذلك ولكنه خاف ألا يفرق الأسود بينه وبين سائره فأعلمه ذلك.

والبطل: الشجاع، وفي الحديث: شاكي السلاح بطل مجرب. ورجل بطل بيّن البطالة والبطولة: شجاع تبطل جراحته فلا يكترث لها ولا تبطل نجادته، وقيل: إنما سمي بطلاً لأنه يبطل العظائم بسيفه فيبهرجها، وقيل: سمي بطلاً لأن الأشداء يبطلون عنده، وقيل: هو الذي تبطل عنده دماء الأقران فلا يدرك عنده ثأر من قوم أبطال.

ونلاحظ نوعاً من الصلة الحميمة بين لفظة "بطل" وبين مفردات أخرى تلتقي معها في المرادفة والمعنى، مثل الحماسة والشجاعة والفروسية، وسائر المفردات الأخرى التي ولدت وترعرعت في بيئات الحرب والصراع الدامي.

---

[١] ابن منظور: لسان العرب، باب اللام فصل الباء. ويكاد يتفق مع ما في تاج العروس للزبيدي والقاموس المحيط وغيرهما من المعاجم العربية.

[٢] سبأ: ٤٩.

ثانياً: مكانة البطل وقدسيته:

لقد اعتادت المجتمعات البشرية خلال عصورها الأولى والمتأخرة على وجود شخصيات متفردة في تفوقها وقدرتها عن سائر الناس[١]. والبطل لا يقل شأواً عن الساحر والشاعر والملك والكاهن والسيد بما يحمله من صفات كل واحد منهم، وما يأتيه من أعمال خارقة جعلته موضع تبجيلها وتقديسها، الذي كان في عهود الحياة الأولى يعد شخصاً مقدساً، بل لقد كانوا يظنونه من سلالة الآلهة[٢].

وكان الاعتقاد السائد في عصر الأساطير أن الأبطال آلهة سقطت، أو تجسيدات لقوى خارقة في الطبيعة كضوء الشمس والعاصفة[٣].

والبطل يحقق غايات الجماعة، فضلاً عن وظيفته الأساس بتحدي الخطر المحدق بها أياً كان مصدره. لقد أصبح البطل تعبيراً عن الجماعة، أو عن وظيفة اجتماعية[٤]. وهذه المفاهيم تحتويها رؤية كليب بن ربيعة لأثر البطل في حياة جماعته[٥]، إذ يقول[٦]:

وما الناسُ إلاَّ تابعونَ لواحدٍ إذا كانَ فيهِ آلةُ المجدِ والفخرِ

وإذا تتبعنا سير الأبطال، رأينا أن شعر الملاحم زاخر بهم، على أساس أن الملحمة نفسها هي قمة الشعر البطولي[٧]. وأن أبطال الملاحم كائنات إنسانية ذوات قدرات خارقة لمعاونة الآلهة وأشباه الآلهة لهم[٨].

وإذا كان الشعر الجاهلي يفتقد إلى البطل الأسطوري، فإن ذلك لا يعني مصداقية الرأي القائل "إن العرب لم يعرفوا قديماً البطولة الأسطورية، إنما عرفوا البطولة الواقعية المستمدة من الواقع ووقائعه، لا من الخيال وخوارقه. وهي بطولة تستند إلى قوة الجسد والبأس الشديد[٩].

---

(١) أحمد إسماعيل النعيمي: الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، دار سينا للنشر - القاهرة، ط ١، ١٩٩٥م: ١٢٥.

(٢) شوقي ضيف: البطولة في الشعر العربي، دار المعارف بمصر، سلسلة اقرأ، عدد يوليو، ١٩٧٠م: ٩.

(٣) مؤيد محمد صالح اليوزبكي: البطولة في الشعر العربي قبل الإسلام، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، ١٩٨٤م: ١٢.

(٤) شكري عياد: البطل في الأدب والأساطير، دار المعارف بمصر، ط١، ١٩٥٩م: ٧٠٨.

(٥) أحمد النعيمي: الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام: ١٢٦.

(٦) لويس شيخو: شعراء النصرانية، دار المشرق - بيروت، ط٢، ١٩٦٧م: ١٤١.

(٧) أحمد أبو حاقة: فن الشعر الملحمي ومظاهره عند العرب، بيروت - دار الشرق الجديد، ١٩٦٠م: ٢٢.

(٨) سعد الدين محمد الجيزاوي: الملحمة في الشعر العربي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر - القاهرة، د.ت: ٧.

(٩) شوقي ضيف: البطولة في الشعر العربي: ١٣.

وذلك لعلة بسيطة هي أن هذا الرأي نظر إلى المسألة نظرة أحادية الجانب متمثلة بواقعية البطولة التي لا يمكن الشك فيها. ولكنه نسي أو تناسى أن البطولة العربية مملوءة بالرموز والإشارات الأسطورية المستمدة من تلك الملاحم القديمة جداً[١].

ويتمتع البطل في حياته بكل صفات الواقعية المتعارف عليها كالتفوق، والبأس، والهيبة، والذكاء، والخلق الرفيع، وسمو الأهداف، وباسمه تلهج الألسنة، وفي شخصه تجتمع مثل القبيلة العليا، وأعرافها، وتاريخها، وخلاصة أمجادها[٢].

ويزخر الشعر العربي بأبطال كان مصرعهم تضحية في سبيل الجماعة، استدر قصائد رثاء، لا تخلو من مضامين أسطورية موروثة. ولنأخذ مثالين هما: ربيعة بن مكدم، وصخر بن عمرو بن الشريد؛ فربيعة بن مكدم اشتهر - بين العرب - بلقب لم يفز به أحد قبله، وهو "حامي الظعينة"[٣]، وذلك لقول دريد بن الصمة[٤]:

ما إنْ رأيتُ ولا سَمِعْتُ بمثلهِ ... حامي الظعينةِ فارساً لم يُقْتلِ
أردى فوارسَ لم يكونوا نُهْزةً ... ثم استمرَّ كأنــهُ لم يَفعــلِ

وتلك حقيقة أكدها أبو عمرو بن العلاء، بقوله: "ولا نعلم قتيلاً ولا ميتاً حمى ظعائن غيره، وأنه يومئذ لغلام له ذوابة"[٥].

لقد غدا ربيعة بن مكدم مثالاً للفرسان في نخوتهم، والشجعان في مبارزتهم، والأبطال في مروءتهم ... فقد اجتمعت فيه صفات الرجال الثلاث، التي تعارف عليها العرب عندما قالوا: "الرجال ثلاثة: فارس وشجاع وبطل"[٦]. وهذه السمات كانت مدعاة مظاهر حزن طقوسية على قبر "ابن مكدم" مما انفرد به عمن سواه، إذ قيل: "كان يعقر على قبره في الجاهلية، ولم يعقر على قبر أحد غيره"[٧]. ومما تعلق بشعيرة (عقر الناقة) تحدثنا الأخبار - أن حسان بن ثابت - وقد مر

---

[١] أحمد النعيمي: الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام: ١٢٧.

[٢] المصدر نفسه: ١٢٨.

[٣] المصدر نفسه: ١٢٨.

[٤] الأصفهاني: الأغاني، ط، دار الكتب: ٦٦/١٦. نهزة: فرصة لمن يريدهم بِشَرّ.

[٥] المصدر نفسه: ٥٨/١٦.

[٦] النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، مطابع كوستاتوماس - القاهرة، د.ت: ٢٢٠/٣.

[٧] ابن عبد ربه: العقد الفريد، طبعة ١٩٦٧م: ١٣٦/١.

على قبر ربيعة بن مكدم، فرأى ناقته تنفر من حجارته[١]، فقال معتذراً عن عقر ناقته لبعد السفر ووحشة الطريق[٢]:

نَفَرَتْ قَلُوصي مِنْ حجارةِ حَرَّةٍ ... بُنيتْ على طَلْقِ اليدْينِ وَهُوبِ
لا تَنْفِرِي يا ناقُ منهُ فإنهُ ... شِرِّيبُ خَمْرٍ مِسْعَرٌ لحروبِ
لولا السِّفارُ وبُعْدُ خَرْقٍ مَهْمَهٍ ... لتركتُها تحبو على العُرقُوبِ

وقد قيل: "إنما كانوا ينحرون الإبل إعظاماً للميت، كما كانوا يذبحون للأصنام، كأنها بقايا من عبادة الموتى"[٣]. بمعنى أن هذا (البطل المقتول) قد ارتقى إلى مستوى الإله، على نحو ما صنعت قبيلة (حارثة بن لام) التي جعلت قبره إلهاً يعبد ويحلف به، ذلك ما نستشفه من قول بشر بن أبي خازم[٤]:

جعلتُمْ قبرَ حارثةَ بنِ لامٍ ... إلاهاً تَحْلِفُونَ به فُجورا

وتحدثنا الأخبار عن قيام بعض العرب بعقر رواحلهم على قبر البطل (عمرو بن حممة الدوسي)، وإنشاء مراثيهم فيه منهم: الهدم بن امرئ القيس وحاطب بن قيس وعشيك بن قيس[٥].

ويحسن بنا أن نعرج على صخر بن عمرو الشريد بوصفه أبرز بطل اقترن مصرعه بقصائد رثاء أخته الخنساء:

---

[١] بشرى الخطيب: الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام: ١٣٨-١٣٩.

[٢] الأصفهاني: الأغاني، ط، دار الكتب: ٦٤/٦. لقد ذكر العلماء أسماء نسبت إليهم هذه الحادثة والأبيات منهم التبريزي: الحماسة ٣٧٥/١، والمرزوقي: شرح ديوان الحماسة ٩٠٥/٢، وانظر الأغاني: ٦٤/٤. نفرت: فزعت. القلوص: الناقة. الحرة: أرض ذات حجارة سود. طلق اليدين: سمح سخيّ. وهوب: معطاء. مسعر حرب: يهيجها. السفار: السفر. الخرق والمهمه: المفازة، الفلاة الواسعة. تحبو: تزحف. العرقوب من الدابة: ما يكون في رجلها بمنزلة الركبة في يدها.

[٣] أبو عبيدة: كتاب أيام العرب قبل الإسلام، ت: عادل جاسم البياتي، دار الجاحظ للطباعة والنشر - بغداد، ١٩٧٦م: ٢٩٦/١.

[٤] ديوان بشر بن أبي خازم، ت: عزة حسن، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم - دمشق، ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م: ٩١. فجوراً: كذباً.

[٥] القالي: الأمالي، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب - المكتب التجاري للطباعة والنشر - بيروت، د.ت: ١٤٣/٢.

سَقْياً لِقبرِكَ مِنْ قبرٍ ولا بَرِحَتْ جَوْدُ الرَّواعدِ تَسْقيهِ وَتَحْتلِبُ[١]

وتضفي الخنساء طابع القداسة على ضريح صخر وذلك قولها[٢] :

سَقَى الإلهُ ضَريحاً جَنَّ أعظُمَهُ ورُوحَهُ بغزيرِ المُزْنِ هَطَّالِ

ونلمس مظاهر تأليه الأبطال من اقترانهم بالكواكب والنجوم المؤلهة، فكان صخر في نظر الخنساء موازياً للقمر، أو للإله (القمر)، حتى كان مصرعه لذلك الإله، فيطالعنا قولها[٣] :

كُنَّا كأنجُمِ ليلٍ وَسْطَها قَمَرٌ يجلو الدُّجى فهوى مِنْ بيننا القمرُ[٤]

وتحاول أن تمنحه خلوداً سرمدياً، عندما قرنته بحركة الشمس اللامنتهية في طلوعها وغروبها:

يُذَكِّرُني طُلوعُ الشمسِ صَخْراً وأذكُرُهُ لِكُلِّ غُروبِ شَمْسِ[٥]

ولعل نعت الخنساء لأخيها، وهي ترثيه – بالحامي، حامي الحقيقة، والعرين والذمار[٦] – دليل على تأليه صخر، من حيث إن هذه التسميات لها دلالات ذات طابع قدسي، ونتأمل ذلك في بعض أشعارها في قولها[٧] :

حامي الحقيقةِ والمجيرَ إذا ما خِيفَ حَدُّ نوائبِ الدهرِ

---

[١] شعر الخنساء، ت: كرم البستاني، دار المسيرة – بيروت، ط ٢، ١٩٨٢م: ١٣. الجود: المطر الغزير. الرواعد، واحدتها راعدة: السحابة التي ترعد. تحتلب: استعارت الاحتلاب لصب المطر.

[٢] ديوان الخنساء، دار صادر – بيروت، د.ت: ١٠٩. الضريح: القبر. جن: ستر. المزن: السحاب، واحدتها مزنة. هطال: كثير.

[٣] أحمد النعيمي: الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام: ١٣٣.

[٤] ديوان الخنساء: ٧٣. الدجى: شدة الظلمة. هوى: سقط.

[٥] المصدر نفسه: ٨٤. أي أنها تذكره في أول النهار للغارة وفي آخره للضيفان. تصفه بالبأس والجود.

[٦] المرجع نفسه: ٨، ١١، ٥٦، ٦٠، ٦٨، ١٠٥، ١١٧.

[٧] المصدر نفسه: ٥٦. نوائب الدهر، نوائب: جمع نائبة، ما ينزل بالرجل من الكوارث والحوادث المؤلمة، أي مصائب الدهر.

وقولها[١] :

وإنَّ صخراً لوالينا وسيِّدُنا　　وإنَّ صخراً إذا نشتو لنحَّارُ

وعلى ذلك يكون شعر الخنساء أكثر من رثاء أخ، إنه محاولة لبلورة المثل العليا للبطل، ولعل هذه الصورة المثلى قد تقترب من صورة الإله "ود" المحارب الذي من صفاته أنه الكهل القدير. وربما وقر ذلك في نفس الخنساء في قولها[٢]:

أقولُ: أبا حسَّانَ لا العيشُ طيِّبٌ　　وكيفَ وَقَدْ أُفْرِدْتُ منكَ يطيبُ

فتى السِّنِّ كَهْلُ الحِلْمِ لا مُتَسَرِّعٌ　　ولا جامدٌ جَعْدُ اليدَيْنِ جَديبُ[٣]

ونعتته بالرجل الكريم عندما رثته بقولها[٤]

السَّيِّدُ الجحْجاحُ وابنُ　　السَّادةِ الشُّمِّ الجحاجِحْ

"والرجل الكريم في الشعر الجاهلي ليس واحداً من الناس... ذلك أنه يتجاوز حجب المجتمع الإنساني لكي يتصل بالطبيعة ويأخذ إلهامه من السحاب، فالكريم دائماً إنسان موهوب، كما يوهب الشعراء[٥]" فكأنه بشعيرة الكرم يبلغ الكمال، وذلك ما قررته الخنساء بقولها[٦]:

هو الفتى الكامِلُ الحامي حقيقتَهُ　　مأوى الضَّريكِ إذا ما جاءَ مُنْتابا[٧]

ولم تقتصر على ذلك بل جعلت في رأسه ناراً، شهرة في الكرم، وناراً على علم الهداية بقولها[٨] :

وإنَّ صخراً لتأتمُّ الهداةُ بهِ　　كأنَّهُ عَلَمٌ في رأسِهِ نارُ

---

[١] ديوان الخنساء: ٤٨. تصفه بالجود، أي ينحر للضيوف إذا نزل بالناس ضيق الشتاء.

[٢] أحمد النعيمي: الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام: ١٣٥.

[٣] ديوان الخنساء: ١٥. الكهل: من جاوز الثلاثين ووخطه الشيب، وقيل من بلغ الأربعين. الحلم، والحليم: الذي يصفح ويعفو. جعد اليدين: كناية عن البخل. الجديب: الممحل، غير المخصب.

[٤] المصدر نفسه: ٢١. الجحجاح: السيد المسارع إلى المكارم.

[٥] مصطفى ناصف: قراءة ثانية لشعرنا القديم، مطبعة دار لبنان - بيروت. د.ت: ١٣١-١٣٢.

[٦] أحمد النعيمي: الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام: ١٣٦.

[٧] ديوان الخنساء: ٨. الحامي حقيقته: أي يحمي ما لزمه الدفاع عنه. الضريك: الضرير والفقير والسيء الحال. المنتاب: الزائر الذي يأتي مرة بعد أخرى.

[٨] المصدر نفسه: ٤٩. تأتم به: تهتدي به. الهداة، واحدها هاد: المرشد، المتقدم. كأنه علم في رأسه نار: مثل ضربته في شهرة أخيها، والعلم: جبل.

مما تقدم نستنتج أن الأسطورة قد نفذت إلى هؤلاء الأبطال بعد مماتهم، وذلك واضح من الصفات التي أحيطت بهم، على الرغم من كونهم كائنات إنسانية، وتلك الصفات هي التي ارتفع بها البطل عمن حوله من الناس الاعتياديين ارتفاعاً يملأ نفوسهم إجلالاً ورهبة. ويستقيم ذلك كله مع الرأي القائل[١] إن "الأمم تقف عند حقيقة الإيمان بوجودها من خلال البطل"[٢].

وتتجلى في صورة البطل ملامح الأمة، وتتوقد في وهج عيونه بوارق التطلع الحاد الذي يرسم أبعاد طموحها. والشعراء كانوا يدركون أن الفارس، وهو يمارس ألوان الشجاعة، ويقدم نماذج الاقتحام البطولي، هو جزء من المجتمع الذي منحه هذه الصفات، ووهبه المسؤوليات.

إن النصر الذي يحققه أي إنسان من أبناء الأمة، هو النصر الذي يتوج حياتها، ويرفع مكانتها، ويعلي قدرها، وإن الإرث القتالي أو الظفر البطولي الذي يكتب في أية معركة هو الأرض الذي تبقى عناصره فاعلة في كل مأثرة تذكر لهذه القبيلة. ومن هنا كانت التربية الحربية والحرص على بقاء السيادة جانباً آخر من الجوانب الشعرية التي اهتم بها الشعراء وهم يعالجون هذه الموضوعات مما دفع الشعراء إلى التغني بالبطولة، كما قال بشامة بن حزن النهشلي[٣]:

وليس يَهْلِكُ منا سيِّدٌ أبداً ... إلا افتلَيْنا غُلاماً سَيِّداً فينا

أو كما قال لقيط بن زرارة[٤]:

وإني مِنَ القوم الذينَ عَرْفتَهُمْ ... إذا ماتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قامَ صاحِبُهْ

أو كقول السموأل[٥]:

إذا سَيِّدٌ منا خلا قامَ سَيِّدٌ ... قَؤُولٌ لِمَا قالَ الكِرامُ فَعُولُ

أو قول حاتم الطائي[٦]:

إذا ماتَ منا سَيِّدٌ قام بعدَهُ ... نظيرٌ لَهُ يُغْني غَنَاهُ ويَخْلُفُ

أو قول عروة بن الورد[٧]

إذا ماتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قامَ بعدَهُ ... على مَجدِهِ غَمْرُ الْمُروءَةِ سَيِّدُ

---

[١] أحمد النعيمي: الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام: ١٣٦.

[٢] نوري القيسي: البطل في التراث، مطبعة المجمع العلمي العراقي - بغداد، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م: ١٧.

[٣] أبو تمام: ديوان الحماسة، شرح التبريزي: ٢٦/١. الاقتلاء: الاقتطام.

[٤] ابن قتيبة: الشعر والشعراء: ٧١١/٢.

[٥] أبو تمام: ديوان الحماسة، شرح التبريزي: ٣٠/١. قؤول: أي يقول.

[٦] ديوان الحماسة، شرح المرزوقي: ١٢١/١. النظير: المِثل والمساوي.

[٧] المصدر نفسه: ١٢١/١. الغمر: الشديد.

والبطل في أدبنا يختلف عن البطل في الآداب الأخرى، لأن البطل في الأدب العربي نموذج حي يتفاعل مع الأحداث، ويعبر عن طموح الأمة وآمال أبنائها، ويتفق مع ميولهم، ويرضي قيمهم ويحقق أهدافهم. ولم ينحدر من سلالة الآلهة كالبطل الذي تتحدث عنه الأساطير الإغريقية والرومانية. إن صورة البطولة في المعارك الحاسمة هي الصورة الممتدة عبر الأجيال الطويلة[١].

إن البطولة تتصرف عند الخاطر الأول إلى الشجاعة وهذا معناها الشامل القديم ولا زال باقياً. ولكن معناها قد يتطور مع تطور المجتمعات واختلاف نظرتها إلى السلوك الإنساني[٢]. والبطولة سمو وتشوف للكمال، ورياضة للروح والجسم أو تعبير مكتمل عن طاقة قوية متفردة، والشجاعة على اختلاف معانيها جوهر البطولة الفرد، وبإيجاز فهي صفة إنسانية بارزة وقد تكون مادية ظاهرة أو معنوية دافعة[٣]. إن الناس مفطورون على الحرية الخيرة، ومثل هذا الإنسان خليق دائماً بالحب، ولذلك يفتش الناس عن أمثاله في القصص، وقد اعتملت أصابع الإغريق فأخرجت له التماثيل، وعرب الجاهلية قد عبدوا الأصنام لأنها كما قيل، صور لأناس فاضلين من الغابرين، يلتمسها القوم في الأحجار، والناس إذا فاتهم التعبير بالصور راحوا يؤلفون الأساطير لإشباع حاجة بشرية[٤].

ولا زالت الأمم في عصرنا الحاضر تضفي هالة من التقديس على عظمائها وأبطالها. وخير مثال على ذلك تلك النصب التذكارية، التي تبدو شامخة للعيان في حواضر دول العالم، إجلالاً وتبجيلاً وإكباراً لرجالاتها الذين سقطوا في ميادين العزة والشرف.

ثالثاً: سمات البطل:

بالاستناد إلى أقوال الشعراء الجاهليين عن سمات البطل، يتبين لنا: أنه الذي كانوا يعدونه ذخيرة لوقت الخطر، وأهلاً للاعتماد عليه في القتال. ومع أن المقصود من البطل الناحية التي تتصل بالحرب وهي القوة والشجاعة، فقد وصفوه فوق ذلك بصفات أخرى، لو اجتمعت كلها لكان شخصاً كاملاً في الخُلُقِ والخَلْقِ والصفات والعادات. وهم لا يعنون القوة الجسمية فحسب، بل ما يشمل أيضاً القوة في العقل والخلق، والقوة في الشرف والكرامة. فالصفات المذكورة هنا كلها

---

[١] نوري القيسي: البطل في التراث، سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد، ط١، ١٩٨٨م: ٦ وما بعدها.

[٢] محمد مهدي المجذوب: البطولة في الأدب الجاهلي، مجلة الآداب - بيروت، السنة السابعة، العدد الأول، كانون الثاني، ١٩٥٩م: ٣٨.

[٣] المصدر نفسه: ٣٨.

[٤] المصدر نفسه: ٣٨.

مأخوذة من أقوال الشعراء حينما يتحدثون عن البطل الذي تعتز به القبيلة، وتتخذه عدة لها في الشدائد وعماداً تبني عليه صرح مجدها وعظمتها[١]. ونستظهر هنا ما وصف به الشعراء أبطالهم المثاليين بسمات منها[٢]:

١) الأصل والناحية الجسمية:

لقد اهتم الشعراء الجاهليون في حديثهم عن الأبطال بالأصل والنسب ... فالبطل الحقيقي من كان نبيل النسب، من آباء كرماء، ومن أصل عريق، لم يختلط نسبه، وإلا كان ناقصاً، ولذلك أنفوا أن يلحقوا أولاد الإماء بنسبهم، ويروي التاريخ، أنه لولا ما أظهره عنترة من البطولة والشهامة لما استلحقه أبوه بنسبه، وقد ورد أن عدم إلحاق عنترة بقومه من النسب، كان له أثر كبير في نفسه جعله يفخر ببطولته، من ذلك قوله[٣]:

إني امرؤٌ مِنْ خَيْـــرِ عبـــسٍ مَنْصِباً ... شطري وأحمي سائري بالْمُنْصُلِ
وإذا الكتيبةُ أحجمتْ وتلاحظتْ ... أُلفيـــتُ خيـــراً مِنْ مُعَمٍّ مُخْوَلِ

ومن الفخر كذلك قول دريد بن الصمة[٤]:

يُغارُ علينا واترينَ فَيُشْتَفَى ... بنا إنْ أُصِبْنا أَوْ نُغيرُ على وِتْرِ

أما من الناحية الجسمية للبطل، فكل ما ذكروه فيها يدور حول المنظر العام له بحيث يبعث الهيبة والروعة في قلب من تقع عليه عينه لأول وهلة، يقول عنترة[٥]

بَطَلٍ كَأَنَّ ثيابَهُ في سَرْحَةٍ ... يُحذَى نِعالَ السِّبْتِ ليس بِتَوْأَمِ

---

[١] بهيج مجيد القنطار: الطبيعتان الحية والصامتة في الشعر الجاهلي، دار الآفاق التجارية - بيروت، ط١ ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م: ٣٨٣.

[٢] المصدر نفسه: ٣٨٣-٣٩٠.

[٣] ابن قتيبة: الشعر والشعراء: ١٥١ وديوان عنترة، ت: محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي - بيروت، ط٢، ١٩٨٣م: ٢٤٨، ٢٥٠. المنصب: الحسب والأصل. المنصل: السيف. الكتيبة: العسكر، سميت بذلك لاجتماعها، ويقال: كتبت الشيء إذا جمعت بعضه إلى بعض. أحجمت: جبنت. تلاحظت: نظر بعضهم إلى بعض أيهم يتقدم. المعم المخول: الكريم الأعمام والأخوال.

[٤] المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: ٨٢٦/٢. ومعنى البيت: إذا أصيبت دماؤنا كان فيها للأعداء الشفاء، ونغير على واترين لنا.

[٥] ابن الأنباري: شرح القصائد السبع: ٣٥٢. في سرحةٍ: أي على سرحةٍ. والسرحة: الشجرة الطويلة. يحذى نعال السبت: أي ليس براعي إبل فيلبس الجلد الفطير. السبت: جلود البقر إذا دبغت بالقرظ. ليس بتوأم: لم يزحمه آخر في الرحم فيخرج ضاوياً ضعيفاً.

وقال قيس بن الخطيم[١] :

مَعاقِلُهُمْ آجامُهُمْ ونساؤهُمْ وأيْمانُنا بالْمَشْرَفِيَّةِ مَعْقِلُ

أما قوة البطل وحزمه فقد شبهت بالرمح والسيف، قال الأعشى[٢] :

فيها فوارسُ محمودٌ لقاؤهُمُ مثلُ الأسنَّةِ لا مِيلٌ ولا كُشُفُ

وقال دريد بن الصمة[٣] :

فتىً مِثْلُ نصلِ السيفِ يهتزُّ للندى كعاليةِ الرُّمْحِ الرُّدَيْنيِّ أرْوَعَا

أما عمرو بن معد يكرب فقد شبه نفسه بالسيف لا ثاني له في غمده[٤] :

ذهبَ الذينَ أُحِبُّهُمْ وبقيتُ مِثْلَ السيفِ فَرْدا

وقال أيضاً[٥] :

قَومٌ إذا لَبِسوا الحديـ ـدَ تَنَمَّرُوا حَلَقاً وَقِدَّا

وشُبِّه الأبطال بالثعبان في سرعة القضاء على خصمه، قال طرفة بن العبد[٦] :

أنا الرجلُ الضَّرْبُ الذي تَعْرِفُونَهُ خَشَاشٌ كرأسِ الحيَّةِ الْمُتَوَقِّدِ

---

[١] ديوان قيس بن الخطيم: ٢٤. المعقل: الموضع يلجأ إليه. آجام: حصون. المشرفية: سيف منسوب إلى مشارف الشام.

[٢] ديوانه: ٢٤٩. الأسنة: الرماح. لا ميل: غير مترددين. ولا كشف: لا ينهزمون في الحرب.

[٣] الأصفهاني: الأغاني، صورة عن طبعة بولاق الأصلية: ٧/٩. الندى: الفضل والخير، الكرم. العالية: النصف الذي يلي السنان من الرمح. الأروع: الذي يرتاع لحدته من كل ما سمع أو رأى.

[٤] أبو تمام: ديوان الحماسة، شرح التبريزي: ٥٢/١.

[٥] المصدر نفسه: ٥٢/١. تنمروا: أي أنهم إذا لبسوا الدروع تشبهوا بالنمر في أفعالهم في الحرب. الحلق: الدروع المنسوجة حلقتين حلقتين. القد: أراد به الإبل؛ وهو شبه درع كان يتخذ من الجلد غير المدبوغ.

[٦] ابن الأنباري: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: ٢١٢. الرجل: الشديد الشجاع. الضرب: الخفيف. الخشاش: الذي ينخشُ في الأمور ذكاء ومضاء. كرأس الحية: معناه هو خفيف الروح ذكي. المتوقد: الذكي.

وقد شبههم الشعراء في ميادين القتال بساحة الألعاب – وأيديهم حاملة السيوف – بالمخاريق. قال قيس بن الخطيم[١]:

أُجالِدُهُمْ يومَ الحقيقةِ حاسِراً كأنَّ يدي بالسيفِ مِخْراقُ لاعِبِ

وقال عمرو بن كلثوم في معلقته[٢]:

كأنَّ سُيوفَنا فينا وفيهِمْ مخاريقٌ بأيدي لاعبينا

رابعاً: أنواع البطولات[٣] : ومن أنواع البطولات:

١) **البطولة الحربية:** التي تنضوي تحتها الفروسية والقوة والغلبة، ولها عند المحدثين صورتان من التعبير:

أ- ما أطلق عليه الباحثون الغربيون اسم "الشعر القصصي" أو "شعر الملاحم" حيث ينظم الشاعر قصيدة طويلة تحكي ضروب البطولة التي تمثلت في رجل واحد، أو في عدد من الرجال الأبطال، أو يؤرخ فيها حوادث أمة في فترة من تاريخها.

ب- ما أطلق عليه العرب القدماء اسم "شعر الحماسة"؛ وهي القصائد والمقطعات التي نظمها شعراء متعددون يفخرون فيها بأنفسهم أو بأبطال قبيلتهم وأقوامهم بما أبدوا من ضروب القوة والفروسية.

إن البطولة العربية بطولة حربية، ولقد كانت القبائل في جزيرة العرب كالعواصف على الخيل والإبل، تطير بها الغارات إما لها وإما عليها، ولذلك فقد كانت شغل الشعراء الشاغل، ولم تكن هذه الحروب خرساء تجمجم بصليل السيوف وصهيل الخيل، وإنما كانت ملحمة شاعرة تتطاحن فيها ألسنة الشعراء. ويزعم الباحث أن أيام العرب كانت ضرورة لتصفية القيم، فلقد اكتمل النظام القبلي بكل مآثره، ووقفت القبائل وجهاً لوجه، تعرض ما لديها في زحمة التنافس[٤].

٢) **بطولة النفس:** وتتمثل في القيم المثلى التي كان يعيشها الإنسان، فيصبح البطل مثلاً يحتذى في: الصبر على الشدائد، وتحمل المشاق، ونجدة المضاف، وإغاثة الملهوف، وبذل ما في الوسع – وفوق ما في الوسع – قرى للضيف ونائلاً للسائل، وفي: الحكمة ورجاحة العقل وسداد

---

[١] ديوانه: ١٣. أُجالدهم: أضربهم بالسيف. الحاسر: من لا درع له ولا مغفر. مخراق: ثوب أو منديل، يُلوى فيضرب به أو يُفزّع به في لعبة للصبيان.

[٢] ابن الأنباري: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: ٣٩٧.

[٣] ناصر الدين الأسد: البطولة كما يصورها الأدب الجاهلي، مجلة الآداب – بيروت، السنة السابعة، العدد الأول، كانون الثاني، ١٩٥٩م: ٤٢.

[٤] محمد مهدي المجذوب: البطولة في الأدب الجاهلي: ٣٨.

الرأي والمنطق، والحلم عن قدرة، والوفاء بالعهد، والحفاظ على الذمام، وإباء الضيم، والترفع عن الدنايا، والتحلي بكل ما يراه مجتمعه فضيلة في النفس والخلق[١].

٣) **بطولة القبيلة:** إن الشاعر لسان حال قبيلته وترجمانها يهتف لسانه بشعر يمجد فيه قومه، ويرفع لهم تمثالاً ضخماً بارز الملامح يراه الحاضر والغائب، ويراه صناع التماثيل في سوق عكاظ. وخير مثال على ذلك لبطولة القبيلة وشاعرها، الشاعر الحرث بن حلزة اليشكري، التي صدرت معلقته المشهورة التي تتصف بالحكمة والدهاء عن مشورة لقبيلته الفخمة القوية، ويخالف الباحث أولئك الذين يزعمون أنها مرتجلة[٢].

٤) **البطولة الفردية:** وهو البطل الشريف بحسبه ونسبه، الواثق من شجاعته وقوته، العازف عن مواقف الضيم والهوان ذلك هو عمرو بن كلثوم سيد تغلب. والأبيات التالية من معلقته الفخمة، تخرجه من نطاق القبيلة إلى آفاق بعيدة يبسط فيها الشاعر سيادته على الأرضين والبحار ... فكأنه كان يحلم - وهو في نشوة المجد - بمصير هذه البطولة في المستقبل[٣]. فنراه يردد في زهو وخيلاء واعتداد بالنفس وهو ممتلىء فخراً وحماسة:

لنا الدُّنْيا وَمَنْ أَمْسَى عليها ... وَنَبْطِشُ حينَ نَبْطِشُ قادرينا
إذا بَلَغَ الفِطامَ لنا صَبِيٌّ ... تَخِرُّ لَهُ الجبابِرُ ساجِدِينا
مَلأْنَا البَرَّ حتى ضاقَ عَنَّا ... وظَهْرَ البحرِ نَمْلؤُهُ سَفينا[٤]

ومن صور البطولة الفردية قول عنترة:

وَمُدَجَّجٍ كَرِهَ الكُمَاةُ نِزالَهُ ... لا مُمْعِنٍ هَرَباً ولا مُسْتَسْلِمِ
جَادَتْ يدايَ لَهُ بعاجِلِ طَعْنَةٍ ... بِمُثَقَّفٍ صَدْقِ الكُعوبِ مُقَوَّمِ
برحيبةِ الْفَرْغَيْنِ يهدي جَرْسُها ... بالليلِ مُعْتَسَّ الذِّئابِ الضُّرَّمِ
فَشَكَكْتُ بالرُّمْحِ الأَصَمِّ ثِيابَهُ ... ليسَ الكريمُ على القنا بِمُحَرَّمِ[٥]

---

[١] ناصر الدين الأسد: البطولة كما يصورها الأدب الجاهلي: ٤٣.

[٢] محمد مهدي المجذوب: البطولة في الأدب الجاهلي: ٣٩.

[٣] المصدر نفسه: ٣٩.

[٤] التبريزي: شرح القصائد العشر: ٣٢٢.

[٥] ابن الأنباري: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: ٣٤٥-٣٤٧. المدجج: الذي قد توارى بالسلاح. الكماة: جمع كمي، وهو لابس السلاح، الشجاع. نزاله: منازلته. لا ممعن هرباً: ليس له ثمة هرب إلا التحرف والتمكن للطعن والضرب. المثقف: المصلّح المقوّم. الصدق: الصُّلب. الكعوب: عقد الأنابيب. الرحيبة: الواسعة. الفرغين: الفرغ مدفع الماء إلى الأودية، ضرب ذلك مثلاً لمخرج الدم من الطعنة. الجرس: الصوت. المعتس من الذئاب: المبتغي الطالب. الضرم: الجياع. شككت: انتظمت. الأصم: الصلب. القنا: جمع قناة، وهي الرمح.

أما الصورة الثانية فهي صورة المبارزة الفردية في قوله[١]:

وَمِشَكٍّ سابغةٍ هَتَكْتُ فُروجَها ... بالسَّيْفِ عَنْ حامي الحقيقةِ مُعْلِمِ
رَبِذٍ يَداهُ بالقِداحِ إذا شَتا ... هَتَّاكِ غاياتِ التِّجارِ مُلَوَّمِ
لما رآني قَدْ نَزَلْتُ أُريدُهُ ... أبدى نَواجِذَهُ لغيرِ تَبَسُّمِ
فَطَعَنْتُهُ بالرُّمْحِ ثُمَّ عَلَوْتُهُ ... بِمُهَنَّدٍ صافي الحديدةِ مِخْذَمِ
عَهْدي بهِ مَدَّ النهارِ كأنما ... خُضِبَ البنانُ ورأْسُهُ بالعِظْلِمِ
بطلٍ كأنَّ ثيابَهُ في سَرْحَةٍ ... يُحذَى نِعالَ السِّبْتِ ليسَ بتوأمِ

أما الصورة الثالثة فهي النزال المفرد[٢]:

وحليلِ غانيةٍ تَرَكْتُ مُجدَّلاً ... تمكُو فريصتُهُ كِشِدْقِ الأَعْلَمِ
سَبَقَتْ يداىَ لَهُ بعاجلِ طَعْنَةٍ ... ورشاشِ نافذةٍ كَلَوْنِ العَنْدمِ

أما بطولة عنترة الفردية من خلال القتال الجماعي[٣]:

لما رأيتُ القومَ أقبلَ جَمْعُهُمْ ... يتدامرونَ كَرَرْتُ غيرَ مُذَمَّمِ
يَدعُونَ عَنترَ والرماحُ كأنَّها ... أشطانُ بِئْرٍ في لَبانِ الأَدهَمِ

---

[١] ابن الأنباري: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: ٣٤٩-٣٥٢. مشك سابغة: مشكها: نسجها والسابغة: الدرع الواسعة. هتكت: قطعت وخرقت. حامي الحقيقة: يحمي ما يحق عليه أن يمنعه. الربذ: السريع الضرب بالقداح. القداح: القمار والميسر. إذا شتا قال يعقوب: إنما يضربون في شدة الزمان وكَلَب البرد. هتاك غايات التجار، غايات: العلامات والرايات. التجار: الخمارون. معناه أنه يأتي الخمارين فيشتري كل ما عندهم من الخمر فيقلعون راياتهم ويذهبون. ملوم: معذَّل يلام على إنفاق ماله في الفتوة. أبدى نواجذه: كلح في وجهي فبدت أضراسه. والناجذ: آخر الأضراس. المهند: المعمول بالهند. والتهنيد: شحذ السيف. المخذم من السيوف: الذي ينتسف القطعة، أي يرمي بها. مد النهار: أوله. البنان: أطراف الأصابع، واحدتها "بنانة". العظلم: الوسمة؛ وهي شجرة لها ورق يختضب به.

[٢] المصدر نفسه: ٣٤٠، ٣٤٢. حليل: زوج. غانية: ذات الزوج، المستغنية بزوجها. مجدلاً: مصروعاً، والجدالة: الأرض. تمكو: تصفر. الفريصة: الموضع الذي يرعد من الدابة والإنسان إذا خاف. الأعلم: المشقوق الشفة العليا. ومعنى تمكو فريصته: أي سعة الطعنة. الرشاش: ما تطاير وتفرق من الدم. النافذة: التي نفذت إلى الجانب الآخر، أو التي نفذت إلى الجوف. العندم: صبغ أحمر، يقال إنه البقّم.

[٣] المصدر نفسه: ٣٤٣، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٢. يتذامرون: يحض بعضهم بعضاً. أشطان: جمع شطن، وهو حبل البئر. اللبان: الصدر. الأدهم: فرسه.

إذْ لا أزالُ على رِحالةِ سابحٍ ... نَهْدٍ تَعَاوَرُهُ الكُماةُ مُكلِّمِ
طَوْراً يُجرِّدُ للطِّعانِ وتارةً ... يأْوي إلى حَصِدِ القِسيِّ عَرَمْرَمِ
والخيلُ تَقتحِمُ الخَبارَ عوابساً ... مِنْ بينِ شَيْظَمَةٍ وأَجْرَدَ شَيْظَمِ
ما زِلْتُ أَرميهِمْ بِثُغْرةِ نَحْرِهِ ... وَلَبانِهِ حتى تَسَرْبلَ بالدَّمِ
فازْورَّ مِنْ وَقْعِ القنا بِلَبانِهِ ... وشكا إليَّ بِعَبْرةٍ وَتَحمْحُمِ
لو كانَ يدري ما المحاورةُ اشْتكى ... وَلكَانَ لَوْ عَلِمَ الكلامَ مُكَلِّمي
ولقد شفى نَفْسي وأَبْرَأَ سُقْمَهَا ... قيلُ الفوارسِ وَيْكَ عنترَ أَقْدِمِ[1]

٥) **بطل السلام:** "والبطولة كما تكون في ميدان الحرب تكون في مجال السلام بل أذهب إلى أبعد من ذلك، فأرى أن بعض البطولات أحق بالتمجيد والإكبار من بطولة الحرب والقتال، لأن بطولة الحرب قد تكون في العدوان الغادر، لا في الدفاع المشروع، وقد تكون وليدة الظروف والملابسات أو التكليف والاضطرار"[2]. "أما البطولات الأخرى فهي وليدة الاختيار، أو هي استجابة للفطرة الخاصة، والأخلاق المتميزة، والتفوق على الناس"[3]. وبطل السلام في هذا المقام في أدبنا الجاهلي هو شاعر الحكمة والسلام "زهير بن أبي سلمى"؛ إنه شيخ كثير الروية، وقد نشأ في بيت شاعر وكانت بلاده من ديار غطفان ساحة للحرب المستحرة، ولكن ليس كغيره من الشعراء يتحيز لقومه، وإنما كان صاحب رأي في الحرب تفرد به بين قومه فصورها دميمة نامية الشر حتى ينفر منها الناس، ثم دعا للسلام وحسّنه، وأشاد بالداعين إليه وجعل منه معروفاً من القول وهدى. ويظهر أنه كان رجلاً يتسامى بثقافته على الفهم العام بين القبائل العربية ولعله كان يمثل فئة ضاقت بأسلوب الحياة العربية، وتاقت إلى حياة أفضل[4]. وشاعرنا هذا يؤمن بالقانون الإلهي، ولعله فتح سمعه إلى هؤلاء المتحنفين كزيد بن عمرو بن نفيل، أو إلى هؤلاء الكهان الذين يطرقون أبواب الغيب، أو إلى هذه الأفكار الغريبة التي تطوف بها اليهودية والنصرانية على هياكل الأصنام. وملأه كل ذلك تفكيراً وتسامحاً وعدلاً يوافق طبعه السمح، وعلمه أن العمل

---

[1] التبريزي: شرح القصائد العشر: ٢٧٧-٢٧٨. الثغرة: الهزمة في الحلق. اللبان: الصدر. تسربل: صار له سربال من الدم. والسربال: القميص. ازورّ: تمايل. العبرة: الدمعة وجمعها عبر. التحمحم: صوت مقطع ليس بالصهيل فيه شبه الحنين. قيل: قول. وي: كلمة يقولها المتندم إذا ندم على ما فرط منه، ولكثرة استعمالها الحقت بها الكاف. وقيل: وي بمعنى أعجب أو عجباً يا عنترة. وقيل كان عنترة أكبرهم فخصوه بالدعاء لخوض المعركة.

[2] أحمد الحوفي: البطولة والأبطال، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م: ١٠.

[3] المصدر نفسه: ١٠.

[4] محمد مهدي المجذوب: البطولة في الأدب الجاهلي: ٣٩.

المشترك نتيجته الاتقان والجودة، فلا عجب إذن أن يصنع هذا الشيخ الوقور "زهير" قصيدته المذهبة في شهر، ثم ينفق في تهذيبها بقية الحول وفي هذا منتهى الأمانة.[١]

ويذهب الدكتور أحمد الحوفي فيرى أن بعض البطولات أحق بالتمجيد والإكبار من بطولة الحرب والقتال ... ليست كل شجاعة بطولة، وقد يتهور بعض الشجعان فيلقي بنفسه في المهالك مدلاً بشجاعته، ولكنه ليس بطلاً، لأنه لا يصدر فيما يعمل عن عقيدة، ولا يتطلع إلى مثل أعلى جدير بالفداء[٢]. كما أن الناس كانوا يميلون إلى السلم، ويؤثرون العفو عن الجناة، ومقابلة الإساءة بالإحسان، مع قدرتهم على الانتقام، وتمكنهم من الثأر. وهذا دليل الابتعاد عن الشر. قال قريط ابن أُنيف أحد بني العنبر[٣]:

لكنَّ قَوْمي وإنْ كانوا ذوي عَددٍ ... لَيْسوا مِنَ الشَّرِّ في شيءٍ وإنْ هانا

يَجْزُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً ... ومِنْ إِساءةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحسانا

ومن أشهر الشعراء الذين تحدثوا عن السلام ودعوا إلى نبذ الحرب، وخوفوا الناس من ويلاتها - كما أسلفنا - زهير بن أبي سلمى، الذي أفزعته حرب داحس والغبراء، وجعلت منه صاحب معلقة، كما جعلت من هرم بن سنان والحارث بن عوف علمين في عالم الأمن والطمأنينة في تاريخ الأدب العربي. لقد حركت هذه الحرب هذين الرجلين العظيمين اللذين سعيا في الصلح، واحتملا ديات القتلى. لقد أتاحت هذه الحرب لزهير هذا الموقف، وهيأت له هذه الخصومات عقلاً بصيراً، وإدراكاً عميقاً، فهب يعظ ويرشد ويدعو إلى الخير والوفاق، فاستنكر الحرب، واصفاً أهوالها وموضحاً بشاعتها وفظاعتها:

وما الحربُ إلا ما عَلِمْتُمْ وذُقْتُمُ ... وما هو عنها بالحديثِ المُرَجَّمِ

متى تَبْعَثُوها تَبْعَثُوها ذميمةً ... وتَضْرَ إذا ضَرَّيتموها فَتَضْرَمِ

فَتَعْرُككُمْ عَرْكَ الرَّحى بِثِفالِها ... وَتَلْقَحْ كِشافاً ثُمَّ تُنْتَجْ فَتُتْئِمِ

فَتُنْتَجْ لَكُمْ غِلْمانَ أَشْأَمَ كُلُّهُمْ ... كأحمرِ عادٍ ثُمَّ تُرْضِعْ فَتُفطِمِ

فتُغْلِلْ لكُمْ مالا تُغِلُّ لأَهْلِها ... قُرىً بالعِراقِ مِنْ قَفيزٍ وَدِرْهَمِ[٤]

---

[١] محمد مهدي المجذوب: البطولة في الأدب الجاهلي: ٣٩.

[٢] أحمد الحوفي: البطولة والأبطال: ١٠، ١١.

[٣] أبو تمام: ديوان الحماسة، شرح المرزوقي: ١/٣٠، ٣١. الظلم: انتقاص الحظ والنصيب، وقيل: هو وضع الشيء في موضعه، ونقيضه العدل.

[٤] ابن الأنباري: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: ٢٦٧-٢٧١.

إن الحارث بن عوف وهرم بن سنان أنفقا المال في سبيل الخير، ووقف سعير الحرب، فتمكنا من أن يزرعا الأرض سلاماً وخيراً وإنسانية[١] :

سَعى ساعِيا غَيْظِ بنِ مُرَّةَ بعدما ... تبزَّلَ ما بَيْنَ العشيرةِ بالدَّمِ
فأَقْسَمْتُ بالبيتِ الذي طافَ حَوْلَهُ ... رجالٌ بَنَوْهُ مِنْ قُريشٍ وجُرْهُمِ
يميناً لَنِعْمَ السَّيِّدانِ وُجِدْتُما ... على كُلِّ حالٍ مِنْ سَحيلٍ ومُبْرَمِ
تداركتُما عَبساً وذبيانَ بعدما ... تَفانَوْا وَدَقُّوا بينَهُمْ عِطْرَ مَنْشِمِ
وقد قُلْتُما إنْ نُدْرِكِ السِّلْمَ واسعاً ... بمالٍ ومعروفٍ مِنَ القولِ نَسْلَمِ
فأَصْبَحْتُما منها على خيرِ مَوْطِنٍ ... بَعيدَيْنِ فيها مِنْ عُقوقٍ ومأْثَمِ
عَظيمَيْنِ في عُلْيا مَعَدٍّ هُدِيتُما ... ومَنْ يَسْتَبِحْ كَنْزاً مِنَ المجدِ يُعْظِمِ
تُعفِّي الكُلومُ بالمِئينَ فأصبحتْ ... يُنَجِّمُها مَنْ ليس فيها بمُجْرِمِ

لقد حرك صنيع هرم والحارث بواعث الإعجاب والإعظام في الشاعر، فكانت دعوته دعوة خير، ارتسمت فيها شخصيته، واتضحت نزعته إلى البر والرحمة، لإنقاذ الناس الذين كانوا في صلاح من أمورهم، ثم صاروا إلى حرب يستعمل فيها السلاح، وتسفك الدماء، ثم اشتغلوا بالاستعداد لها ثانية، فجعل عزمهم على الحرب بمنزلة الكلأ الوبيل الوخيم[٢] :

رَعَوْا ما رَعَوْا مِنْ ظِمْئِهِمْ ثُمَّ أَوْرَدُوا ... غِماراً تَفَرَّى بالسِّلاح وبالدَّمِ
فَقَضَّوْا منايا بَيْنَهُمْ ثُمَّ أَصْدَرُوا ... إلى كَلأٍ مُسْتَوْبَلٍ مُتَوَخَّمِ

فزهير لم يمدح هرم بن سنان والحارث بن عوف إلا لأنهما تلمسا الجراح بأنامل نظيفة، وتمكنا من وضع حد لتيار الحرب، فجعل منهما المثل الأعلى للإنسان العربي في عصره، لقد أقلق

---

[١] ابن الأنباري: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: ٢٥٢-٢٦٢، ٢٦٤. السِّلْمُ والسَّلْم: الصلح؛ وهو يذكر ويؤنث. قال الله عزّ وجلّ: ﴿**وإنْ جنحوا للسَّلْمِ فاجنحْ لها**﴾. الأنفال آية، ٦١. واسعاً: معناه ممكن. منها: من الحرب. العقوق: العصيان أو قطيعة الرحم. المأثم: الإثم. عُليا معدّ: أرفعها؛ يقال: هو في عُليا معدّ وعَليا معدّ. قال النابغة:

يا دار ميّةَ بالعلياءِ فالسَّنَدِ ... أقوتْ وطالَ عليها سالفُ الأبدِ

قال أبو جعفر: قوله "يستبح كنزاً" أي يجد كنزاً مباحاً فيأخذه لنفسه فيعظم حينئذ. وقال: "يُعظِم": يأتي بأمر عظيم. و "يَعْظُم": يصير عظيماً. و "يُعْظَم" : يُعظِّمه الناس. وقال: يروى على هذه الوجوه الثلاثة.

[٢] التبريزي: شرح القصائد العشر: ١٥٧، ١٥٨.

زهيراً مصير الوجود العربي في تلك الفترة، فعبر في شعره عن آماله، ثم خلص إلى نصيحة المتحاربين لصفاء الصدور من الأحقاد والضغائن[١] :

ومهما تكُنْ عِنْدَ امْرِيءٍ مِنْ خليقةٍ وَلَوْ خالها تَخْفى على الناسِ تُعْلَمِ

ويبدو لنا زهير في معلقته خاصة، رجلاً إنسانياً جريئاً، يحرص على أرواح قومه، مؤثراً المصلحة العامة على ذاته وشخصيته، مفضلاً خير القبيلة على ذلك، بل إنه يحب أن يشمل بخيره القبائل جمعاء.

وكانت شخصيتا الحارث بن عوف وهرم بن سنان هما اللتان جعلتاه يقف هذا الموقف، ويجاهر بدعوته ويعتقد أنها السبيل الصحيحة إلى الحق. إن الذين تحملوا ديات القتلى، لم يرتكبوا جريرة، ولكنهم تبرعوا بذلك للصلح ما بين عشيرتهم[٢] :

لَعمْرُكَ ما جَرَّتْ عَلَيْهِمْ رماحُهُمْ دمَ ابنِ نَهيكٍ أو قتيلِ الْمُثَلَّمِ
ولا شاركَتْ في الموتِ في دمِ نَوْفلٍ ولا وَهَبٍ مِنْها ولا ابنِ الْمُحَزَّمِ

ويدعو زهير الأحلاف إلى الوفاء بالصلح إبراء للذمم، وحقناً لسفك الدماء[٣] :

أَلا أَبلغِ الأَحْلافَ عَنِّي رسالةً وذُبْيانَ هَلْ أَقسمتُمُ كُلَّ مُقْسَمِ
فلا تَكْتُمُنَّ اللهَ ما في صُدورِكُمْ لِيَخْفَى وَمَهْمَا يُكتَمِ اللهُ يَعْلَمِ

---

[١] التبريزي: شرح القصائد العشر: ١٦٨. الخليقة: الطبيعة والسليقة، والخلق والخليقة واحد، والجمع الأخلاق والخلائق. خالها: ظنها.

[٢] ابن الأنباري: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: ٢٧٩-٢٨٠. جرت: جنت، من الجريرة عليهم من حرب داحس والغبراء. دم ابن نهيك أو قتيل المثلم: هؤلاء قوم ليسوا بمعروفين لكثرة القتلى بينهم. شاركت: يريد الرماح. ووهب: من بني عبس. وابن المحزم: من بني مُرّة.

[٣] المصدر نفسه: ٢٦٥-٢٦٦. الأحلاف: أسد وغطفان، الواحد حلف. تكتمن، يقال: كتمت الأمر: إذا لم تظهره. ليخفى، يقال خفي الشيء يخفى، إذا استتر، وأخفيته.

خامساً: دوافع البطولة: ومن دوافع البطولة:

١) **الطبيعة الصحراوية:** لقد كان نزول الغيث مثيراً لشجاعتهم حتى قالوا: إنهم إذا أخصبوا هاجت أضغانهم وطلبوا الثأر من أعدائهم، وتمنوا أن يتصل الغيث حتى يغيروا على الملوك فيسلبوها عروشها، وكانوا يغيرون في الخصب لا في الجدب، وإلى ذلك يشير الحارث بن دوس الإيادي مخاطباً المنذر بن ماء السماء[١]:

قومٌ إذا نَبَتَ الربيعُ لَهُمْ نَبَتتْ عَدَاوَتُهمْ مَعَ البَقْلِ

إن الحياة القاسية التي ارتبطت بها حياة العربي جعلته يتناحر على طلب الكلأ والماء ويتخاصم من أجل الاحتفاظ بهذا المورد الحيوي فيخرج إلى الصحراء من أجل الحصول عليه، فيغير ويغزو ليتمكن من الثبات أمام قانون الحياة، فكانت حياته قتالاً دائماً أو تأهباً للقتال. وكانت القوة شرطاً من شروط وجوده، ولذلك كان الفارس مكرمة من مكارم قومه، ومفخرة من مفاخرهم التي يعتزون بها ويشيدون ببطولتها، يقول الدكتور نوري القيسي[٢]: "ولعلنا لا نغلو إذا قلنا: إنه لم تتوفر لدى أية أمة من التناحر والتقاتل والتطاحن بقدر ما توفرت لدى أمة العرب في جاهليتها، وخاصة القبائل العدنانية البدوية ... فهم ينتزعون المرعى الخصب من أهله بأسنة الرماح". قال الأخنس التغلبي[٣]:

ونحنُ أُناسٌ لا حِجازَ بأَرْضِنا مَعَ الغَيْثِ ما نُلْقى ومَنْ هو غَالِبُ

لقد تغنى العربي في جاهليته بالبطولة، وترنم بأمجادها، فنشأت الغارات والعداوات وقامت الأيام والحروب، وكانت الصحراء مجالاً فسيحاً، وميداناً واسعاً لإظهار الشجاعة والفروسية. فنظم الشعراء قصائد الفخر والحماسة مشيدة بأعمال البطولة[٤].

٢) **المرأة:** لقد كانت قصائد الغزل ترجماناً للعواطف المزدحمة في قلوب الشعراء الجاهليين، وأصبح الحب حافزاً من حوافز البطولة، وباعثاً من بواعث الإلهام الشعري، وقوة تدفع إلى جلائل الأعمال. إن الحب المقرون بالفروسية والعفاف، كان المثل الأعلى في الحياة الجاهلية، لما

---

[١] البكري: التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه، ضمن كتاب ذيل الأمالي والنوادر، دار الآفاق الجديدة - بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م: ١٩.

[٢] نوري القيسي: الفروسية في الشعر الجاهلي: ٤٩.

[٣] المفضل الضبي: المفضليات ٢٠٦/٤١. الحجاز: الحاجز. ما نلقى: أي نلقى مع الغيث.

[٤] نوري حمودي القيسي: الفروسية في الشعر الجاهلي: ٥١.

فيه من الحرص على الأعراض، ومحافظة على القيم النبيلة، وسعي إلى إعلاء شأن المرأة. قال عنترة[١]:

هَلاَّ سَألتِ الخيلَ يا ابنةَ مالكٍ ... إنْ كنتِ جاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي
يُخْبِرْكِ مَنْ شَهِدَ الوقيعةَ أنني ... أَغشى الوغى وأعِفُّ عِندَ المغْنَمِ

وقال المرقش الأكبر مخاطباً محبوبته وواصفاً لها جدّه في الحرب[٢]:

هلاَّ سألْتِ بنا فوارسَ وائلٍ ... فَلنحنُ أَسرعُها إلى أَعدائِها
وَلَنَحْنُ أَكثرُها إذا عُدَّ الحصى ... ولنا فواضِلُها ومَجدُ لوائِها

وقال عامر بن الطفيل[٣]:

إنْ تَسْألي الخيلَ عنّا في مَواقِفِها ... يومَ المُشَقَّرِ والأبطالُ في زَعَجِ
يُخْبِرْكِ أَني أُعيدُ الكرَّ بَيْنَهُمُ ... إذا القنا حُطِّمَتْ في يومِ مُعْتَلَجِ

وقال عامر بن الطفيل أيضاً مفتخراً ببسالته[٤]:

هلاَّ سألتِ بنا وأنتِ حَفِيَّةٌ ... بالقاعِ يومَ تَوَرَّعَتْ نَهْدُ
أيُّ الفوارسِ كانَ أنهكَ في الوغى ... للقومِ لَمَّا لاحَهَا الجَهْدُ
لَمَّا رأيتُ رئيسَهُمْ فَتَرَكْتُهُ ... جَزَرَ السِّباعِ كأنَّهُ لَهْدُ

ومن هنا كانت المرأة دافعاً من دوافع البطولة، ومنطلقاً واسعاً من منطلقاتها الرحبة، ومجالاً فسيحاً يظهر فيه الفرسان بطولاتهم النادرة.

---

[١] ابن الأنباري: شرح القصائد السبع: ٣٤٢، ٣٤٤. الوغى: الصوت والجلبة في الحرب. أعف عند المغنم: لا تشره نفسي إلى الغنيمة، ولكني أهب نصيبي للناس.

[٢] المفضل الضبي: المفضليات: ٢٣٤/٥١. الحصى: يضرب الحصى مثلاً لكثرة عدد القبيل.

[٣] ديوان عامر بن الطفيل: ٣٧ زعج، الزعج: القلق. يوم معتلج: يوم صراع وقتال، اعتلج القوم: اتخذوا صراعاً وقتالاً.

[٤] ديوانه: ٤١. تورعت: جبنت، تحرّجت. أنهك: أشجع، ورجل نهيك: أي شجاع. لاحها: غيرها وأضمرها. الجهد: الهزال والتعب. فتركته جزر السباع: أي قطعاً، أو اللحم الذي تأكله السباع. اللهد: الرجل الثقيل الذليل.

٣) **الحرب:** لقد كان العرب يخوضون الحرب من أجل مظاهر الخصب كلها، ولأسباب أخرى منها: إجارة المستجير، أو حماية الجار، أو الدفاع عن العرض، والأخذ بالثأر، والوصول إلى الرئاسة والزعامة.

لقد حفل الشعر الجاهلي بصور رائعة لغارات الفرسان، كما أن الشاعر الجاهلي استطاع أن يقدم لنا موضوعات كاملة في البطولة، والواقع أن الحرب قد حببت إلى نفوس العرب خصال الشجاعة والنجدة والبأس والقوة[١].

يتميز البطل في المجتمع العربي بإيمانه بالقدر، وإيمانه بخلود القضية الحية التي من أجلها يكون الاستشهاد، ويحمد فيها الخلود، ويحسن فيها الذكر والصيت الحسن. فيدفعه إيمانه إلى أن يخوض الحرب بلا خوف أو وجل، ويصارع الطغيان بلا هوادة، وينشد الحرية بلا تردد. وينبثق عن إيمانه بأن خوض غمار الحرب لا يقرب الأجل. فيبدي من ضروب البسالة والشجاعة ما يرفعه إلى مصاف الأبطال، ويحفظ له الذكر الحميد ويوقن بأن الموت نهاية محسومة. والفتى البطل يعدل ألفاً ممن سواه، كما قال بشامة بن حزن النهشلي[٢]:

لو كانَ في الألفِ منا واحدٌ قَدعَوْا ... مَنْ فارسٌ خالهُمْ إياهُ يَعْنُونا

وإذا دعي البطل إلى القتال فلا يتوانى عن ذلك، كقول طرفة[٣]:

إذا القومُ قالوا مَنْ فَتًى خِلْتُ أنني ... عُنِيتُ فلم أَكْسَلْ ولم أتبلَّدِ

ولا يدعى إلى الحرب والذود عن القبيلة إلا الأفذاذ من الأبطال، كقول قائلهم[٤]:

إذا القومُ قالوا مَنْ فَتًى لعظيمةٍ ... فما كُلُّهُمْ يُدْعَى ولكنَّهُ الفتى

ولم تقتصر مظاهر البطولة في الشعر الجاهلي على الشجاعة، أو التضحية، وإنما امتدت جذورها إلى الصفات الأخلاقية الأخرى التي تتصل بالوفاء والكرم، وتمتد إلى الجرأة والإقدام. فالبطولة تتوافر فيها عناصر المروءة وقيمها من وفاء وحمية وكرم ونجدة وفصاحة وتضحية وجرأة.

---

[١] نوري القيسي: الفروسية في الشعر الجاهلي: ٧٧، ٨٠.

[٢] أبو تمام: ديوان الحماسة، شرح التبريزي: ٢٧/١. خالهم: ظنهم، فهم لشدة بأسهم وقوة حماستهم لا يعترفون بشجاعة غيرهم.

[٣] التبريزي: شرح القصائد العشر: ١٠٤.

[٤] أبو تمام: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١٠٨/١.

سادساً: البطل في الشعر:

تتمثل صورة البطل عند لقيط بن يعمر الإيادي في قوله[1]:

فَقَلِّـدُوا أَمْـرَكُمْ للهِ دَرُّكُـمُ ... رَحْبَ الذراعِ بأمرِ الحربِ مُضْطَلِعا
لا مُتْرَفاً إنْ رَخَاءُ العيـشِ سـاعدَهُ ... ولا إذا عـضَّ مكـروهٌ بهِ خَشَـعا
مُسـهَّدَ النـومِ تَعْنيـهِ ثُغُورُكُـمُ ... يَرومُ منهـا إلى الأعـداءِ مُطَّلِعـا
ما انفكَّ يَحْلُبُ هذا الدهرَ أشْطُرَهُ ... يكـونُ مُتَّبِعـاً طَـوْراً ومُتَّبَعـا
وليـسَ يَشْغَلُـهُ مـالٌ يُثَمِّـرُهُ ... عَنْكُمْ ولا وَلَـدٌ يَبْغـي لهُ الرِّفَعـا
حتى استمَرَّتْ - على شَزْرٍ - مريرتُهُ ... مُسْتَحْكِمَ الرأيِ لا قَحْماً ولا ضَرَعا
عَبْـلَ الـذراعِ أبيّاً ذا مُزايَنَـةٍ ... في الحربِ لا عاجزاً نِكْساً ولا وَرِعا
مُسْتَنْجِـداً يَتَحَـدَّى النَّاسَ كُلَّهُمُ ... لو قارعَ الناسَ عن أحسابِهِمْ قَرَعا

والبطل المعول عليه عند تأبط شراً:

لكنَّما عِوَلي إنْ كنتُ ذا عِوَلٍ ... على بصيرٍ بكسبِ الحمدِ سَبَّاقِ
سَبَّاقِ غاياتِ مَجْدٍ في عشيرتهِ ... مُرَجِّعِ الصوتِ هَدَّاً بَيْنَ أرفاقِ
عـاري الظَّنابيبِ مُمْتَدٌّ نواشِرُهُ ... مِدْلاجِ أدهمَ واهي المَاءِ غَسَّاقِ
حَمَّالِ ألويـةٍ شـهَّادِ أنديـةٍ ... قوَّالِ مُحْكَمَـةٍ جـوَّابِ آفـاقِ

---

[1] ديوان لقيط بن يعمر، ت: عبد المعين خان، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٩٨٧م: ٤٦-٤٩. لله دركم: الدرهو اللبن أو حلبه، وهي صيغة دعاء بكثرة الخير. رحب الذراع: واسع، ويقصد أن يكون خيّراً مفضالاً له مكانة بين أهله. مضطلعا: اضطلع بالأمر: تحمله واستطاعه. مترفاً: من الترفة أي النعمة والرخاء، وأترفته النعمة فهو مترف: أطغته فتجبر. خشعا: خضع وذلّ واستكان. مطلعا: مكان عال يشرف على الشيء. أشطره: جمع شطر، أي كل ناحية، وأصل المثل "حلب أشطر الدهر" يعني الحنكة والخبرة. متبعاً ومتبعا: تارة يقود ويتقدم وأخرى يقاد ويتبع، وهي كناية مشابهة للأولى تدل على خبرة بحلو الحياة ومرها. الرفعا: جمع رفعة أي شرف وعلو مكان. استمرت: قويت واستحكمت. مريرته: من إمرار الحبل أي شدة فتله. شزر: الشزر: هو الفتل مقلوباً ليكون أشد تماسكاً وتداخلاً. مستحكم: سديد الرأي حكيماً. قحماً: شيخاً فانياً هرماً. ضرعا: الرجل الضعيف الجبان. عبل الذراع: ضخم الذراع. مزاينة: مقاومة ودفاع. نكساً: ضعيفاً خائراً. ورع: جبان ضعيف الرأي. مستنجداً: نجد، ينجد فهو مستنجد: ضري وقوي، وسأله النجدة فأعانه بها. قارع: غلب.

فذاكَ هَمّي وغَزْوي أستغيثُ بهِ إذا اسْتغَثْتَ بضافي الـرأسِ نَغَّاقِ[1]

أما عروة بن الورد فصفيحة وجهه بيضاء ناصعة، يقضي حياتـه فـي العمـل والكفـاح والمغـامرة، يعلو خصومه، ويستقبل الموت حميداً[2] :

ولكنَّ صُعْلُوكاً صفيحةُ وَجْهِهِ كَضَوْءِ شِهابِ القابسِ المُتَنَـوِّرِ
مُطِلاًّ على أعدائهِ يزجرونَهُ بساحتِهِمْ زَجْرَ الْمَنيحِ المُشَـهَّرِ
وإن بَعُدُوا لا يأْمَنُونَ اقْترابَهُ تَشوُّفَ أهـلِ الغائـبِ الُمتَنَظِّرِ
فذلكَ إنْ يَلْقَ المنيَّةَ يَلْقَها حميداً وإنْ يَسْتَغْنِ يوماً فأَجْدِرِ

وتظل حقيقة البطل عند كل الفرسان تدور في إطار الجانب الأخلاقي والبطولي. لقد ساهم الشـعر إلى حد كبير في تأكيد القدرة من خلال تعابير الشـعراء، وشـارك فـي توضيـح الصـورة البطوليـة التي كان يتمثل بها الشعراء وهم يستطيبون الموت من أجل الحياة.

لقد استطاع البطل بما أوتي من خصائص متميزة أن يدفع واقع القبيلة إلى واقع جديد أهَّلهـا إلى أن تأخذ مكانة تختلف من حيث الموقع مع ما كانت عليه قبل شـهرة هـذا البطـل. وقـد اقـترن قول الشعر بالبطل، ولعل منزلة الشعر في نفوس العرب وقدسيته وارتباطه بالسحر وما قيل بشأنه

---

[1] المفضل الضبي: المفضليات ٢٩/١. العول: المعوّل عليه المستغاث به. مرجـع الصـوت: يصيـح آمـراً ناهيـاً. هداً: رافعاً صوته. الأرفاق: الرفاق، يصفه بأنه رئيسهم، يصدرون عن رأيه فيما يـأمر وينهـى. الظنـابيب: جمـع "ظنبوب" وهو حرف عظم الساق، جعلها عارية لهزالها، والعرب تمدح الهزال وتهجو السـمن، النواشـر: عـروق ظاهر الذراع. مدلاج: كثير سفر الليالي بطولها. الأدهم: الليل. واهي الماء: مطر شديد، سـحابه لا يمسك المـاء. الغساق: الشديد الظلمـة، وهمـا نعـت للأدهـم. المحكمـة: الكلمـة الفاصلـة. جـواب آفـاق: صـاحب أسـفار وغـزو. غزوي: مقصدي، من الغزو وهو القصد. ضافي الرأس: كثير الشعر. نغاق ونعاق بمعنى واحد، وهما روايتان هنا؛ يقال نغق الغراب: صاح، ونعق الراعي يَنعق، نعيقاً: صاح بغنمه وزجرها والاسم "النُعاق".

[2] الأصمعي: الأصمعيات: ٤٦/١٠. صفيحة الوجه: بشرة جلده. الشهاب: شـعلة مـن نـار. القـابس: الـذي يقبـس النار، أي يأخذها. المتنور: المضيء. مطلاً على أعدائه: مشرفاً عليهم، يغزوهم أبداً. يزجرونه: يصيحون به كما يزجر القدح إذا ضرب. المنيح: قدح مستعار سريع الخروج والفوز، يستعار فيضرب ثم يرد إلى صاحبـه. وقـال المرزوقي في شرح ديوان الحماسة: ٤٢٣/١. وقال الأصمعي: "المنيح: الذي لا يعتد به". ومعنـى البيـت الثـالث، يقول: إن بعد أعداؤه لم يهله بعدهم أن يغزوهم، وهم لا يأمنون ذاك منه، فهم ينتظرونه في كل ساعة كما ينتظـر أهل الغائب قدومه، فأعينهم إليه يتشوفونه. المشهر: المشهور. المنية: الموت، الأجل. أجدر: أخْلق.

من أقوال، وأحيط به من أساطير[١] وما رافق الشعراء من اهتمام، وأحيطوا بـه مـن رعايـة مـن قبائلهم ترك لهذا العامل أثره في تحديد العلاقـة بيـن البطـل وقـول الشـعر مـن جهـة وبيـن القـدرة البطولية وما أحيط به الشاعر من جهة أخرى. إن الاعتزاز بقول الشعر والاعتداد بالشعراء الذين ناضلوا من أجل قبائلهم، يمثل صورة جماعية بين الشاعر وقبيلته، وقد انعكست هذه الصورة بكل وضوح في أعمـال الأبطـال الذيـن خلدتهـم كتـب التـاريخ. وتحدثـت عـن بطولاتهـم وقـائع الأيـام العربية، أمثال عنترة ودريد بن الصمة، وعامر بن الطفيل، والحارث بن ظالم، وربيعة بن مكـدم، وقيس بن زهير، وعمرو بن كلثوم، وحاتم الطائي، وغيرهم ممن ظلت أسماؤهم وأشعارهم خـالدة وناطقة بما قدموه من انتصارات رائعة وقصائد خالدة. فالشعر وسيلة الشاعر في التأثير، وقدرتـه في الانتصار، وتحقيق المجد. والشعر امتداد للبطولة التي حاول من خلالها أن ينتزع من خصمـه كل أسباب المقاومة، منددا بهزائم أعدائه وانتصارات قبيلتـه. لقد كـان البطـل يمـارس ألوانـاً مـن الشجاعة، وهو يعلم أنه جزء من مجتمعه الذي منحه هذه الصفة، ووهبه من المسؤوليات ما جعله قادراً على تحملها. وكانت القبيلة ترتضي ما يقدمه أبناؤها حتى في حالة الفرار من المعركـة، إذا كان له ما يبرره، فهذا الحارث بن هشام القرشي يعتذر عن فراره فيقول[٢] :

اللهُ يعلـــمُ ما تَرَكْـــتُ قِتالَهُـــمْ ... حتى عَلَوْا فرسي بأشـــقرَ مُزْبِدِ
وعَلِمْتُ أني إن أُقاتِلْ واحداً ... أُقتَلْ ولا يَضْرُرْ عَدُوِّيَ مشْهدي
فَصَدَدْتُ عنهُمْ والأحبَّةُ فيهـــمُ ... طَمَعاً لهم بِعِقابِ يومٍ سَرْمدي

ويعتذر زفر بن الحارث فيقول[٣] :

أيذهبُ يومٌ واحدٌ إنْ أسأتُهُ ... بصالحِ أعمالي وحُسْنِ بلائيا
ولم تُرَ مِنِّـي نَبْوَةٌ قَبْلَ هـذِهِ ... فِراري وَتْركي صاحبيَّ ورائيا

---

[١] كتاب أيام العرب قبل الإسلام لأبي عبيدة، دراسة مقارنة لملاحم الأيام العربية. جمع وتحقيق ودراسـة: عـادل جاسم البياتي، مكتبة النهضة العربية - بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م: ١٣٩، ١٤٠.

[٢] البحتري: الحماسة: ٤٠. مزبد: شديد البياض. بعقاب يوم سرمدي: بعقاب يوم دائم لا ينقطع.

[٣] المصدر نفسه: ٤١. نبوة: تقصير.

ويستشهد أزهر بن هلال التميمي على فراره "عاتكة" ويشرح لها حجته[1] :

أعاتِكَ ما ولَّيْتُ حتـــى تَبَدَّدَتْ ... رجالي وحتى لم أَجِـدْ مُتقدَّمـا
وحتى رأيتُ الوَرْدَ يَدْمي لَبـانُهُ ... وقد هزَّهُ الأبطالُ وانْتَعَـلَ الدَّما
أعاتِكَ إني لَـمْ أُلَمْ في قِتَالِهِـمْ ... وقد عَضَّ سيفي كَبْشَهُمْ ثُمَّ صَمَّما
أعاتِكَ أفناني السلاحُ ومَنْ يُطِلْ ... مُقارَعَةَ الأبطـالِ يَرْجِعْ مُكَلَّـما

وفي دواوين الحماسة أمجاد خالدة، وآثار محمودة، تناقلها الشعراء والتزموا بالدفاع عن معانيها السامية، لأنهم حاولوا أن يستخلصوا قيم البطولة من القيم المتعارف عليها في المجتمع. لقد تحددت في ممارسات الأبطال صور البطولة الرائدة.

والفوارس لا يضجرون بمكابدة الحرب ومقاساة شدائدها وويلاتها ولا يكرهون القتال. وقد وصفهم أبو الغول الطهوي[2] :

فَدَتْ نَفْسي وما مَلَكَتْ يَميني ... فوارسَ صَدَّقَتْ فيهِمْ ظُنُونـي
فَوارسَ لا يَمَلُّـونَ المنايـا ... إذا دَارَتْ رَحَى الحربِ الزَّبُونِ
ولا تَبْلـى بَسَالَتُهُـم وإنْ هُمْ ... صُلُوا بالحربِ حيناً بَعْدَ حيـنِ

والأبطال يتابعون الأحداث عند اشتداد المعركة، وبعد أن تنتهي وتتكشف وتسفر إما عن الاستسلام الذي نهايته الأسر أو القتل. وهذه النتيجة الحتمية التي يختارها الفارس، حيث يقول جعفر بن علبة الحارثي:

فقالـوا لنا ثِنْتـانِ لا بُدَّ مِنْهُمـا ... صُدورُ رماحٍ أُشرِعَتْ أو سَلاسِلُ
فَقُلْنـا لَهُـمْ تِلْكُمْ إذاً بَعْـدَ كَرَّةٍ ... تُغادِرُ صَرْعى نَوْؤُها مُتخـاذِلُ
ولم نَدْرِ إنْ جِضْنا مِنَ الموتِ جَيْضَةً ... كَمِ العُمْرُ باقٍ والْمَدَى مُتطاوِلُ

---

[1] البحتري: الحماسة: ٤١. تبددت: تفرقت. الورد: الفرس. الكبش: رئيس القوم وقائدهم. صمم: مضى. مكلما: من الكلم، الجرح.

[2] أبو تمام: ديوان الحماسة، شرح التبريزي: ١/٧-٨. فدت نفسي: جملة دعائية، وخصَّ اليمين لفضلها وقوة التصرف بها. لا يملون: لا يسأمون. رحى الحرب: حومتها ومعظمها، وهذا على المجاز لأن الحرب تحطم الرجال وتكسرهم كما تفعل الرحى. الزبون: في الأصل الناقة التي تزبن حالبها وتدفعه شبهت الحرب بها لأنها تدفع الرجال لشدة هولها. البسالة: الشجاعة.

إذا ما ابتدَرْنا مأْزِقاً فَرَّجَتْ لنـا ... بأَيْمانِنا بِيضٌ جَلَتْها الصَّياقِلُ
لَهُمْ صَدْرُ سَيْفي يومَ بَطْحاءِ سَحْبلٍ ... ولي مِنْهُ ما ضُمَّتْ عليهِ الأَنامِلُ[1]

والفارس يؤثر القتل على الأسر في الحرب، وهذا ديدنهم أبداً، يقول تأبط شراً[2]:

هُمَا خُطَّتا إِمَّا إِسارٌ ومِنَّةٌ ... وإِمَّا دَمٌ والْقَتْلُ بالْحُرِّ أَجْدَرُ

والفرسان سواء كانوا شعراء أم غير ذلك لا يهابون الموت، ويخوضون غماره بممارستهم للحروب، حيث يجودون بأنفسهم باقتحام ساحات الوغى، ويتوسطونها صابرين على ويلاتها، يقول جعفر بن علبة[3]:

لا يَكشِفُ الْغَمَّاءَ إلا ابنُ حُرَّةٍ ... يرى غَمَراتِ الموتِ ثُمَّ يَزُورُها
نُقاسِمُهُمْ أَسْيافَنا شَرَّ قِسْمَةٍ ... ففينا غواشيها وفيهِمْ صُدورُها

والفارس يطارد خصومه يوم الحرب بالرماح وهو على فرس ضخم. حتى إذا دعي للنزال كان أول النازلين. يقول ربيعة بن مقروم الضبي:

ولقد شَهِدْتُ الخيلَ يومَ طِرادِها ... بسليلِ أَوْظِفَةِ القوائمِ هَيْكلِ
فَدَعَوْا نَزالِ فَكُنْتُ أَولَ نازلٍ ... وعَلامَ أَرْكَبُهُ إذا لم أَنْزِلِ[4]

---

[1] أبو تمام: ديوان الحماسة، شرح التبريزي: ١/٩-١٠. ثنتان: لغة في اثنتان. أشرعت: صوت للطعن. تلكم: الإشارة إلى واحدة من الثنتين. والكرة: المرة من الكر. تغادر: تترك. صرعى: جمع صريع وهو الطرح والسقوط على الأرض. والنوء: النهوض بجهد ومشقة. المتخاذل: المتداعي. إن جضنا: أي إن عدلنا وانحرفنا عن الموت. المأزق: مضيق الحرب. البيض: السيوف. الصياقل: جمع صيقل وهو صانع السيف. سحبل: موضع. ولي منه ما ضمت عليه الأنامل: ليس لي منه إلا مقبضه. ويجوز أن تكون (بطحاء) ممنوعة من الصرف.

[2] المصدر نفسه: ١/١٧. إسار: أسر. دم: قتل.

[3] المصدر نفسه: ١/١٠-١١. الغمّاءَ: الأمر الشديد الذي لا يدرى من أين يؤتى. شر قسمة: أي شر قسمة لهم وخير قسمة لنا. غاشية السيف: مقبضه وقيل غمده.

[4] المصدر نفسه: ١/١٤. الأوظفة: جمع وظيف؛ وهو مستدق الذراع والساق من الخيل وغيرها. القوائم: الأرجل. الهيكل: العظيم وصف به الفرس. نزال: اسم فعل بمعنى أنزل.

ويؤكد عروة فكرته في أبيات أخرى[١] :

ألـم تعلمـي يا أُمَّ حسَّـانَ أنَّنا ... خَليطا زِيالٍ ليسَ عَنْ ذاكَ مَقْصَرُ
وأنَّ المنايـا ثَغْرُ كُـلِّ ثَنِيَّـةٍ ... فَهَلْ ذاكَ عَمَّا يَبْتغي القومُ مُحْصِرُ
وغبراءَ مَخْشِيٍّ رداهـا مَخُوفـةٍ ... أخوها بأسـبابِ المنايـا مُغَرَّرُ
قَطَعْتُ بها شَكٌّ الخِلاجِ ولم أَقُلْ ... لخيَّابـةٍ هيَّابـةٍ كيـفَ تأْمُـرُ؟

ولعل هذا النمط أصبح منهجاً يسلكه عروة ومذهباً يبشر به:

ونحنُ صَبحْنا عامراً إذْ تَمرَّستْ ... عُلالـةَ أرمـاحٍ وضربـاً مُذَكَّـرَا
بكُلِّ رُقـاقِ الشَّـفْرَتَيْنِ مُهنَّـدٍ ... وَلَدْنٍ مِنَ الخَطيِّ قد طُرَّ أسمرا
عَجِبْتُ لهُمْ إذْ يَخْنُقُونَ نُفُوسَهُمْ ... ومَقْتَلُهُمْ تحتَ الوغى كانَ أَعْذَرا[٢]

إن عروة ينأى بنفسه عن مباهج الحياة ومتع الدنيا، يطوف في طول البلاد وعرضها مؤثراً الموت على حياة ملؤها الذل والهوان قائلاً[٣] :

دعيني أُطوِّفْ في البـلادِ لَعَلَّنـي ... أَفيدُ غنىً فيه لذي الحقِّ مَحْمَلُ
فإنْ نحنُ لَمْ نَمْلِكْ دِفاعاً بحادثٍ ... تُلِمُّ بهِ الأيامُ فالـموتُ أجمـلُ

---

[١] أبو تمام: ديوان الحماسة، شرح التبريزي: ٧٧، ٧٨. خليطا زيال: خليطا مفارقة، أي يفارق بعضنا بعضاً. مقصر: معزل. الثغر: موضع المخافة. الثنية: الطريق في الجبل. محصر: حابس. غبراء: مظلمة ليست بمسفرة الطرق. أخوها: يعني عروة نفسه. ويكون أخوها من يسلكها من الناس. شك الخلاج: ما خالجني وشككني. ولم أقل: ولم أستعن. بخيابة: الكثيرة الخيبة. هيابة: الفروقة.

[٢] ديوان عروة بن الورد: ٨١. صبحناهم: أتيناهم مع الصباح. تمرست: تعرضت وعالجت ذلك. علالة كل شيء: ما جاء منه بعد ما يمضي أوله. يقول: طعناهم طعناً بعد الطعن. وهو مأخوذ من العلل والنهل، والنهل الشرب الأول، والعلل الشرب الثاني. رقاق الشفرتين: رقيق الشفرتين، وشفرتاه: حدّاه. مهند: منسوب إلى الهند. قد طر: قد سن، والسن: التحديد. وقيل في مناسبة الأبيات أن بني عامر غزت غطفان يوم "شعر"، فزعموا أن "ابن الطفيل" – وكان غلاماً شاباً – أدركه العطش فخشي أن يؤخذ فخنق نفسه حتى مات، فسمي ذلك اليوم "يوم التخانق"، ويقال قالها عروة في يوم "الرقم".

[٣] المصدر نفسه: ١٣١. محمل لذي الحق: ما ينفع صاحب الحق ويحمله.

ويقول في حديث آخر[١] :

أرى أُمَّ حسَّانَ الغداةَ تلومُني ... تُخَوِّفُني الأعداءَ والنفسُ أَخْوَفُ
تقولُ سُلَيْمَى لو أقَمْتَ لَسَرَّنا ... ولم تَدْرِ أنـي للمُقـامِ أُطَوِّفُ
لَعلَّ الذي خَوَّفْتِنا مِنْ أمامِنـا ... يُصادِفُهُ في أهلِـهِ الْمُتَخَلِّفُ

وعنترة يكون في مقدمة الجيش حاملاً راية غالب[٢] :

وَلَقَدْ غَدَوْتُ أمامَ رايةِ غالبٍ ... يومَ الْهِياجِ وما غَدَوْتُ بأعزلِ

ويكشف لنا شعر عصر الجاهلية عما كان يدور في نفوس أولئك القوم من تصور لمضمون البطولة وما يرتبط بها من معان. يقول عنترة في معلقته[٣] :

بَطَلٍ كأنَّ ثيابَهُ في سَرْحَةٍ ... يُحْذى نِعالَ السِّبْتِ لَيْسَ بتوأمِ

ويقول أيضاً[٤] :

في حَوْمةِ الموتِ التي لا تَشْتكي ... غَمَراتِها الأبْطالُ غَيْرَ تَغَمْغُمِ

ويقول زيد الخيل[٥] :

كَرَرْتُ على أبطالِ سُودٍ ومالكٍ ... وقَبْلي دعا الدّاعي إذا هو مَدّدا

ويقول امرؤ القيس[٦] :

وأنازِلُ البطلَ الكريمَ نِزالُهُ ... وإذا أُناضِلُ لا تَطيشُ سِهامي

---

[١] ديوان عروة: ١٠٧. أم حسان: امرأة عروة. معنى عجز البيت الثاني: يعني أن السفر الطويل طريق المقام الطويل.

[٢] ديوان عنترة: ١١١. غالب: حامل اللواء (الراية) في الحرب. الهياج: الحرب. أعزل: الذي لا سلاح معه.

[٣] المصدر نفسه: ١٧.

[٤] المصدر نفسه: ١٧. ويروى "في غمرة الموت". حومة الحرب: معظمها حيث تحوم الحرب وتدور. غمراتها: شدائدها. الأبطال: الأشداء. غير: استثناء ليس، سوى. التغمغم: صوت تسمعه ولا تفهمه.

[٥] شعر زيد الخيل الطائي، جمع ودراسة وتحقيق: أحمد مختار البزرة، دار المأمون للتراث - دمشق، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م: ٤١.

[٦] حسن السندوبي: شرح ديوان امريء القيس: ٢٠٣. أنازل البطل: أقاتل الشجاع الذي تخشى لقاءه الشجعان. أناضل: أرامي بالنبال. لا تطيش سهامي: لا تتجاوز الغرض الذي أرميه ولا تخطئه.

ويقول أعشى قيس[١] :

قد نَخْضِبُ العَيْرَ في مَكْنُونِ فائِلِهِ وَقَدْ يَشيطُ على أَرْمَاحِنا البطلُ

ويقول الأعشى أيضاً[٢] :

وَجَأْواءَ تُتْعِبُ أَبطالَها كما أَتْعَبَ السَّابقونَ الْكَسِيرَا

وقال بعض بني تيم الله بن ثعلبة[٣] :

ونُطاعِنُ الأبطالَ عَنْ أبنائِنا وعلى بَصائِرنا وإنْ لَمْ نُبْصرِ

وقال عمرو بن الإطنابة الخزرجي[٤] :

وإعطائي على الْمَشْعُورِ مالي وَضَرْبي هامةَ البطلِ الْمُشِيحِ

وفي النصوص السابقة نلاحظ أن الأبطال يستبسلون، ويكونون في مقدمة الكتائب والفرسان، كما نلمح ما وقر في نفس الشاعر من شغف بمنازلة الأبطال حتى في أشد الأوقات عسراً، وتفسير ذلك أن ارتياد المهالك بمقارعة الأبطال خاصة، ما يؤكد ذاتية الشاعر الفارس، ويظهر ذلك جلياً من خلال الضمائر التي تعود على ذلك الشاعر بجميع صورها.

ولا يخفى أن اختيار البطل يشيع الطمأنينة بين أفراد القبيلة، ويفسح المجال لإشباع حاجاتهم من الاقتحام والأمن والإقدام. وثمة سبب آخر هو نزوع الشاعر إلى إظهار البأس والشدة إلى أبعد مدى، إذ يبحث عن نماذج سامية يسقط فيها إحساساته وتطلعاته، ومثل هذا الشعور يفرض على المقاتل التماس مؤهلات جسدية وعقلية ووجدانية مما ينبغي امتلاكه وحيازته كالسلاح المادي والمعنوي.

---

[١] التبريزي: شرح القصائد العشر: ٣٩١ وديوانه: ٢٨٧. العير: حمار الوحش. الفائل: عرق يجري من الجوف إلى الفخذ. مكنون فائله: دم عرقه. وهناك روايات عدة في تفسير "مكنون فائله". انظر التبريزي: ٣٩١، ٣٩٢ وديوانه: ٢٨٧. يشيط: يهلك.

[٢] ديوانه: ١٦٣. الجأواء: كتيبة الجيش التي تبدو سوداء لكثرة ما عليها من السلاح والدروع. الكسير: الأعرج.

[٣] أبو تمام: ديوان الحماسة، شرح التبريزي: ٣٤/١، ٣٥. هناك عدة روايات في قائل هذا البيت، قيل قاله علقمة ابن شيبان، وكان في عهد المنذر بن ماء السماء وشهد يوم أوارة وقيل قاله المتمطر وهو رجل من لخم.
البصائر: جمع بصيرة وهو ما يستبد به الرجل من رأيه وعقله على ما يغيب عنه.

[٤] البحتري: الحماسة: ٩. المشعور: الشعر. هامة: رأس. المشيح: المعرض الذي يبدي كرهاً وازدراء. يصف نفسه بأنه يعطي مادحيه، وبأنه فارس شجاع.

ولعل أكثر المفردات صلة بمعاني البطولة هي "الفروسية" وما يصاغ منها، ولذلك نجد الشعر الجاهلي - وخاصة شعر الأبطال والفرسان - زاخراً بتلك المفردات والمعاني، ومن ذلك قول عنترة[١]:

وَنِعْمَ فوارسُ الهيجاءِ قَوْمي ... إذا عَلِقُوا الأَعِنَّةَ بالبَنانِ

وقول زيد الخيل[٢]:

أنا الفارسُ الحامي الحقيقةَ والذي ... لهُ الْمَكْرُماتُ واللُّهى والمآثِرُ

وقوله أيضاً[٣]:

والخيلُ تعلمُ أني كنتُ فارِسَها ... يومَ الأَكَسِّ بهِ مِنْ نَجْدَةٍ رَوَقُ

وقال الأعشى[٤]:

نَحْنُ الفوارسُ يومَ العَيْنِ ضاحيةً ... جَنْبَيْ "فُطَيْمَةَ" لا مِيلٌ ولا عُزُلُ

---

[١] مصطفى السقا: مختار الشعر الجاهلي ٤٠٥/١ وديوانه: ١٤١. يقول : إن قومي نعم الأبطال والكماة إذا امتطوا الخيل وأمسكوا بأعنتها.

[٢] ديوان زيد الخيل الطائي، صنعة نوري حمودي القيسي، مطبعة النعمان - النجف الأشرف. د.ت: ٥٥. حامي الحقيقة: يحمي ما يحق عليه أن يمنعه ويحميه. اللهى: بمعنى الأموال ها هنا، واحدها اللهوة، أي هو سيد قومه، له الأمر في أموالهم. المآثر: وهي الفعل الكريم الذي يأثره الناس، فيروونه ويتحدثون به ويتناقلونه.

[٣] المصدر نفسه: ٧٧. الأكس: ذو الكسس، وهو بالتحريك، أن يكون الحنك الأعلى أقصر من الأسفل فتكون الثنيّتان العُلْيَيانِ وراء السُّفليَيْنِ. الروق: إشراف الأسنان العليا على السفلى.

[٤] ديوانه: ٢٨٨. فطيمة: امرأة من بني سعد بن قيس، كانت عند رجل من بني سيّار وقد اتخذ عليها ضرّة من قومه. وحدث أن تعايرت الزوجتان فما كان من الثانية إلا أن حلقت ذوائب فطيمة فدارت الحرب بين الحيين وكان الظفر فيها لبني سعد (قوم الأعشى). وسمي ذلك اليوم يوم فطيمة. ضاحية: علانية، أي في وضح النهار. ميل، جمع أميل: الذي يميل على السرج ولا يثبت في القتال. عزل، جمع أعزل: الذي لا سلاح معه. ومن روى: "نحن الفوارس يوم الحِنو ضاحية"، فقد أخطأ، لأن يوم الحنو هو يوم ذي قار، وأحسن الناس بلاء فيه هم بنو شيبان قوم يزيد بن مسهر الذي يهجوه الأعشى بقصيدة منها هذا البيت، فغير معقول أن يستعلي عليه الأعشى مفاخراً بهذا اليوم.

وقول عامر بن الطفيل[١]:

إني وإنْ كنتُ ابنَ سيِّدِ عامرٍ ... وفارِسَها المندوبَ في كُلِّ مَوْكبِ
فما سوَّدَتْني عامِرٌ عَنْ قَرابـةٍ ... أبى اللهُ أنْ أَسْـمُو بأُمٍّ ولا أبِ
ولكنَّني أَحمي حِماها وأتَّقي ... أذاها وأَرمي مَنْ رماهـا بِمَنْكِبِ

وقوله أيضاً[٢]:

لَقَدْ عَلِمَتْ عُلْيا هوازنَ أنني ... أنا الفارسُ الحامي حقيقةَ جَعْفرِ

وقال المنخل اليشكري[٣]:

وعلى الجيادِ الْمُضْمَرَا ... تِ فوارسٌ مِثْلُ الصُّقورِ
يَخْرُجْنَ مِنْ خَلَلِ الغُبا ... رِ يَجِفْنَ بالنَّعَمِ الكثيـرِ
أقرَرْتُ عَيْنـي مِنْ أُولـ ... ئِكَ والفوائـحِ بالعبيـرِ

وقال عمرو بن الإطنابة الخزرجي[٤]:

وكَمْ مِنْ فارسٍ لا تَزْدريهِ ... إذا شَخَصَتْ لرؤيتهِ العيونُ
يَذِلُّ لَهُ العزيزُ وكلُّ ليثٍ ... حديدُ الناسِ مَسْكَنُهُ العرينُ
عَلَوْتُ بياضَ مَفْرِقهِ بعَضْبٍ ... يطيرُ لوقعهِ الهامُ السُّكونُ

---

[١] ديوانه: ١٣. أرمي من رماها: أهاجم أعداءها.

[٢] الأصمعي: الأصمعيات: ٢١٥. هوازن: قبيلة جامعة، منها بنو عامر قبيلة الشاعر. جعفر: أحد أجداده.

[٣] المصدر نفسه: ٥٩، ٦٠. يجفن: يسرعن. والوجيف: ضرب سريع من السير. النعم: الإبل والشاء. العبير: أخلاط من الطيب تجمع بالزعفران. الفوائح: اللاتي يفيح منهن الطيب.

[٤] صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري: الحماسة البصرية، ت: مختار الدين أحمد، عالم الكتب - بيروت، ط ٣، ١٩٨٣م: ٣/١. العرين و (العرينة): مأوى الأسد الذي يألفه، وأصل العرين: جماعة الشجر. المفرق: الرأس. العضب: السيف القاطع.

وكقول الأفوه الأودي[١] :

كَشِهابِ القَذْفِ يرميكُمْ بهِ ... فارسٌ في كَفِّهِ للحربِ نارُ
فارسٌ صَعْدَتُهُ مَسْمُومَةٌ ... تَخْضِبُ الرُّمْحَ إذا طارَ الغُبارُ

وقال طريف العنبري[٢] :

حَوْلي فَوارسُ مِنْ أُسَيِّدَ شِجْعَةٌ ... وإذا غَضِبْتُ فَحَوْلَ بيتيَ خَضَّمُ

وقال العباس بن مرداس السلمي[٣] :

فَلَمْ أَرَ مِثْلَ الْحَيِّ حَيّاً مُصَبَّحاً ... ولا مِثْلَنا لَمَّا الْتَقَيْنا فوارِسا

وقال دريد بن الصمة[٤] :

تَكُرُّ عَلَيْهِمْ رِجْلَتي وفَوَارِسي ... وأُكْرِهُ فيهِمْ صَعْدَتي غيرَ ناكبِ

فالبطولة والفروسية وجهان لعملة واحدة، وتوأمان لا يفترقان.

والبطولة صورة واضحة الملامح مجسَّدة الرؤية، تتوفر فيها عناصر المروءة والكرم، والعفة والنجدة والحمية والوفاء والفصاحة والتضحية والجرأة[٥] .

---

[١] صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري: الحماسة البصرية ٣/١. الشهاب: جرم سماوي يسبح في الفضاء، فإذا دخل في جو الأرض اشتعل، وصار رماداً. ويقال للماهر في الحرب: هو شهاب حرب. والقذف: الرمي بسرعة. الصعدة: القناة تنبت مستوية فلا تحتاج إلى تثقيف. والمراد بذلك الرمح. تخضب: أي تلون الرمح بالدم.

[٢] الأصمعي: الأصمعيات: ٣٩/ ١٢٨. أُسيِّد: هو ابن عمرو بن تميم، وهو تصغير "أسود" في لغة بني تميم. شجعة: جمع شجاع؛ وهو من قوي قلبه واستهان بالحروب جراءة وإقداماً، وقال ابن دريد: الضم خطأ، والصواب بالكسر. خضّم: لقب بني العنبر بن عمرو بن تميم، قوم الشاعر.

[٣] الأصمعي: الأصمعيات: ٢٠٥/٧٠.

[٤] المصدر نفسه: ١١٢/٢٩. الرجلة، بفتح الراء وكسرها: جمع راجل وهو الذي ليس له ظهر يركبه في سفره. الصعدة: القناة المستوية، يعني الرمح. وإكراهها فيهم. إدخالها بقوة. غير ناكب: غير عادل عنهم.

[٥] نوري القيسي: البطل في التراث: ٢٦.

الفصل الثالث

مظاهر البطولة عند العرب

أولاً : الفخر والحماسة

ثانيـــاً: الفروسية

ثالثـــاً: الفتوة

الفصل الثالث

مظاهر البطولة عند العرب

أولاً: الفخر والحماسة:

اتفق مؤرخو الأدب أن يجعلوا الفخر والحماسة باباً واحداً لما بينهما من الاتصال الوثيق، لأن الحماسة سوى فخر الفارس ببطولته وذكر وقائعه ، ووصف فرسه وسلاحه[١].

١- الفخر:

وباب الفخر في الجاهلية - وإن اتسع إلى موضوعات غير الفروسية كالنسب والسيادة والكرم والأخلاق والأهل والولد والفصاحة - لا يخلو أصلاً عن المباهاة بالشجاعة والإقدام. ومن العبث أن نبحث عن فخر شاعر بنفسه، أو مدح شاعر لغيره، أو رثاء شاعر لميت دون أن يكون للشجاعة القسط الراجح، بحيث لا يمكن أن نفصل الفخر عن الحماسة، لأنهما وجدا توأمين متلازمين ، فلا فخر بدون حماسة، وكذلك الحماسة هي الفخر بعينه. فالفروسية يرافقها الشرف ومكارم الأخلاق ، حتى إن المضعوفين في نسبهم يدافعون عنه أنبل دفاع، كما دافع عنترة عن نسبه لأمه، ولا يرضى أحد الصعاليك كالشنفرى والسليك أن يغمز في حميد صفاته[٢].

ويعرف حازم القرطاجني الفخر بقوله : "الافتخار مدح يعيده المتكلم على نفسه أو قبيله"، ويرى أن الفخر " جار مجرى المديح" [٣].

والفخر ضرب من الحماسة؛ وهو التغني بالفضائل والمثل العليا، والتباهي بالسجايا النفسية والصفات القومية ، والزهو بالفعال الطيبة.

ويكره الناس الحديث عن النفس والتباهي بالخصال ويعدونه غروراً وادعاء، إلا في الشعر فإنه مقبول مستساغ ، وقد أشار إلى ذلك ابن رشيق بقوله[٤] : " ليس لأحد من الناس أن يطري

---

[١] بطرس البستاني: أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، حياتهم، آثارهم، نقد آثارهم، دار مارون عبود، توزيع دار الجليل - بيروت، ١٩٧٩م: ٤٦/١.

[٢] المصدر نفسه: ٤٦/١.

[٣] حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط:٢، ١٩٨١م: ٣٥٢.

[٤] يحيى الجبوري : الشعر الجاهلي ، خصائصه وفنونه، دار التربية، بغداد، ساعدت جامعة بغداد في نشره. د.ت: ١٨٤-١٨٥.

نفسه ويمدحها في غير منافرة، إلا أن يكون شاعراً ، فإن ذلك جائز له في الشعر غير معيب عليه" [١] . وخير الفخر ما كان تغنياً بالفضائل وتمدحاً بالمثل العليا دون مبالغة مفرطة ولا مجاوزة للمألوف ، ولذلك استجيد قول حاتم الطائي لأنه كان يصدر عن واقع مألوف وحقيقة صادقة[٢] :

أما والـذي لا يَعْلَـمُ الغيـبَ غيرُهُ ... ويُحْيي العظامَ البيضَ وهي رَميمُ
لَقَدْ كُنْتُ أَطْوي البطنَ والزادُ يُشْتهى ... مَخافـةَ يوماً أَنْ يُقـالَ لئيـمُ[٣]

وقد دارت قصائد الفخر على الشجاعة والبأس والنجدة وإجارة المولى وإطعام الفقراء وإكرام الضيف وبذل المال وإيثار الآخرين.

وأشهر قصيدة عرفت في الفخر هي قصيدة عمرو بن كلثوم التي بلغت أربعة أبيات ومائة وكلها فخر وحماسة، وقد كانت " تغلب" قبيلة الشاعر تعظم هذه القصيدة وتحتفل لإنشادها، وهي إحدى المعلقات السبع التي بدأها بذكر الخمر متجاوزاً الوقوف على الديار[٤] :

أَلا هُبِّي بِصَحْنِكِ فاصْبَحِينا ... ولا تُبقي خُمورَ الأندَرينا[٥]

والقصيدة فيها غلو ومبالغة، حيث نلمس فيها خيلاء الشاعر وغروره، وفيها نظرة استعلاء، فجعل الناس عبيداً وخولاً لقومه حيث نراه يفخر بقومه[٦]، ويصفهم بأنهم كرماء يقرون للضيوف الطعام ما وسعهم ذلك، كما يصفهم بالشجاعة، فهم أصحاب الحل والعقد، وهم السادة والقادة وغيرهم أتباع لهم، وهم لكثرتهم قد ملأوا البر والبحر حيث يقول:

وقد عَلِمَ القبـائِلُ مِنْ مَعَدٍّ ... إذا قُبَـبٌ بأبطَـحِها بُنينـا
بأنَّا الْمُطْعِمُونَ إذا قَدَرْنـا ... وأنَّا الْمُهْلِكُونَ إذا ابْتُلينـا
وأنَّا الْمَانِعُـونَ لِمَا أَرَدْنـا ... وأنَّا النَّازِلُونَ بحيـثُ شِينا

---

[١] ابن رشيق: العمدة، دار الجيل – بيروت، ط ٥، ١٩٨١م: ١٤٢/٢.

[٢] يحيى الجبوري: الشعر الجاهلي ، خصائصه وفنونه : ١٨٦.

[٣] ديوان حاتم الطائي، ت: كرم البستاني، مكتبة دار صادر – بيروت، ١٩٥٣م: ٣٤. رميم: بالية. طوى بطنه: أجاع نفسه، أو تعمّد الجوع وقصده. اللئيم، اللؤم: أن يجتمع في الإنسان الشُحُّ ودناءة الآباء ومهانة النفس.

[٤] يحيى الجبوري : الشعر الجاهلي : ١٨٦.

[٥] الزوزني: شرح المعلقات السبع: ١٦٥ وابن الأنباري: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: ٣٧١ هبي: قومي. الصحن: القدح الضخم الواسع. فاصبحينا: اسقينا صبوحاً؛ وهو شرب الغداة. الأندرين: قرية بالشام كثيرة الخمر ، كانت في جنوب حلب. قال ياقوت وهي الآن خراب.

[٦] يحيى الجبوري: الشعر الجاهلي، خصائصه وفنونه: ١٨٦. الخول: العبيد.

وأنَّا التَّارِكُـونَ إذا سَـخِطْنا ... وأنَّا الآخِـذونَ إذا رَضينـا
وأنَّا العاصِمُـونَ إذا أُطِعْنـا ... وأنَّا العازمُـونَ إذا عُصينـا
ونَشْرَبُ إنْ وَرَدْنا الماءَ صَفْواً ... ويَشْـرَبُ غَيْرُنا كَدِراً وَطينـا
مَلأْنـا البَرَّ حتى ضـاقَ عنَّا ... ومـاءَ البحـرِ نَمْلَؤُهُ سَفينا
إذا بَلَغَ الفِطامَ لَنَـا صَبـيٌّ ... تَخِرُّ لَهُ الجبابِرُ سـاجِدينا[1]

وعلى نمط قصيدة ابن كلثوم، يصف أمية بن أبي الصلت قومه بأنهم ورثوا المجد كابراً عن كابر، وأنهم شجعان يهابهم الناس، لا يدانون في كرمهم، وهم سادة وسواهم مَوالٍ لهم وأتباع، يقول:

وَرِثْنا المجدَ عَنْ كُبَرَا نِـزارٍ ... فأَوْرَثْنا مـآثِرَهُ بَنينـا
وكُنَّا حيثُ قَدْ عَلِمَتْ مَعَدٌّ ... أَقَمْنا حيثُ ساروا هاربينا
بأَنَّا النَّـازِلُـونَ بِكُـلِّ ثَغْرٍ ... وأنَّا الضَّاربونَ إذا الْتَقَيْنا
وأنَّا المانعـونَ إذا أَرَدْنـا ... وأنَّا العاطفونَ إذا دُعينـا
وأنَّا الرافعـونَ علـى مَعَدٍّ ... أَكُفّاً في المكارمِ ما عُلينا
نُشَرِّدُ بالمخافـةِ مَنْ تأَبَّـى ... وَيُعطينا الْمَقَادَةَ مَنْ يَلينا[2]

ويصف عامر المحاربي قومه بالمجد والسؤدد، وأنهم ملاذ المستجيرين، ذوو سيادة وعزة، وأهل فصاحة وبلاغة، ينجبون الأفذاذ من الرجال، لهم الأمر والنهي، وبأيديهم الحل والعقد. فيقول:

فأبقـتْ لنا آباؤهُمْ مِنْ تُراثِهِـمْ ... دعائِمَ مَجْدٍ كانَ في الناسِ مُعْلَما
ونُرْسي إلى جُرْثومةٍ أدركـتْ لنـا ... حديثاً وعادِيّاً مِنَ المجدِ خِضْرِمـا
بنـى مَنْ بنى منهُمْ بِنـاءً فمكَّنـوا ... مكاناً لنـا منـهُ رفيعاً وسُـلَّمـا

---

[1] الزوزني: شرح المعلقات السبع: ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩. وفي شرح القصائد السبع لابن الأنباري: ٤١٧ يروى صدر البيت الأول: "وقد علم القبائل غيرَ فخر". القبب والقباب جمع قبة: بناء مستدير مقوس مجوف أو خيمة صغيرة أعلاها مستدير. ابتلينا: اختبرنا. الماء الكدر: هو الذي زال صفاؤه. الجبابر جمع جبّار: وهو المتكبر، والقاهر العاتي المتسلط.

[2] أبو زيد القرشي: جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام: ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١. كُبَرَا وكُبَرَى: أصلها كبراء. الثغر: الموضع الذي يُخافُ منه هجوم العدو.

إني مِنَ القومِ الذينَ إذا انْتَدَوْا ... بـــدأوا بحـــقِّ اللهِ ثُمَّ النائـــلِ
المانعيـــنَ مِنَ الخنـا جاراتِهِـمْ ... والحاشـدينَ على طعامِ النـــازلِ
والخالطيـــنَ فقيرَهُـمْ بغَنِيِّهِمْ ... والباذلينَ عَطاءَهُمْ للســـــائلِ
الضَّارِبيـــنَ الكبـــشَ يَبْرُقُ بَيْضُهُ ... ضَرْبَ الْمُهَجْهِجِ عَنْ حِياضِ الآبلِ
والقاتليـــنَ لدى الوغى أقْرانَهُمْ ... إنَّ المنيَّـــةَ مِـــنْ وراءِ الوائـــلِ
والقائِلينَ فلا يُعـــابُ كَـــلامُهُمْ ... يـــومَ المَقَامَةِ بالقضـــاءِ الفاصـــلِ
خَزْرٌ عُيونُهُمُ إلـــى أعدائِهِـــمْ ... يَمْشُونَ مَشْيَ الأُسْدِ تحتَ الوابـــلِ
ليســـوا بأنكـــاسٍ ولا مِيـــلٍ إذا ... ما الحربُ شُبَّتْ أَشْعَلُوا بالشَّاعِلِ[1]

وذهب الشعراء يباهون ببطولتهم ومضاء أسلحتهم ويتغنون بالمثل العليا التي جعلتهم فرساناً لا يهابون الموت ، وأقسى ما تلقاه القبيلة أن تسبى نساؤها، ولذلك لا يسكت على السبي أو يترك نساءه بيد عدوه إلا الضعيف الجبان، فهم يفخرون حين يسبون نساء أعدائهم، ويفخرون أيضاً حين يستردون نساءهم اللاتي سباهن الأعداء، ولذلك يعاظم طفيل الغنوي بقوله[2] .

فَنَحْنُ مَنَعْنَا يومَ حَرْسٍ نِساءَكُمْ ... غداةَ دَعَانا عامرٌ غيرَ مُؤْتَلي
رَدَدْنا السَّبايا مِنْ نُفَيْلٍ وجَعْفَرٍ ... وهُنَّ حَبَالى مِنْ مُخِفٍّ ومُثْقِلِ[3]

وقد حفل شعرهم بالأيمان الغليظة والعهود الشديدة التي كانوا يقطعونها على أنفسهم وما يتبع ذلك من حرمان أنفسهم من أطايب الحياة حتى يدركوا بثأرهم، فهذا المهلهل يتعهد لكليب وهو في قبره، أن يحرم على نفسه لذيذ الطعام والخمر وبهجر النساء، ويمكث لا يغير ملابسه

---

[1] أبو تمام: ديوان الحماسة، شرح التبريزي: ٢/٢٨٩-٢٩١. انتدوا: جلسوا في النادي، يريد أنهم يؤدون الفرض والنفل. الخنا: الفحش. الحاشدين: أي الجامعين، أي أنهم أهل عفاف يوفون بحق الجوار. الكبش: سيد القوم وقائدهم. يبرق: يلمع. البيض: جمع بيضة وهي الحديد التي تلبس في الرأس (الخوذة). المهجهج: الذي يطرد الإبل عن الحوض إذا رويت. الآبل: صاحب الإبل. الوغى: الحرب. الوائل: الذي ولى عن الحرب يطلب النجاة. المقامة: المجلس. الفاصل: الذي يفصل بين الحق والباطل. خزر عيونهم: النظر بأحد الشقين. الوابل: المطر الشديد. الأنكاس: جمع نكس وهو الرجل الذي لا خير فيه. الميل: جمع أميل وهو الذي لا يثبت على الفرس. شبت: أوقدت. الشاعل: صاحب الإشعال.

[2] يحيى الجبوري: الشعر الجاهلي، خصائصه وفنونه: ١٨٠، ١٨١.

[3] ديوان طفيل الغنوي، ت: محمد عبد القادر أحمد، دار الكتاب الجديد - بيروت، ط١، ١٩٦٨م: ٣٧. يوم حرس: يوم من أيامهم. غير مؤتلي: غير مقصر.

ولا يخلع درعه أو يلقي سيفه حتى يثأر له ويشفي غليله[١] :

خُذِ العهدَ الأكيدَ عَلَيَّ عُمْري ... بتركي كُلَّ ما حَوَتِ الدِّيارُ
وهَجْـري الغانياتِ وشُرْبَ كأسٍ ... وَلُبْسِـــي جُبَّةً لا تُسْتعــارُ
ولستُ بخالـعٍ دِرْعي وسَيْفـــي ... إلى أنْ يَخْلَعَ الليلَ النَّهارُ
وإلاَّ أنْ تَبيــدَ سَـــراةُ بَكْـرٍ ... فلا يَبْقَـــى لها أبَــداً أثارُ

وقال أوس بن حجر مفتخراً [٢] :

أرى حَرْبَ أقوامٍ تَدُقُّ وحربُنا ... تَجِلُّ فَنَعْرَوْري بها كُلَّ مُعْظَمِ
ترى الأرضَ مِنَّا بالفضاءِ مـريضةً ... مُعَضَّلَـــةً مِنَّـا بجَمْـعٍ عَرَمْرَمِ
مَتَى تَبْغِ عِزِّي في تَـميمَ وَمَنْصِبي ... تَجِدْ ليَ خالاً غيرَ فَخـرٍ ولا عَمِ
تَجِدْنيَ مِنْ أشْرافِهِمْ وَخِيارِهِمْ ... حَفيظاً على عوراتِهِمْ غيرَ مُجْرِمِ

وقال تميم بن أبي مقبل مفتخراً بقومه[٣] :

مَصاليتُ فَكَّاكُونَ للسِّبْيِ بَعْدَمـا ... تَعَضُّ على أيدي السَّبيِّ سَلاسِلُهْ
وكَمْ مِنْ مقامٍ قَدْ شَـهِدْنا بِخُطَّـةٍ ... نَشُجُّ وَنَأْسُـــو أو كَريـمٍ نُفاضِلُهْ
وكَمْ مِـنْ كَمِـيٍّ قَدْ شَكَكْنا قَميصَهُ ... بأزرقَ عَسَّالٍ إذا هَـــزَّ عامِلُـــهْ
وإنَّا لَنَحْدو الأمـرَ حينَ حِدائِـهِ ... إذا عَيَّ بالأمــرِ الفظيــعِ قَوَابِلُهْ
نُعيـــنُ علـــى مَعْرُوفِـــهِ ونُمِرُّهُ ... على شَزَرٍ حتى تُجـــالَ جَوائِلُهْ

---

[١] حسن السندوبي : أخبار المراقسة وأشعارهم في الجاهلية وصدر الإسلام: ٢٧٣. تبيد: تهلك. سراة: جمع سريّ؛ وهو الرئيس والسيد في قومه.

[٢] ديوان أوس بن حجر، ت: محمد يوسف نجم، دار صادر - بيروت، ط٣، ١٩٧٩م: ١٢١-١٢٤. تجل: تعظم. فنعروري، العرّة: الشدة في الحرب ونعروري: نركب. شبّه الحرب بفرس يركبونها. معظم، عظم: كبر، أي عظائم الأمور. معضلة: أصبحت ضيقة. بجمع عرمرم: بجمع كثير؛ أي جيش كثير.

[٣] ديوان تميم بن أبي مقبل، شرح مجيد طراد، دار الجيل - بيروت، ١٩٩٨م: ٢٤٢ - ٢٤٣ مصاليت: أشداء، أقوياء. السبيّ: المأسور. السلاسل: القيود. الخطة: الأمر أو الحالة. نشجّ، شجّه: شقّ جلد رأسه أو وجهه. والشجّة: الجراحة في الرأس أو الوجه أو الجبين. نأسو، أسا بينهما أسْواً، وأساً: أصلح. ويقال "فلان يشج بيد ويأسو بأخرى": لمن يسيء ويحسن. نفاضله: نغالبه في الفضل، أو ننافسه في الفضل؛ والفضل: الإحسان ابتداءً بلا علة. الكميّ: لابس السلاح، والشجاع المقدام الجريء، كان عليه سلاح أو لم يكن. شككنا: خرقنا. الأزرق: الرمح. عسّال: أي الرمح الذي يهتز ليناً. عامل الرمح: صدره. نحدو الأمر: نبعثه. عيّ بالأمر: عجز عنه. الأمر الفظيع: الأمر الشديد. قوابل الأمر: أوائله. الشزر: النظر بمؤخرة العين، في حالة الإعراض أو الغضب. جال الأمر: انكشف.

وخلاصة ذلك أن الفخر يعني التمدح بكرم الخلال وطيب الشمائل ومباهاة بنفسه أو قبيلته، وهو كذلك من أحفى صفات العرب ومن أوسع الأبواب في شعرهم حتى إن بعض قصائدهم الطوال قيل في هذا الغرض كمعلقة عمرو بن كلثوم ومجمهرة أمية بن أبي الصلت، وكانوا يفخرون بالشجاعة والإقدام والنجدة وإغاثة الملهوف وحماية الجار والكرم ونحو ذلك مما كانوا يتمدحون به ولكنهم كانوا لا يبالغون في الفخر ولا يسرفون في التمدح . ونلاحظ أن الشعراء يستمدون مفاخرهم من المظاهر البدوية الصادقة دون تكلف للمغالاة ، أو إمعان في المبالغة ، أو جنوح عن المعقول ، وربما بدت المغالاة في مثل شعر عمرو بن كلثوم الذي ورد سابقاً، أو في مثل قول عنترة[١] :

وأنا الْمَنيَّةُ في الْمَواطنِ كُلِّها والطَّعْنُ مِنِّي سابقُ الآجالِ

ولكنها مبالغات قريبة ونادرة في الشعر الجاهلي[٢].

٢- الحماسة:

أما الحماسة : فهي القوة والشدة والشجاعة[٣] ، وكانت العرب تسمي قريشاً. "حمساً" لتشددهم في أحوالهم ديناً ودنيا وتسمي بني عامر الأحامس[٤] . وقال ابن دريد: حمس الشر: اشتد، والحمس: قريش وكنانة وخزاعة ، تحمسوا في دينهم ، وبنو حماس : قبيلة من العرب، وكذلك بنو حميس[٥] . وقوم حمس : متشددون في الدين ، وحمس غيره: شجعه وحرضه[٦] .

وعليه فإن الحماسة لغة تعني : الشجاعة والقوة والمنع والمحاربة والشدة والبأس وما إلى ذلك من معان وصفات تتعلق بالشّجاعة ، وترتبط بها كالصبر والاحتمال والإباء والجرأة[٧] .

---

[١] ابن قتيبة: الشعر والشعراء: ١٥١. وفي ديوانه: ١٤٧: "وأنا المنية حين تشتجر القنا ... وعجزه كما في الشعر والشعراء". وتشجتر القنا: أي الطعن بالرماح. الآجال: جمع أجل، وهو الموت.

[٢] محمد عبد المنعم خفاجي: الشعر الجاهلي: ٢٢٧، ٢٣٣.

[٣] ابن منظور: لسان العرب، إعداد وتصنيف يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت - لبنان ٧١٨/١ (حمس).

[٤] المرزوقي : شرح ديوان الحماسة : ٢١/١. (المقدمة).

[٥] ابن دريد: جمهرة اللغة، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن، ط١، ١٣٤٥هـ: ١٥٦/٢.

[٦] ابن منظور: لسان العرب ٧١٨/١.

[٧] حنان حتامله : شعر الفخر عند الشعراء الفرسان في العصر الجاهلي ، دراسة تحليلية ، ماجستير، كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد - الأردن، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م: ١٥.

وقد أطلق اسم الحماسة على كثير من المجاميع والاختيارات الشعرية القديمة كحماسة أبي تمام والبحتري والبصري وابن الشجري وغيرهم[١] من أصحاب الاختيارات الشعرية القديمة التي كانت تعنى بلون من الشعر "يصور البطولات والمواقف المشرفة التي تعلن عن الرجولة الفحلة والشجاعة النادرة والإقدام الذي لا نظير له في ثنايا تلك الخلال الحميدة"[٢] . فكثير من شعر المفضليات والأصمعيات والوحشيات "الحماسة الصغرى" بالإضافة إلى ما سبق ذكره هو شعر حماسة[٣] .

وعند شفيق الكمالي أن شعر الحماسة " أناشيد حرب، وانتصار للشرف والإباء وهو شعر الثورة التي لا تخمد والغضبة البدوية التي لا يطفيء أوارها إلا الدم"[٤] .

ويعرفها الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي بقوله: "هي ما أثر عن العرب في جاهليتهم من شعر قالوه في وصف شجاعتهم ونضالهم وحروبهم ومواقعهم؛ وفي الدعوة إلى الأخذ بالثأر والانتقام من العدو، وفي التحريض على القتال ، وبعث عزائم الأبطال في الحروب ، وفي ما سوى ذلك من شتى أغراض شعر الحماسة ومناحيه. وهو باب كبير في الشعر الجاهلي ، وصدر به أبو تمام حماسته"[٥] .

ويرى أيضاً أن الحماسة في الشعر هي : " التغني بالصفات التي تنبيء عن القوة وتدل على الشجاعة ، والاستهانة بالصعب من الأمور والعسير من المخاطر وخوض غمار الحروب، وذم الجبن والخور والفرار"[٦] .

أما أمجد الطرابلسي فيرى أن شعر الحماسة يختص – كما يرى القدماء– " بالشجاعة والإقدام والحض على النزاع وتحمل المكروه والاستهانة بالموت وإدراك الثأر وما إلى ذلك من المعاني الحماسية"[٧] . والحماسة-عند يحيى الجبوري : " فن الحرب والقتال والشجاعة والتغني بصفات البطولة والرجولة وركوب المخاطر وخوض غمرات القتال ، ووصف ما في الحرب من

---

[١] صدر الدين علي بن الحسن البصري : الحماسة البصرية : ١/٢-١٧.

[٢] محمد بركات حمدي أبو علي: أبو تمام بين أشعاره وحماسته، مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، ط١، ١٩٨٢م: ٥٣٢.

[٣] يحيى الجبوري: الشعر الجاهلي، خصائصه وفنونه: ١٧٧.

[٤] شفيق الكمالي: الشعر عند البدو، مطبعة الإرشاد – بغداد. د.ت: ٢٤٧.

[٥] محمد عبد المنعم خفاجي: الحياة الأدبية في العصر الجاهلي: ٣٢٣.

[٦] محمد عبد المنعم خفاجي : الشعر الجاهلي : ٢٦٦.

[٧] أمجد الطرابلسي: نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغة والأدب ، دار الفتح– دمشق: ١١٨.

كر وفر وعدد وسلاح ودماء وجرحى وقتلى، ودعوة للحرب وأخذ بالثأر وما إلى ذلك"[١] .

وشعر الحماسة هو ضرب من الشعر يصور البطولة والمثل العليا للفروسية التي تقوم عليها حياة الصحراء[٢] . أما زكي المحاسني فيقول : "الحماسة (أي الفروسية) هي القصائد التي تتمدح بذكر الشجاعة في القتال والبطولة في المعارك ، ويرى لويس ماسينيون أنها تضم الجزء العظيم من الشعر العربي القديم"[٣] . وشعر الحماسة عند جواد علي هو: "شعر المعارك والحروب"[٤] .

ويرى بروكلمان أن شعر الحماسة هو : "باب التعبير عن ضروب الشجاعة المختلفة"[٥] . والحماسة بما فيها من المعاني هي عند نوري القيسي :"شعر حرب يسجل ضروب الشجاعة وأصناف التضحية وصفات البسالة والجرأة والإقدام" [٦] .

ويرى عوض الغباري أن شعر الحماسة : "هو صوت الشاعر العربي الذي يتغنى بكل ما يعتز به العرب من صفات القوة والفروسية والبطولة والانتصارات العربية، والقيم الرفيعة والخصال الحميدة التي يمكن أن يضمها معنى جامع هو معنى المروءة" [٧] . والحماسة بمعناها الأدبي تعني أكثر ما تعني عند محمد جميل شلش: "الشعر الذي يعبر عن معاني الشجاعة والشدة، والمنع والمحاربة، والتغني بالإباء، والجلد والجرأة والإقدام والصبر وما إلى ذلك..."[٨] .

ويمكن القول إن المفهوم الاصطلاحي للحماسة يعني شعر الشجاعة والشدة والقوة والبسالة والفروسية في الحروب والمعارك يتغنى فيه الشعراء بكل ما يتعلق بهذه الصفات من معان كثيرة وممتدة من صبر وإقدام وجرأة وحكمة وشرف ومروءة ودراية ونحو ذلك من المعاني الحماسية[٩] .

---

[١] يحيى الجبوري: الشعر الجاهلي، خصائصه وفنونه: ٢٩٣.

[٢] المصدر نفسه : ٢٩٣.

[٣] زكي المحاسني: شعر الحرب في أدب العرب في العصرين الأموي والعباسي إلى عهد سيف الدولة:٢٢٩.

[٤] جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ١٥٥/٩.

[٥] كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية: عبد الحليم النجار، دار المعارف بمصر- القاهرة، ط٣. د.ت: ٤٩/١.

[٦] نوري القيسي: شعر الحرب حتى القرن الأول الهجري، مكتبة النهضة العربية - بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م: ٢١.

[٧] عوض الغباري : شعر الحماسة في الأدب العربي ، الطليعة الأدبية ، العدد السابع، تموز، ١٩٨٥م: ١٧.

[٨] محمد جميل شلش : الحماسة في شعر الشريف الرضي، بغداد، ط ٢، ١٩٨٥م: ١٢٧.

[٩] حنان حتامله : شعر الفخر عند الشعراء الفرسان في العصر الجاهلي : ١٧.

وشعر الحماسة – إلى كثرته– من أصدق الأشعار وأقواها وأشدها أثراً في النفوس، ذلك لأن الشعراء أنفسهم كانوا فرساناً يخوضون غمرات القتال فيعبرون عن واقع مشهود وتجارب نفسية صادقة، والمعركة هي الميدان الفسيح الذي يستمد منه الشاعر معانيه الحربية.

وهكذا يتضح أن شعر الفخر لا ينفصل عن شعر الحماسة، وأن الصلة قائمة ووثيقة بينهما. ويتأكد لنا هذا أكثر عند مراجعة حماسة أبي تمام، أو غيرها من الحماسات، حيث نجد أنه يضع الباب الأول باسم "باب الحماسة" ولا يخص الفخر بباب خاص من أبواب حماسته وذلك لأن الفخر متضمن في باب الحماسة، ليس هذا فحسب فإنك حين تقرأ في هذه الاختيارات تجد أن الفخر يتصدر أبوابها الشعرية من مدح أو رثاء أو هجاء حتى أنك لا تكاد تقرأ قصيدة جاهلية – بقطع النظر عن غرضها – إلا وتجد بيتاً أو أبياتاً، وهذا يدل على أن الحماسة مادة الفخر وهي أوسع منه[١].

والحماسة في الشعر تعني: التغني بالصفات التي تنبيء عن القوة وتدل على الشجاعة والاستهانة بالصعب من الأمور والعسير من المخاطر وخوض غمار الحروب وذم الجبن والخور والفرار. وقد أكثر شعراء العرب من تناول هذه المعاني والإلحاح على هذا الغرض ، لأن الشجاعة والإقدام وركوب الأهوال وإيثار الموت والأخذ بالثأر من الخلائق الطبيعية المركزة في أعماق نفوسهم إذ كانت حياة البداوة والتنافس بين القبائل والحروب التي لا تنقطع تستدعي ذلك أشد الإستدعاء[٢].

على أن هذا الشعر الذي يحمل طابع البداوة بما فيها من عصبية طاغية تتصل بالقبيلة والأهل والعشيرة وإسراع إلى حمل السلاح والمصاولة بالرماح لا بد أن تقل مكانته وتضعف منزلته في الحياة المنظمة المتحضرة حيث يسود القانون ولا يباح لأحد أن يحمل السيف أو يحتكم إلى الرمح ما دام هناك قانون يبسط ظله على الجميع[٣].

وعلى الرغم من ثبوت الصلة بين الفخر والحماسة ، فالباحثة لا تجزم – كما صنع بعض الباحثين – أن الفخر هو الحماسة بعينها أو العكس ، والأقرب إلى الحق أن نقول : إن الحماسة تبقى أكثر اتصالاً والتصاقاً بمعاني الحرب والشجاعة والإقدام وتلك المعاني يستخدمها الشاعر في الفخر أيضاً بيد أنه قد يفخر بأشياء ليست من باب الشجاعة والإقدام[٤].

---

[١] حنان حتامله: شعر الفخر عند الشعراء الفرسان في العصر الجاهلي: ١٩.

[٢] عبد الحميد المسلوت: الأدب العربي بين الجاهلية والإسلام، الجامعة الليبية – طرابلس، ١٩٧٣م: ٢٦١.

[٣] المصدر نفسه : ٢٦٢.

[٤] حنان حتامله : شعر الفخر عند الشعراء الفرسان في العصر الجاهلي: ٢٠.

ثانياً: الفروسية:

الفروسية تعني " البطولة في الحرب والبلاء في المعركة والعفة عند توزيع الغنائم، وإطعام الضيف وحماية الحقيقة والذود عن المرأة وتلبية دعوة المستغيث واستجابة لصرخة المنادي إلى غير ذلك مما تستوجبه النخوة ويتطلبه الشعور الإنساني"[١] .

لقد كانت الفروسية تمثل لنا جانبين من جوانب الحياة الجاهلية ؛ جانب الحرب وجانب المثل العليا، فشخصية الفارس البطل تملي عليه أن يكون إنساناً سامياً في مثله إلى جانب بطولته، والحياة الجاهلية بطولة متصلة وحماسة متشابكة الأجزاء وتجتمع أسسها ليقوم عليها البناء الشامخ الذي احتضن الفروسية بكل مفاهيمها ومعانيها[٢] .

وبعد ذلك " فهي كل المعاني التي فخر بها الجاهلي، فشعر الفخر يتحدث عن معاني الفروسية ... وهي ظاهرة واسعة الانتشار في الحياة الجاهلية"[٣] ويقول أحد الباحثين في هذا المجال: "والحياة في البادية حياة فروسية يعمل الأبطال فيها على حماية المستضعفين والبائسين، ونجدة الملهوفين وإغاثة المحرومين ؛ وقد تغنى الشعراء من ثم بحفظ الجار وإعزاز جانبه وبتلبية دعوة المكروبين في الحرب، وبفك العاني الذي أسر وبالدفاع عن المرأة ، وبكل ما هو من ميزات الفروسية الحق التي ترفع الإنسان إلى درجة عالية من السمو والكمال"[٤] .

"وحري بالفارس أن يتمتع- على سبيل المثال- بالحكمة وحصانة اللسان وسداد الرأي... وهدف الفروسية هو السيطرة على الحياة ، وتذليل الصعاب، والثبات في وجه الأخطار..."[٥] .

وفي هذا يقول أحد الباحثين : " تدرك الفروسية العربية أن لها حداً هو الغياب أخيراً، فهي إذ تتردد بين حضور الوجود وحضور الغياب، تتضمن حس الفجيعة ، لذلك ليس القتال عنها لعباً كيفياً، بل هو حاجة يفرضها قدر الحياة للتسلح ضد قدر الموت، يدرك الفارس أنه سائر إلى الموت ، وأن الحرب تعجل هذا المسير، غير أنه في الوقت ذاته، موقن أن الحرب لا تقدر مع

---

[١] نوري القيسي: الفروسية في الشعر الجاهلي : ٢٩.

[٢] المصدر نفسه : ٢٩-٣٠.

[٣] حنان حتامله : شعر الفخر عند الشعراء الفرسان في العصر الجاهلي : ٢٣.

[٤] حنا الفاخوري : الفخر والحماسة، سلسلة فنون الأدب العربي، دار المعارف بمصر - القاهرة، ط٢، ١٩٦٨م: ١٠، ١١.

[٥] حنان حتامله : شعر الفخر عند الشعراء الفرسان في العصر الجاهلي: ٢٣.

أنها مليئة بالموت، أن تغلق في وجهه أفق المستقبل وأبواب الحياة"[١] .

إن هذه الفروسية بهذا الشكل ... هي إفراز لمعاناة الجاهلي أمام الطبيعة والعدم والعدو..."[٢] ، يقول يوسف اليوسف في هذا الجانب : " فالحق أن شعراء الجاهلية طراً لهم هذه الدرجة أو تلك من الفروسية "[٣] . والتي تعتبر "مؤونة الفخر والتفاخر"[٤] ، وهي أيضاً منبع للحماسة "حماسة للحياة في وجه يقين مرعب شامل بالعدم"[٥] . ومن هنا يتضح مدى الترابط بين الفروسية والفخر والحماسة "فمجتمع الفروسية بهذا التحديد، لا يفرز إلا هذا الشعر في الحماسة، حماسة الفخر" [٦] ، وعن توحد القيم بين الفروسية والفخر يضيف قائلاً: "فإذا بقيم الفروسية هي التي تتكرر، في الفخر عندما ينسبها الشاعر لنفسه وقومه، وفي المدح عندما ينسبها للآخر ولقومه، وفي الرثاء عندما يبكيها في فقدان من كان يحملها ويحافظ عليها، وفي الهجاء، عندما يسلبها الشاعر من المهجو، ويجرده منها ويعريه أمام تقاليد البطولة والكرم والإباء والتضحية"[٧] .

وحقيقة البطل عند كل الفرسان – كما يقول الدكتور نوري القيسي – كانت دائماً تنصب في "دائرة الجانب الأخلاقي والبطولي"[٧] . "والذي يستعرض شعر الفخر والحماسة والفروسية يجد أن الفروسية ارتكزت على جانبين أساسيين : البلاء في القتال، والمثل الأخلاقية العليا"[٨] .

معنى الفروسية في الشعر الجاهلي:

لقد حفل الشعر الجاهلي بالحديث عن الفروسية لأنها كانت الطابع المميز للحياة

---

[١] أدونيس (علي أحمد سعيد): مقدمة للشعر العربي، دار العودة ، بيروت، ط٣، ١٩٧٩م: ١٧-١٨.

[٢] حنان حتامله: شعر الفخر عند الشعراء الفرسان في العصر الجاهلي: ٢٣.

[٣] يوسف اليوسف: مقالات في الشعر الجاهلي، دار الحقائق – بيروت، ط ٤، ١٩٨٥م: ٢٨.

[٤] مطاع الصفدي: قراءة ثانية للشعر الجاهلي ، الأصالة والممكن، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، بيروت، العدد العاشر، ١٩٨١م: ١٥. تعتبر والصواب (تُعَدُّ).

[٥] المصدر نفسه : ١٥.

[٦] مطاع صفدي وإيليًا حاوي: موسوعة الشعر العربي – الشعر الجاهلي. ت: أحمد قدامة، شركة خياط للكتب والنشر – بيروت، ١٩٧٤م: ٤٧/١.

[٧] المصدر نفسه: ٤٧/١.

[٧] نوري القيسي: البطل في التراث: ٣٦.

[٨] حنان حتامله : شعر الفخر عند الشعراء الفرسان في العصر الجاهلي : ٢٢.

وتتمثل في شخص عنترة بطولة الفارس الحربية، وترتفع في نفسه العفة والكرامة، فيبيت على الطوى، وهو المقدم في أهوال الحرب، فهو دائماً في مقدم الرعيل وعلى رأس الكتيبة لا يعرف التواكل ولا الهزيمة وإنما هو الذي يحمي ويدفع عنهم الذل والهوان[1] :

وَلَقدْ أبيتُ على الطَّوى وأظَلُّهُ ... حتى أنالَ بهِ كَريمَ المأْكَلِ
وإذا الكتيبةُ أحْجَمتْ وتلاحَظَتْ ... أُلفيتُ خيراً مِنْ مُعَمٍّ مُخْوَلِ
والخيلُ تعلمُ والفوارسُ أنَّني ... فَرَّقْتُ جَمْعَهُمُ بطعنةِ فَيْصَلِ
إذْ لا أُبادِرُ في المَضيقِ فَوارِسي ... ولا أُوكَّلُ بالرَّعيلِ الأوَّلِ
وَلَقَدْ غَدَوْتُ أمامَ رايةِ غالِبٍ ... يومَ الْهِياجِ وما غَدَوْتُ بأَعْزَلِ

والحصين بن الحمام المري الذي يعد من أوفياء العرب وفرسانهم يظفر بخصومه ويكثر فيهم القتل فتعلوه نشوة النصر فينطلق مفتخراً، فيقول[2]:

فلستُ بِمُبْتَاعِ الحياةِ بِسُبَّةٍ ... ولا مُبْتَغٍ مِنْ رَهْبةِ الموتِ سُلَّما
ولكنْ خُذُوني أيَّ يومٍ قَدَرْتُمُ ... عليَّ فَحُزُّوا الرأسَ أنْ أتكلَّمَا
بآيةِ أنِّي قَدْ فَجَعْتُ بفارسٍ ... إذا عَرَّدَ الأقْوامُ أقْدَمَ مُعْلِما

وهذا الأعشى الكبير يفتخر بقومه بعد انتصارهم على بني سيار رعاية لحماهم ودفاعاً عن عرضهم الذي استبيح وانتصاراً لـ (فطيمة) التي أهانها بنو سيار [3]:

كَلاَّ زَعمتُمْ بأنَّا لا نُقاتِلكُمْ ... إنَّا لأمثالِكُمْ يا قَوْمَنا قُتُلُ
نَحنُ الفوارسُ يومَ العَيْنِ ضاحيةً ... جَنْبَيْ "فُطَيْمةَ" لا مِيلٌ ولا عُزُلُ
قالوا الرُّكُوبَ! فَقُلْنا تلكَ عادَتُنا ... أوْ تَنْزِلونَ فإنَّا مَعْشَرٌ نُزُلُ

---

[1] مصطفى السقا: مختار الشعر الجاهلي: ٣٨٨/١. الطوى: خمص البطن. قال الأصمعي: أبيت بالليل على الطوى، وأظل بالنهار كذلك. حتى أنال به كريم المأكل: أي ما لا عيب فيه عليّ. الكتيبة: الجماعة إذا اجتمعت، ولم تنتشر. أحجمت: جبنت وضعفت. تلاحظت: نظر الأبطال بلحاظ عيونهم إلى البطل الحامي الذمار. معم مخول: كريم الأعمام والأخوال. الفيصل: الفاصل بين القوم، المفرق لجموعهم. لا أبادر فوارسي: لا أكون أول منهزم، فلا أسبق الفرسان، ولكن أكون وراءهم أحمي عورتهم. الرعيل: الجماعة من الخيل والناس وغيرهم. غالب: حامل رايته. أعزل: هو الذي لا سلاح معه.

[2] المفضل الضبي: المفضليات ٦٩/١٢. فلست بمبتاع: لا أشتري. بسبة: ما أسبّ عليه. ولا مبتغ: لا أطلب. رهبة: خوف. سلما: مهرباً. ومعنى البيت الثاني: إني أقول فيكم وأهجوكم وأذمكم ما حييت. الآية: العلامة: فجعت: فجعتكم بقتل فارس منكم. عرّد: هرب. المعلم: الذي يجعل لنفسه علامة في الحرب يعرف بها.

[3] الأعلم الشنتمري: مختار الشعر الجاهلي: ١٠٧/٢. وديوانه: ٢٨٧، ٢٨٨. قتل، جمع قتول: الكثير القتل. وروي صدر البيت الثالث: "إنْ تركبوا فركوبُ الخيل عادتنا". وروي "الطِّعانُ" بدل "الركوب". حيث يتابع فخره، فيقول: وكل فارس منا خير محارب راكباً وراجلاً. إن شئتم حاربناكم على ظهور الخيل. وإن شئتم قاتلناكم راجلين.

من هذه النصوص نستطيع أن ندرك المفهوم المتداول لمعنى الفروسية في العصر الجاهلي كما صورته لنا تلك النصوص، فهي البطولة في الحرب والبلاء في المعركة والعفة عند توزيع الغنائم وإطعام الضيف وحماية الحقيقة والذود عن المرأة وتلبية دعوة المستغيث واستجابة لصرخة المنادي ... وهكذا كانت الفروسية تمثل لنا جانبين من جوانب الحياة الجاهلية ؛ جانب الحرب وجانب المثل العليا[١] .

ثالثاً: الفتوة:

(١) الفتوة في معاجم اللغة :

*** في الصحاح [٢]:**

الفتى : الشاب، والفتاة: الشابة ، وقد فتي بالكسر يفتي فهو فَتيٌ السن بيِّن الفتاء.

*** في لسان العرب[٣]:**

الفتاء : الشباب، والفتى والفُتَيَّة الشاب والشابة والفعل فتو : يفتو : فتاء. ويقال : فعل ذلك في فتائه ، وقد فتي بالكسر: يفتي: فهو فَتيٌ السن بيِّن الفتاء.

*** وفي القاموس المحيط [٤] :**

الفتاء: الشباب والفتى الشاب.

هذا ما ورد من معاني المادة التي تدل على الشباب والفتوة والنشاط والحيوية والشجاعة، أما ما ورد منها في المعنى الثاني المتضمن معنى الكرم والسخاء فقد جاء في معاجم اللغة على النحو التالي[٥]:

---

[١] نوري القيسي: الفروسية في الشعر الجاهلي : ٢٩.

[٢] الجوهري: الصحاح – تاج اللغة وصحاح العربية – ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي، ١٩٥٦م. مادة (فتى): ٢٤٥١/٦.

[٣] ابن منظور: لسان العرب، طبع بولاق، ١٣٠١هـ. مادة (فتا): ٣/٢٠.

[٤] الفيروز أبادي: القاموس المحيط، طبع المكتبة التجارية. مادة (الفتا): ٣٧٣/٤.

[٥] نوري القيسي: الفروسية في الشعر الجاهلي: ٣١.

*** الصحاح [١] :**

الفتى : السخي الكريم ، يقال : هو فتى بيِّن الفتوة وقد تفتَّى وتفاتى، والجمع فتيان وفتية.

*** وجاء في لسان العرب[٢] :**

والفتى : السخي الكريم ، يقال هو فتى بيِّن الفتوة وقد تفتى وتفاتى والجمع فتيان وفتية وفتو على فعول وفُتيَ.

*** وجاء في المحيط [٣] :**

الفتى، الشاب والسخي الكريم وهما فتيان وفتوان ... والفتوة الكرم وقد تفتى وتفاتى وفتوتهم غلبتهم فيها.

*** وجاء في أساس البلاغة [٤]:**

هذا فتى بيِّن الفتوة هي الحرية والكرم وتقول العرب فتى من صفته كيت وكيت من غير تمييز.

(٢) الفتوة في الجاهلية :

الفتوة في الأصل معناها الشباب. وقد ولد له في فتاء سنه أولاد أي في شبابه. وأصل كلمة فتى مصدر فَتيَ فتى ... ثم جعلت وصفاً فقالوا : " هو فتى" أي شاب، وجمعوا الفتى على فتيان وفتو وفتية. والإسم " الفتوة"، ووصفوا بالفتوة الإنسان والحيوان . فقالوا: إن الأفتاء من الدواب، خلاف المسان[٥] . ثم نراهم نقلوا الكلمة نقلة أخرى ، فاستعملوها للدلالة على القوة لأن الشباب عنوان القوة. قال ابن قتيبة [٦] : "ليس الفتى بمعنى الشباب والحدث، إنما هو بمعنى الكامل الجزل من الرجال" ويدلنا على ذلك قول الشاعر:

إنَّ الفتـــــى حَمَّالُ كُلِّ مُلِمَّةٍ لَيْـــسَ الْفَتَى بِمُنَعَّمِ الشُّـــبانِ[٧]

---

[١] مادة (فتى) : ٢٤٥٢.

[٢] مادة (فتا): ٣/٢٠.

[٣] مادة (الفتاء) : ٣٧٣٠/٤.

[٤] الزمخشري: أساس البلاغة، دار مطابع الشعب – القاهرة، ١٩٦٠م: ١٨٤/٢.

[٥] الأفتاء: صغار السن. المَسانُّ: الكبار من الدواب.

[٦] أحمد أمين: الصعلكة والفتوة في الإسلام، دار المعارف – القاهرة، ط ٢، ١٩٥١م: ٩-١٠.

[٧] المصدر نفسه: ١٠. الملمة: النازلة الشديدة من شدائد الدهر.

ويقول آخر [١] :

يا عَزُّ هَلْ لَكِ في شَيْخٍ فتىً أبداً وَقَدْ يكونُ شبابٌ غيرَ فِتْيانِ

فالفتوة هي القوة ، لأن الشباب مصدرها عادة . ومن هذا المعنى تسميتهم الليل والنهار باسم الفَتَيانِ . ومَنْ أقوى من الليل والنهار في إذلال كل عزيز وإضعاف كل قوي؟ ومنه قول الشاعر[٢] :

لم يلبثِ الفَتَيانِ أنْ عَصَفَا بِهِمْ ولِكُلِّ قُفْلٍ يُسِّرَا مِفْتاحا

وفتوة الناس مرحلة قصيرة المدى ، وفتوة الليل والنهار متجددة أبداً [٣] .

ثم رأيناهم نقلوا معنى الفتى نقلة ثالثة ، كالذي قال الجوهري : "الفتى السخي الكريم " ولكن فاته أن يقيد ذلك بالشباب. ومثل ذلك ما قال الزمخشري : " الفتوة هي الحرية والكرم". قال عبدالرحمن بن حسان [٤] :

إنَّ الْفَتَى لَفَتى الْمكارمِ والعُلا لَيْسَ الْفَتَى بِمُعَمْلَجِ الصِّبْيانِ

وكأنهم لما لاحظوا في الفتوة الشباب والقوة ، لاحظوا أن القوة أكثر ما تستمد في وسطهم من الكرم والحرية[٥] .

وقد التفت أبو الريحان البيروني في كتابه " الجماهر في معرفة الجواهر" لفتة لطيفة ودقيقة فقال: إن هناك فرقاً بين الفتوة والمروءة؛ فالمروءة تقتصر على الرجل في نفسه وذويه وماله، والفتوة تتعداه إلى غيره، والمرء لا يملك إلا نفسه. فإذا احتمل مغارم الناس وتحمل المشاق في إراحتهم، ولم يضن بما أحل الله له، فهو الفتى الذي اشتهر بالقدرة عليها.

---

[١] أحمد أمين: الصعلكة والفتوة في الإسلام : ١٠.

[٢] المصدر نفسه : ١٠. الفتيان: الليل والنهار.

[٣] المصدر نفسه : ١١.

[٤] المصدر نفسه : ١١. المعملج: الذي خلقه خَبَل واضطراب، وهي بالغين المعجمة أكثر. ورجل عَمَلَّجٌ: حسن الغذاء. قال الأزهري: الذي رويناه للثقات الفصحاء: رجل عَمَلَّجٌ، بالغين المعجمة، إذا كان ناعماً. انظر ابن منظور: لسان العرب: ٣٢٩/٢.

[٥] المصدر نفسه : ١١.

فالبيروني لا يهتم بغنى أو فقر، وإنما يجعل عنصر الفتى شيئاً واحداً وهو الإيثار، وعلى هذا المعنى يكون الفتى والصعلوك من النوع الجيد مترادفين[١].

ويقول أحمد أمين[٢]: "ويخيل إليَّ أنه كان في الجاهلية طبقتان مختلفتان؛ الفتيان وهم أولاد الأغنياء من الشبان كامرىء القيس وطرفة، يقابلهم أولاد الفقراء ويسمون الصعاليك".

ولعل الفتيان كانوا كذلك قسمين، كلهم أغنياء وكلهم شبان ولكن يختلفون في مقدار النجدة والكرم [٣].

واشتقاق الفتوة من (الفتاء) بمعنى الشباب تدل على أن الفتى لا بد أن يكون قوياً شجاعاً، فيه عزم ومضاء، وهذه صفات الشباب، ويقول الشيخ المسن: تفتَّيْتُ، إذا تخلَّق بأخلاق الفتيان من القوة الجسمية، واحتمال المشاق، والمهارة في الطعن بالرمح، والضرب بالسيف[٤].

وكما أسلفنا سابقاً فقد وصف ابن قتيبة الفتى بمعنى الكامل الجزل من الرجال، كقول شاعر الحماسة [٥]:

فقلتُ لها لا تُنكريني فَقلَّما ... يسودُ الْفَتَى حَتَّى يَشيبَ وَيَصْلَعَا

والعرب تعني بالفتوة : الشجاعة، والإيثار، والسخاء، والوفاء، وكثيراً من الصفات الحميدة[٦].

معاني الفتوة في النصوص الجاهلية :

لقد استعملت لفظة (الفتى) في معنى الشجاعة والوفاء بالوعد والبر بالعهد والصبر على الشدائد ودفع الملمات، قال امرؤ القيس:

فَدَعْ ذا وَسَلِّ الْهَمَّ عَنْكَ بِجَسْرَةٍ ... ذَمُولٍ إذا صامَ النَّهارُ وَهَجَّرَا

---

[١] أحمد أمين: الصعلكة والفتوة في الإسلام: ١٧-١٨.

[٢] المصدر نفسه : ١٨.

[٣] المصدر نفسه : ٢٥-٢٦.

[٤] عمر الدسوقي: الفتوة عند العرب أو أحاديث الفروسية والمثل العليا، مكتبة نهضة مصر- الفجالة، د.ت: ١١.

[٥] أبو تمام: ديوان الحماسة، شرح التبريزي: ١١٧/١. وفي شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٣٢١/١ روى هذه الحماسة صاحب الخزانة : ٤٨٢/١، وذكر أن أحداً لم يعرف نسبتها. الصلع: انحسار شعر مقدم الرأس.

[٦] عمر الدسوقي : الفتوة عند العرب : ١٩.

عَلَيْها فتىً لم تَحْمِلِ الأرضُ مِثْلَهُ أبرَّ بميثاقٍ وأَوْفَى وأَصْبَـــرَا[1]

وقال طرفة بن العبد في هذا الصدد:

ويومَ حَبَسْـــتُ النَّفْسَ عِنْـــدَ عِراكِـــهِ حِفاظـــاً علـــى عَوْراتِهِ والتَّهَدُّدِ
على مَوْطنٍ يَخْشَى الْفَتَى عِندَهُ الرَّدى متى تَعْتَرِكْ فيهِ الفرائصُ تُرْعَدِ[2]

والفتى عند العرب هو السيد الذي نال السؤدد والشرف بخلاله الكريمة وأفعاله العظيمة، قال ابن أهبان الفقعسي يرثي أخاه[3]:

فَتَى الحيِّ إنْ تَلْقاهُ في الحيِّ أوْ يُرَى سِوَى الحيِّ أوْ ضَمَّ الرِّجالَ الْمَشاهِدُ
إذا نازعَ القومَ الأحاديـــثَ لَمْ يَكُنْ عَيِيّاً ولا رَبّاً علـــى مَـــنْ يُقاعِـــدُ
طَويلُ نِجادِ السَّيْـــفِ يُصْبِـــحُ بَطْنُهُ خَميصاً وجاديـهِ علـــى الزَّادِ حامِدُ

فوصف أخاه بالشجاعة والفصاحة والبيان والكرم والإيثار وكلها من معاني الفتوة.

---

[1] مصطفى السقا: مختار الشعر الجاهلي: ٥٦/١، ٥٧. فدع ذا: من أساليب العرب في الانتقال من غرض إلى غرض في القصيدة، وقد يجيء ابتداء. الجسرة: الناقة القوية النشيطة. وقيل التي تجسر على الليل والسير. الذمول: التي تسير الذميل؛ وهو سير سريع. صام النهار: قام واعتدل قائم الظهيرة، ويقال هجّر القوم، وأهجروا، وتهجّروا: ساروا في الهاجرة، وهي اشتداد الحر، والهجير والهجيرة: نصف النهار. فتى: يعني نفسه. الميثاق: العهد.

[2] الزوزني: شرح المعلقات السبع: ٩٥، ٩٦ وابن الأنباري: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: ٢٢٨، ٢٢٩، ويروى "ويومٍ حبست النفس عند عراكها"، ويروى "حفاظاً على روعاته". عراكه: أي ازدحام ذلك اليوم، ومن روى "عند عراكها": أراد الحرب. حفاظاً: محافظة. العورة: موضع المخافة. ومن روى "روعاته": أي فزعاته. موطن: هنا مستقر الحرب. الردى: الهلاك. الفرائص: جمع فريصة، وهي المضغة التي تحت الثدي مما يلي الجنب عند مرجع الكتف، وهو أول ما يرعد من الإنسان ومن كل دابة إذا فزع.

[3] أبو تمام: ديوان الحماسة، شرح التبريزي: ٤٤١/١، ٤٤٢. المشاهد: جمع مشهد، وهي المواطن التي يجتمع فيها الناس. التنازع: التناول. عيياً: عاجزاً. الرب: المتكبر. نجاد السيف: حمائله. الخميص: الضامر البطن من الجوع. جاديه: الذي يسأله الزاد والطعام.

ويرسم لنا طرفة صورة للفتى كما يتصورها هو وبيئته فيقول[١]:

إذا القومُ قالوا مَنْ فتىً خِلْتُ أنّني ... عُنيتُ فَلَمْ أكْسَلْ وَلَمْ أتَبَلَّدِ
ولستُ بحلاّلِ التِّلاعِ مَخافةً ... ولكنْ متى يَسْترفدِ القومُ أرْفِدِ
وإنْ تَبْغِني في حَلْقةِ القومِ تَلْقَني ... وإنْ تَقْتَنِصْني في الحوانيتِ تَصْطَدِ
وإنْ يَلْتَقِ الحيُّ الجميعُ تُلاقِني ... إلى ذِرْوَةِ البيتِ الكريمِ المُصَمَّدِ

فالفتوة في نظره ونظر أمثاله شجاعة وكرم، وإتلاف للمال في الجد والهزل، وعدم الاعتداد بالحياة في سلم أو حرب.

وقد شرح هذه الخصال بعد في قوله[٢] :

فَلَوْلا ثَلاثٌ هُنَّ مِنْ عيشةِ الْفَتَى ... وجَدّكَ لَمْ أَحْفِلْ مَتَى قامَ عُوَّدي

ومثل هذا قول الخنساء ترثي أخاها صخراً:

أَمُطْعِمَكُمْ وحامِلَكُمْ تَرَكْتُمْ ... لَدَى غَبْراءَ مُنْهدِمٍ رَجاها
لِيَبْكِ عَليكَ قَوْمُكَ للمعالي ... وللهيجاءِ إنَّكَ ما فَتاها[٣]

ويذكرنا قول طرفة " من فتى" بقول بشامة بن حزن النهشلي[٤] :

لَوْ كانَ في الألْفِ مِنّا واحدٌ فَدَعَوْا ... مَنْ فارسٌ خَالَهُمْ إيّاهُ يَعْنُونا

---

[١] ابن الأنباري: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: ١٨٣، ١٨٦، ١٨٧. والتبريزي: شرح القصائد العشر: ١٠٤، ١٠٦، ١٠٧. خلت أنني: حسبتني، ظننتني. عنيت من قولهم: عنى يعني عنياً بمعنى أراد. لم أتبلد: أي لم أكسل عن سلوكها. الحلال: مبالغة الحالّ من الحلول. التلاع: مجاري الماء من رؤوس الجبال إلى الأودية، جمع تلعة. الرفد: العطية، المعونة. وروى الطوسيّ: "وإن تبغني في مجلس القوم تلقني"، ويروى: "وإن تلتمسني". تبغني: تطلبني. حلقة القوم: الموضع الذي يجتمع فيه الناس للمشورة وإجالة الرأي. تقتنصني: تطلبني، تجدني. الحوانيت: بيوت الخمارين، والحوانيت أيضاً: الخمارون. إلى ذروة: مع ذروة. وذروة كل شيء: أعلاه. البيت: مراده هنا الأشراف. المصمد: الذي يصمد الناس إليه من شرفه. والصمد: القصد، أو السيد الذي يصمد إليه في النوائب والحوائج والأمور، أي يقصد فيها.

[٢] ابن الأنباري: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: ١٩٤. فلولا ثلاث: مراده ثلاث خلال. عيشة الفتى: ما يعيش به ويلتذ. وجدّك: قيل معناه وحقك، وقيل: معناه ونفسك، وقيل: معناه وأبيك. وجميعها مخفوض على القسم. لم أحفل: لم أبالِ. عُوّده: من يحضره عند موته في مرضه وينوح عليه.

[٣] ديوان الخنساء: ١٤١. الغبراء: الأرض. الهيجاء: الحرب. إنك ما فتاها: ما زائدة. والمراد إنك فتاها.

[٤] المرزباني : معجم الشعراء : ٦٦.

فهم يدعون الفارس في الملمات والشدائد، كما يدعون الفتى، فكأن الفتى هو الفارس الشجاع، وإن كان الفتى أعم معنى.

واستعملت لفظة الفتى لتدل أيضاً على القوة والشباب، قال عمرو بن كلثوم في معلقته[1] :

نَصَبْنا مِثْلَ رَهْوةَ ذاتَ حَدٍّ ... مُحـــافَظَةً وكُنّا السّـابقينـا
بِفِتْيانٍ يَرَوْنَ القتلَ مَجْداً ... وشيبٍ في الحروبِ مُجرَّبينا

وزهير لما كان عاقلاً فصيحاً رزيناً جعل أهم صفات الفتى الفصاحة في اللسان والحكمة في الجنان فقال [2] :

لسانُ الْفَتَى نِصْفٌ ونِصْفٌ فُؤادُهُ ... فلمْ يَبْقَ إلا صورةُ اللَّحْمِ والدَّمِ

وجعل مسكين الدارمي من أهم ميزات الفتى حفظ السر إذ يقول [3] :

وفِتْيانِ صِدْقٍ لستُ مُطْلِعَ بَعْضِهِـمْ ... على سِرِّ بعضٍ غَيْرَ أنّـــي جِمـــاعُها
لِكُلِّ امرِيءٍ شِعْبٌ مِنَ القلبِ فارِغٌ ... وَمَوْضِعُ نَجْوى لا يُرامُ اطِّلاعُهـــا
يَظُلُّونَ شَتّى في البلادِ وسِرُّهُـــمْ ... إلى صَخْرةٍ أعْيا الرجالَ انْصِدَاعُها

---

[1] ابن الأنباري : شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: ٣٩٨-٣٩٩. رهوة: جبل. ذات حد: كتيبة ذات شوكة. السابقين: المتقدمين. المجد: الحظ الوافر من الشرف والسؤدد.

[2] الزوزني : شرح المعلقات السبع: ١٢٢.

[3] أبو تمام: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١١١٥/٣. جماعها: اسم لما يُجمع به الشيء. شعب من القلب: جانب من القلب. النجوى: السر. لا يُرام اطلاعها: لا يُطلب الاطلاع عليه والكشف عنه. شتى: جمع شتيت أي متفرقون. أعيا: أعجز. انصداعها: شقها، كسرها.

ومن خير ما قيل في وصف الفتيان قول كعب بن زهير [١] :

لَعَمْرُكَ ما خَشِيتُ على أُبيٍّ ... مَصَارِعَ بيـنَ قَوٍّ فالسُّلَـيِّ
ولكنّي خَشِيـتُ علـى أُبيٍّ ... جريرةَ رُمْحِهِ في كُلِّ حَيِّ
مِنَ الْفِتْيـانِ مُحْلَوْلٍ مُـمِرٍّ ... وأَمَّارٍ بإرشـادٍ وَغَـيِّ
ألا لَهْفَ الأَرامِلِ والْيَتَامَـى ... ولَهْفَ الباكياتِ على أُبيِّ

لقد علمت الصحراء العربي الصبر والجلد والكفاح المر حتى صار كما يقول تأبط شراً[٢]:

قَليلُ التَّشكّـي لِلمُهِمِّ يُصيبُهُ ... كثيرُ الهوى شَتّى النَّوى والمسالِكِ
يَظَلُّ بِمَوْماةٍ وَيُمْسي بِغَيْرِها ... جَحِيشـاً وَيَعْرَوْري ظُهورَ المهالِكِ
وَيَجْعلُ عَيْنيـهِ رَبيئَةَ قَلْبِـهِ ... إلـى سَلَّةٍ مِنْ حَدِّ أَخْلَقَ صائِكِ

فمفهوم الفتوة في العصر الجاهلي يعني فتوة السن والشباب والكرم وتعاطي الملذات إلى جانب العناصر الأخرى الحميدة .

لقد كانت صورة الفتى في المجتمع الجاهلي تقارب صورة الفارس في ذلك المجتمع من حيث المثل والقيم التي سعى إليها والتزم بها كل واحد منهما.

فقد كانت الشجاعة والكرم والنجدة والمروءة عناصر مشتركة بين الفارس والفتى، فكانت الفروسية والفتوة تنتميان إلى عنصر واحد من حيث الخلق والشجاعة [٣].

---

[١] شرح ديوان كعب بن زهير ، صنعة الإمام أبي سعيد الحسن بن الحسين بن عبدالله السكري، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب سنة ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م، الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م: ٢٥٥، ٢٥٦. "مصارع" و "قوّ": موضع ببلاد بني أسد أعلاه لهم وأسفله لبني عبس. السليّ: واد فيه طلح بالقرب من النباج لبني عبس. ومات أبيّ بين هذين الموضعين عطشاً. الجريرة: الجناية. محلول: صيغة مبالغة، أي متناه في الحلاوة. الممر: الذي صار مراً، من أمرّ الشيء فهو ممر. إرشاد وغي: كثير الأمر بخير وشر وضر ونفع.

[٢] أبو تمام: ديوان الحماسة، شرح التبريزي: ١/٢٢-٢٣. قليل: ههنا بمعنى النفي. التشكي: مصدر تشكى فلان إذا شكى ما به إلى غيره. الموماة: المفازة التي لا ماء فيها. الجحيش: المنفرد. يعروري: يرتكب المهالك. الربيئة: الرقيب. السلة: المرة من سلّ السيف إذا جرده. الأخلق: الأملس. ويروى:

إذا طلعتْ أُولى العَديّ فنفره ... إلى سَلَّةٍ من صارمِ الغربِ باتكِ

وهي أسلم الروايتين. العديّ: الرجالة يعدون قدّام الجيش. الغرب: حد السيف. الباتك: القاطع.

[٣] نوري القيسي: الفروسية في الشعر الجاهلي : ٤٠.

الفصل الرابع
شعر الفروسية في الجاهلية

أولاً : الفروسية والفرسان

ثانياً : نماذج من الشعراء الفرسان:

(١) المهلهل بن ربيعة.

(٢) عنترة بن شداد.

(٣) عمرو بن كلثوم.

كتبهم، وممن اشتهر منهم ببعد الصيت: عنترة بن شداد العبسي الذي يضرب به المثل في الشجاعة، وهو أحد أغربة العرب، وقد برز اسمه في حرب داحس والغبراء. وقد قتل فيها ضمضماً المري، أبا الحصين بن ضمضم[١].

ومن مشاهير الفرسان ربيعة بن مكدم وهو من بني فراس بن غنم بن مالك بن كنانة. وقد عرف بنو فراس بالشجاعة والنجدة. وقد كان يعقر على قبره تعظيماً له وتقديراً [٢]. وملاعب الأسنة؛ وهو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب، أبو البراء. وهو ممن اشتهر بالفروسية كذلك ، وكان سيداً في قومه. قيل إنه سمي ملاعب الأسنة بقول أوس بن حجر[٣]:

وَلاعَبَ أَطْرافَ الأَسِنَّةِ عامِرٌ فَرَاحَ لَهُ حَظُّ الْكَتِيبَةِ أَجْمَعُ

وقد عرف بـ" ملاعب الرماح" كذلك [٤]. وقد لقب بهذا اللقب في شعر الشاعر لبيد[٥]. وذكر السكري من الفرسان عامر بن مالك في جملة من اجتمعت عليه هوازن. حيث لم تجتمع هوازن كلها في الجاهلية إلا على أربعة نفر من بني جعفر بن كلاب وهم: خالد بن جعفر بن كلاب، وعروة الرحال بن عتبة بن جعفر، والأحوص بن جعفر، وعامر بن مالك بن جعفر بن كلاب[٦]. وعامر بن الطفيل بن مالك بن كلاب العامري،

---

[١] جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ٣٨٧/٥ - ٣٨٨ وابن قتيبة: الشعر والشعراء: ١٥٠ وابن قتيبة: عيون الأخبار: ١٢٥/١.

[٢] الألوسي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ت: محمد بهجة الأثري، دار الشرق العربي - بيروت، د. ت: ١٢٥/٢.

[٣] المصدر نفسه: ١٢٧/٢ وابن دريد: الاشتقاق، ت: عبد السلام هارون، مؤسسة الخانجي بمصر، ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م: ٢٩٦/٢. الأسنة: الرماح. الكتيبة: الطائفة من الجيش مجتمعة والجمع كتائب.

[٤] الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة المدني - القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م: ١٠١-١٠٢.

[٥] المصدر نفسه: ١٠١. حيث قال لبيد بن ربيعة في ديوانه، دار صادر - بيروت، د.ت: ٤١ في رثائه لعمه أبي البراء عامر بن مالك في أرجوزة منها:

وَأَبْنَا مُلاعِبَ الرِّماحِ

والتأبين: الثناء على المرء بعد موته.

[٦] ابن حبيب: المحبر، ت: إيلزة ليختن (ليختن) ستير (شتير)، مطبعة المعارف العثمانية - حيدر آباد - الدكن - الهند، ١٣٦١هـ - ١٩٤٢م: ٢٥٣ وما بعدها.

من فرسان الجاهلية المعروفين أيضاً، وهو ابن أخي عامر بن مالك ملاعب الأسنة [١]. وذكر أبو عبيدة، أن عامر بن الطفيل، أحد فرسان العرب المعروفين وهم ثلاثة: فارس تميم: عتيبة بن الحارث بن شهاب، وكان يقال له: صياد الفوارس، وسم الفوارس، وفارس ربيعة: بسطام بن قيس بن مسعود، وفارس قيس: عامر بن الطفيل [٢]. ويعد زيد الخيل من مشاهير فرسان العرب كذلك، واسمه زيد بن مهلهل بن زيد بن منهب الطائي، وهو من سادات طيء ومن الشعراء [٣]. ومن الفرسان عمرو بن معد يكرب، ويعد فارس اليمن[٤]. ونعته ابن حبيب بـ "فارس العرب" [٥]، ومنهم دريد بن الصمة، وهو من بني جشم. وقد عده ابن حبيب من أشراف العميان والبرص الأشراف[٦]. وزيد الفوارس من هذا الرعيل الشهير من فرسان الجاهلية. وكان من الرؤساء في قومه ، وهو من سادات بكر بن سعد بن ضبة، وهو زيد الفوارس ابن حصين بن ضرار الضبي، وقد طالت رياسته [٧].

ومن الفرسان الشنفرى الحارثي وهو من الشعراء وأحد العدائين، والعداؤون من العرب: السليك، والشنفرى، والمنتشر بن وهب، وأوفى بن مطر. ولكن المثل سار من بينهم بالسليك. والعرب تضرب به المثل، وتزعم أنه والشنفرى أعدى من رئي، ويعد الشنفرى أحد أغربة العرب [٨]. وشعر الفرسان يشتمل على جميع الفضائل الجاهلية، وأخصها فضيلة الفروسية، إذ ينصرف الشاعر إلى ذكر مواقعه مبالغاً في وصف البطل الذي يبارزه، أو وصف المعركة التي يخوض غمارها، ويلقي بنفسه في مهالكها. ويخص الفارس جواده بالتصوير الدقيق فيخرجه شاكياً مخضباً بالدم فعل عنترة وعامر بن الطفيل، ولا يخجل أن يخبرنا عن فراره ونجاة فرسه به شأنه شأن عمرو بن معدي

---

[١] الألوسي : بلوغ الأرب: ١٢٩/٢.

[٢] الثعالبي: ثمار القلوب: ١٠١.

[٣] الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ١٩٦١م: ١٤٥/٣ وما بعدها. قيل له (زيد الخيل) لطول طراده بها، وقيادته لها. انظر: الثعالبي: ثمار القلوب: ١٠١.

[٤] الثعالبي : ثمار القلوب: ٦٢١ وما بعدها.

[٥] ابن حبيب: المحبر ٢٤٥/٢

[٦] المصدر نفسه :٢/ ٢٩٨، ٢٩٩.

[٧] الألوسي : بلوغ الأرب: ١٣٧/٢ وما بعدها.

[٨] الأصفهاني : الأغاني : ١٣٣/١٨ وما بعدها.

كرب. وربما وصف جواد عدوه إذا هرب عليه من وجهه فينعت الفرس ويعير الفارس كما فعل زيد الخيل.

وأحب صفات الشعر الفروسي ما امتزج فيه الفخر والحماسة بالألم والشكوى، وصادم الحزن واليأس روح البطولة والإقدام، فأجمل حماسيات عنترة ما ظهرت فيه آلامه وشكاويه لتعيير الناس له بسواده وضعة نسبه، أو لحرمانه عبلة التي يحبها ولا يستطيع الوصول إليها، وكذلك عبد يغوث الحارثي فإن أحسن شعره ما قاله في بني تيم وهو أسير لما تضمنه من فخر وبطولة وعزة نفس، على ألم وتظلم وحنين إلى الحياة التي عاشها في غابر عهده. وكثير شعر الشكوى عند الفرسان الذين خلعتهم قبائلهم لجرائمهم ومعراتهم فخرجوا مشردين عن الأحياء، يتذمرون متألمين ، ولكن بفخر وإباء ومباهاة. ولنا في معلقة طرفة ولامية الشنفرى خير مثال. والشعراء الصعاليك يتميز شعرهم الحماسي بالشكوى والألم متضمناً الفخر بالقوة والإقدام والسعي لطلب الرزق[١].

ثانياً: نماذج من الشعراء الفرسان:

(١) مهلهل بن ربيعة:

يختلف مهلهل عن عنترة وعمرو بن كلثوم في أمور ويتفق معهما في بعضها. فيختلف عنهما في أن ابن سلام لم يضعه في طبقات فحول الجاهلية في حين وضع عنترة وعمرو بن كلثوم في الطبقة السادسة [٢]. فقد قال عنه الأصمعي: ليس بفحل ولو قال مثل قوله:

أَلَيْلَتَنا بذي حُسُمٍ أنيري إذا أنْتِ انقَضَيْتِ فلا تَحُوري[٣]

---

[١] بطرس البستاني : الشعراء الفرسان : ١٢، ١٣، ١٤.

[٢] ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، ت: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني – القاهرة، ط٢، د.ت: ١٥١/١.

[٣] الأصمعي : الأصمعيات : ١٥٤. حُسَم: موضع. ذو حُسُم: واد بنجد. أنيري: أسفري عن صبحك. لا تحوري: لا ترجعي.

خمس قصائد لكان أفحلهم".[١]

وعده صاحب جمهرة أشعار العرب في الطبقة الثالثة من أصحاب المنتقيات[٢]. ويختلف عنهما أيضاً في أن ديوان شعره لم يصل إلينا، وليس في أيدينا من شعره إلا ما جمعته كتب الأدب كديوان الحماسة والأغاني وخزانة الأدب. وقد جمع شعره الأب لويس شيخو في كتابه شعراء النصرانية وطبعه سنة ١٨٩٠م.[٣]

ويتميز المهلهل بأن أكثر شعره يدور حول رثاء أخيه كليب كما يدور على مواقع حرب البسوس وتوعد أعدائه[٤].

ويتميز المهلهل عن عنترة أنه ولد في بيت وجاهة ، وقد كان من أصبح الناس وجهاً وأفصحهم لساناً، ويتفق معه في أنه كان مثل عنترة أشد بأساً وأشجع قلباً وأبرع فروسية ، وكل ذلك بسبب أنه نشأ في ساحات المعارك والمعامع ودرج في ميادين الحروب والوقائع ، وقد رافق أخاه كليباً في حروبه ومعاركه وظهر تميزه بالشجاعة والإقدام[٥].

ونشبت حرب البسوس بعد مقتل كليب بين قبيلته تغلب وقبيلة بكر التي منها قاتل أخيه جساس بن مرة فأبلى فيها المهلهل بلاء حسناً حتى مات[٦].

---

[١] المرزباني: الموشح، ت: علي محمد البجاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت: ٨٩، ٩٠ والأصمعي: فحولة الشعراء، شرح وتحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي وطه محمد الزيني، المطبعة المنيرية - القاهرة، ١٩٥٣م: ٢٢.

[٢] أبو زيد القرشي: جمهرة أشعار العرب: ٩٨.

[٣] حنا الفاخوري: تاريخ الأدب العربي، المكتبة البوليسية - بيروت، ط٢، د.ت: ٧٠.

[٤] المصدر نفسه: ٧٠.

[٥] حسن السندوبي: أخبار المراقسة وأشعارهم في الجاهلية وصدر الإسلام: ٢٣٤.

[٦] بطرس البستاني: أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام: ٨٩/١.

أغراض شعره:

إذا نظرنا في أغراض شعر المهلهل الذي وصل إلينا وجدناه يشتمل على الرثاء والغزل ووصف الخمر والحروب والتهديد والوعيد واتفق مع الخنساء في موضوع واحد هو رثاء الأخ[١].

وقد نسب إلى المهلهل شعر في الغزل ولكنه قليل. وفي الأغاني أنه أول من استعمل الغزل في الشعر غير أن ميزته الشعرية ليست في غزله بل في رثائه وتفجعه في أخيه على رقة عاطفته التي أكسبت شعره سهولة ولينا[٢] . ويتميز رثاء المهلهل لأخيه كليب بأن روح الذاتية في شعره تبدو أحياناً، وتبدو القبلية أحياناً أخرى. فمن قصائده التي تبدو فيها روح الذاتية التي عبر عنها بضمير المتكلم قصيدته الرائية التي قالها غداة دفن أخيه كليب حين وقف على قبره وقال يرثيه:

أَهــاجَ قَداءَ عَيْنــي الادِّكارُ ... هُدُوًّا فالدُّمُوعُ لها انْجِرارُ
وصــارَ الليلُ مُشْتَمِلاً عَلَيْــنا ... كأنَّ الليلَ لَيْسَ لَــهُ نَهارُ
وَبِتُّ أُراقِبُ الْجَــوْزَاءَ حَتّــى ... تَقارَبَ مِنْ أوائِلها انْحِدَارُ
أُصَرِّفُ مُقْلتي فــي إِثْرِ قَــوْمٍ ... تَبايَنَتِ البلادُ بِهِمْ فَغَــارُوا
وَأَبْكــي والنُّجــومُ مُطَلَّعَــاتٍ ... كأنْ لَمْ يَحْوِها عَنِّي البُخارُ
علــى مَنْ لَوْ نُعيتُ وكانَ حَيّاً ... لَقادَ الخَيْلَ يَحْجُبُها الغُبارُ
خُذِ العَهْدَ الأكيدَ عَلَيَّ عُمْري ... بِتَرْكي كُلَّ ما حَوَتِ الدِّيارُ
وَهَجْري الغانياتِ وَشُرْبَ كَأْسٍ ... وَلُبْسِــي جُبَّةً لا تُسْــتَعارُ
ولســتُ بخالعٍ درْعي وَسَيْفــي ... إلى أنْ يَخْلَعَ الليلَ النَّهارُ
وإلاَّ أنْ تَبــيدَ سَــراةُ بَكْــرٍ ... فلا يَبْقى لها أَبَداً أَثــارُ[٣]

---

[١] مارون عبود: أدب العرب، دار الثقافة – بيروت، ط٣، ١٩٧٨-١٩٧٩م: ٥٨.

[٢] بطرس البستاني: أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام : ٩٢/١

[٣] حسن السندوبي: أخبار المراقسة وأشعارهم: ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣. الجوزاء: من نجوم السماء، وانحدارها لا يكون إلا في أواخر الليل. تباينت: اختلفت. فغاروا: فذهبوا غوراً إلى غير رجعة. البخار: ما تبخر من الماء بين الأرض والسماء، ويروى "البحار". وقد كانوا يظنون بين السماء والأرض بحراً. من كان حياً: يعني به أخاه كليباً. الغانيات: جمع غانية؛ وهي المرأة الغنية بحسنها وجمالها عن الزينة، أو التي استغنت بزوجها، أو المرأة التي تُطلبُ ولا تَطْلبُ، أو التي غنيت ببيت أبويها ولم يقع عليها سباء.

كذلك تبدو روح الذاتية في تلك القطعة التي اختارها له أبو تمام في ديوان الحماسة، وهي تلك التي يخاطب فيها أخاه كليباً[١] :

نُبِّئْتُ أنَّ النارَ بَعْدَكَ أُوقِدَتْ ... واسْتَبَّ بَعْدَكَ يا كُلَيْبُ الْمَجْلِسُ
وَتَكَلَّمُوا في أَمْرِ كُلِّ عظيمةٍ ... لَوْ كُنْتَ شاهِدَهُمْ بها لَمْ يَنْبِسُوا
وإذا تشاءُ رَأَيْتَ وَجْهاً وَاضِحاً ... وَذِراعَ باكيةٍ عَلَيْهـا بُرْنُـسُ
تَبْكي عَلَيْكَ وَلَسْتُ لائِمَ حُرَّةٍ ... تَأْسـى عَلَيْكَ بِعَبْـرةٍ وَتَنَفُّسُ

أما روحه القبلية فتبدو في قصيدته الميمية التي عبر فيها بضمير المتكلمين والتي يبدو فيها إصراره الواضح على الحرب وإبادة القبائل، وتفليق الرؤوس، حيث قالها في حرب البسوس التي قُتِلَ فيها كليب، ينعى فيها كليباً أخاه وينذر الحارث بن عباد البكري ويحذره عاقبة الجهل مفتخراً بقومه وكثرة ساداتهم [٢]:

يا حَارِ لا تَجْهَلْ على أَشْياخِنا ... إنَّا ذَوُو السُّـورَاتِ والأَحْـلامِ
وَمِنَّا إذا بَلَغَ الصَّبيُّ فِطامَـهُ ... سَـاسَ الأُمورَ وحـاربَ الأَقوامِ
قَتَلوا كُلَيْباً ثُمَّ قالوا: اِرْبَعُـوا ... كَذَبـوا وَرَبِّ الحِـلِّ والإِحْرَامِ
حتَّى نُبيـدَ قبيلـةً وقبيلـةً ... قَهْراً وَنَفْلِقَ بالسُّيوفِ الْهَـامِ
ويَقُمْنَ رَبَّاتُ الخُدورِ حواسراً ... يَمْسَحْنَ عَرْضَ ذوائِبِ الأَيْتامِ[٣]

---

[١] أبو تمام: ديوان الحماسة، شرح التبريزي: ٣٨٥/١، والبيتان الأوليان في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٩٢٨/٢. كان كليب وائل لا توقد مع ناره للأضياف نار في أحمائه وفيما يقرب من منازله. استب: تفاخر وتشاتم. لم ينبسوا: لم يتكلموا. وإذا تشاء: خطاب لأخيه. واضحاً: مكشوفاً. البرنس: لباس المأتم. تأسى: تحزن. العبرة: جمع عبرات وعَبَرٌ؛ وهي الدمعة قبل أن تفيض، أو تردد البكاء في الصدر، أو الحزن بلا بكاء.

[٢] الأصمعي: الأصمعيات: ١٥٦. وقال أبو الفضل: أظن الأصمعي قال: إنها مولدة.

[٣] في هذه الأبيات "الإقواء" واضح خاصة في الثاني والرابع، ولعل الأمر كما قال الأصمعي في شأن هذه القصيدة بأنها مولدة، لأن الإقواء وإن كان يقع في أشعار الفحول من أهل الجاهلية لكنه لا يتوالى بهذه الصورة التي تبدو في الأبيات. يا حار: ترخيم للحرث بن عباد. السُّورات، بضم السين: جمع سورة؛ وهي الرفعة والشرف والمنزلة، وبفتحها: جمع سَوْرة؛ وهي الحدة، أو السطوة والاعتداء. ومنا: الواو زيدت في الشنقيطية فقط، وهي زيادة في الوزن، يسميها العروضيون الخزم. إربعوا: كفوا وتحبسوا، وفعله ثلاثي، وقطع همزة الوصل للشعر؛ أي للضرورة الشعرية. وربِّ الحِلِّ والإحرام: قسم. والحل: ما جاوز الحرم، أي البيت الحرام، أو المكان الذي يحل فيه النحر، والحل: خلاف الحرام، وما يباح فعله. الإحرام: العمرة أو الحج، أو الأشهر الحرم، وهو ما يحرم فعله فيها من حلال. نبيد: نهلك. الهام: الرأس. ربات: صاحبات. الخدور: جمع خدر؛ وهو الستر، ويطلق على البيت الذي فيه امرأة. حواسر: كاشفات الرؤوس.

كذلك نجد من القصائد التي تندر فيها الذاتية قصيدته التي رواها أبو علي القالي والأصمعي وغيرهما وذلك حينما أدرك بثأر أخيه حيث ذكر وقائعه مع بكر مثل يوم الذنائب ويوم واردات، وقد قتل عدداً من سرواتهم وساداتهم:

أَلَيْلَتَنا بِـذي حُسُمٍ أنيـــري ... إذا أنتِ انقَضَيْتِ فلا تَحُوري
فإنْ يَكُ بالذَّنائِبِ طالَ لَيْلي ... فقد يُبْكى مِنَ الليلِ القصيـرِ
فلو نُبِشَ الْمَقـابِرُ عَنْ كُلَيْبٍ ... فَيُخْبِـرَ بالذَّنائِـبِ أيُّ زِيـرِ
بيـــومِ الشَّعْثَمَيْنِ لَقَرَّ عَيْـناً ... وكيفَ لِقاءُ مَنْ تَحْتَ الْقُبُـورِ
فإني قـد تَرَكْـتُ بوارِداتٍ ... بُجَيْراً في دمٍ مِثْلِ العَبيـرِ[1]

وينتقل بعد ذلك إلى التعبير عن الروح القبلية بضمير المتكلمين، حيث يقول:

وهَمَّـامَ بنَ مُرَّةَ قَدْ تَرَكْنـا ... عليـهِ القَشْعَمـانِ مِنَ النُّسُـورِ
تَرَكْنـا الخيلَ عـاكِفَةً عَلَيْهِمْ ... كأَنَّ الخيلَ تَدْحَضُ في غَـديرِ
كأَنَّـا غُدْوَةً وبنـي أبينـا ... بجَـوْفِ عُنَيْزَةٍ رَحَيَـا مُديـرِ
فَلَوْلا الرِّيحُ أَسْمَعَ أَهْلَ حَجْرٍ ... صَليلَ البَيْضِ يُقْدَعُ بالدُّكورِ[2]

---

[1] الأصمعي: الأصمعيات: ١٥٤، ١٥٥. أنيري: أسفري عن صبحك. القصير: في اللسان: "يريد فقد أبكي على ليالي السرور، لأنها قصيرة. لو: هنا شرطية أشربت معنى التمني، فَجُعِلَ لها جوابان؛ جواب منصوب بعد الفاء، وجواب باللام، وهو "لقر" في البيت الرابع. الزير: الذي يخالط النساء ويريد حديثهن لغير شر. وفي الأمالي: "أراد فيخبر بالذنائب أي زير أنا. وذلك أن كليباً كان يعيره فيقول: إنما أنت زير نساء". ويوم الشعثمين: يوم نسب إلى الشعثمين، فذهب القالي في الأمالي ١٣١/٢ إلى أنه موضع، وقال البكري في اللآلي "الشعثمان: شعثم وشعيث ابنا عامر بن ذهل بن ثعلبة"، وأيده الراجكوتي "عبد العزيز الميمني" بما نقل عن ابن اسحاق قال: (وقتل مهلهل يوم واردات "الشعثمين ابني معاوية"، وهما سيدا ذهل وفارساها). واردات: موضع كان فيه يوم معروف بين بكر وتغلب. بجير: هو ابن الحارث بن عباد بن مرة، قتل ذلك اليوم. العبير: أخلاط من الطيب تجمع بالزعفران.

[2] الأصمعي: الأصمعيات: ١٥٥. القشعم: المسن من الرجال والنسور والرخم، وهو صفة، وقد أراد بالمثنى معنى الجمع. عاكفة: مقيمة. تدحض: تزلق. عنيزة: موضع. وروى البغدادي في الخزانة نقلاً عن الطبرسي ٥٢/٣. "أن أول من أنصف في شعره مهلهل بن ربيعة"، ثم ذكر هذا البيت: كأنا غدوة ... الخ. حجر، بفتح الحاء: مدينة باليمامة. الذكور: أراد أجود السيوف وأيبسها وأشدها. وقد أفرط في المبالغة. إذ جعل صليل السيوف يسمع باليمامة لولا الريح، وقد كانت حربهم بالجزيرة، وبين الموضعين عشرة أيام، كما في العمدة ٦٢/٢، وفي الأمالي ١٣٤/٢ عن أبي العباس الأحول أن هذا أول كذب سمع في الشعر. يقدع: يُضرب، يقال: "هو الفحل لا يقدع أنفه"، وفي طبعة أوربة وباقي الروايات "تقرع" بالراء.

ومن القصائد التي تظهر فيها الروح الذاتية قوله بعد أن شفى غليله من ساداتهم في يوم الذنائب ، وأخذ بثأر أخيه من قبيلة بكر:

مَنْ مُبْلِغٌ بَكْراً وآلَ أبيهِمُ ... عَنِّي مُغَلْغَلَةَ الرويِّ الأَقْعَسِ
وقصيدةً شَعْوَاءَ باقٍ نارُها ... تَبْلى الجبالُ وإِثْرُها لَمْ يُطْمَسِ
أَكُلَيْبُ إنَّ النَّارَ بَعْدَكَ أُخْمِدَتْ ... ونسيتُ بَعْدَكَ طَيِّباتِ المجلسِ
أَكُلَيْبُ مَنْ يحمي العشيرةَ كُلَّها ... أَوَ مَنْ يَكِرُّ على الخميسِ الأَشْوَسِ
مَنْ للأَراملِ واليتامى والحِمى ... والسَّيْفِ والرُّمْحِ الدَّقيقِ الأَملَسِ
وَلَقَدْ شَفَيْتُ النَّفْسَ مِنْ سَرَوَاتِهِمْ ... بالسَّيْفِ في يَوْمِ الذُّنَيْبِ الأَغْبَسِ
إنَّ القبائِلَ أَضْرَمَتْ مِنْ جَمْعِنا ... يَوْمَ الذَّنائِبِ حَرَّ مَوْتٍ أَحْمَسِ
فالإِنْسُ قَدْ ذَلَّتْ لنا وتَقَاصَرَتْ ... والْجِنُّ مِنْ وَقْعِ الحديدِ المُلْبَسِ[1]

وروى له أبو زيد القرشي في جمهرته قصيدة تعد من المنتقيات، حيث يشير إلى بغي بني بكر بمقتل أخيه كليب على يد جساس الذي أشعل نار الحرب والفتنة بفعلته الشنعاء، التي أدت إلى حرب ضروس، التقت فيها جموع بكر وتغلب، مستذكراً ما دار بينهم من أيام كيوم "خزازى"، مشيداً بخلاله وخلال أخيه كليب، ومصراً على الأخذ بثأره، أجتزيء منها هذه الأبيات:

جارَتْ بنو بَكْرٍ ولم يَعْدِلُوا ... والْمَرْءُ قد يَعرِفُ قَصْدَ الطَّرِيقْ
حَلَّتْ رِكابُ البَغْيِ مِنْ وائلٍ ... في رَهْطِ جَسَّاسٍ ثِقالَ الوُسُوقْ
إلى رئيسِ الناسِ والْمُرْتَجى ... لِشِدَّةِ العقْدِ ورَتْقِ الْفُتُوقْ
مَنْ عَرفَتْ يومَ خَزَازى لَهُ ... عُلْيا مَعَدٍّ عِنْدَ جَبْدِ الوُثُوقْ

---

[1] حسن السندوبي: أخبار المراقسة وأشعارهم في الجاهلية وصدر الإسلام: ٢٧٩، ٢٨٠. مغلغلة الروي: متنقلة من بلد إلى بلد؛ يعني قصيدة سائرة. الأقعس: الرفيع الصدر. شعواء: مغيرة غالبة في كل مكان. باق نارها: لا يزول أثرها، فهو باق بقاء الميسم في الجلد. أخمدت: يريد بها نار كليب التي كان يوقدها في مجلسه، فلا يوقد أحد ناراً معه هيبة وإعظاماً له. الخميس الأشوس: الجيش المتجهم الوجه، وإنما قيل للجيش خميس لأنه مؤلف من خمس فرق: المقدمة، والمؤخرة، والقلب، والجناحان "الميمنة والميسرة". يوم الذنيب: يوم الذنائب، صُغِّرَ لاستقامة الوزن. الأغبس: الأسود المكفهر. الأحمس: الشديد في أمره.

إِذْ أَقْبَلَتْ حِمْيَرٌ في جَمْعِها ... وَمَذْحِجٌ كالعارضِ المُسْتَحِيقْ
وجَمْعُ هَمْدانَ لَـهُمْ لَجْبَةٌ ... ورَايةٌ تَهْـوي هُوِيَّ الأَنُوقْ
فَقَلَّدَ الأمـرَ بنـو هاجـرٍ ... مِنْهُمْ رئيساً كالحُسامِ العتيقْ
مُضْطَلِعاً بالأمرِ يَسْـمو لَهُ ... في يومٍ لا يَنْسَاغُ حَلْقٌ بِرِيقْ
ذاكَ وقد عَنَّ لهـمْ عـارِضٌ ... كجُنْحِ ليلٍ في سماءٍ بَرُوقْ
تَلْمَعُ لَمْـعَ الطَّيْرِ رايـاتُهُ ... على أَواذيَّ لُجٍّ بَحْرٍ عَميقْ[1]

ونراه يصف أخاه برجاحة العقل، وبأنه ذو رأي ومشورة في الحـرب، حيث أشعل نارها على خصومه، وقد كان فارس قومه وقائدهم في حروبهم مع أعدائهم، يقول:

فاحْتَـلَّ أَوْزارَهُـمْ أَزْرُهُ ... برأيِ محمودٍ عَليهِمْ شَفِيقْ
وقَـدْ عَلَتْهُمْ هَفْوَةٌ هَبْـوَةٌ ... ذاتُ هِياجٍ كَلَهِيبِ الحَرِيقْ
فانفرجَتْ عن وَجْهِهِ مُسْفِراً ... مُنْبلجاً مِثْلَ انْبلاجِ الشُّروقْ
فـذاكَ لا يُوفـي بهِ غَيْرُهُ ... ولستَ تَلْقَى مِثْلَهُ في فَريقْ
قُلْ لبنـي ذُهْلٍ يَرَدُّونَهُ ... أَوْ يَصْبِروا للصَّيْلَمِ الخَنْفَقِيقْ
سَـقَوْهُ كأساً مِنْهُمُ مُـرَّةً ... وانْتَهكُوا الحقَّ بغيرِ الحقُوقْ
واسْتَسْعروا مِنْ حَرْبِنا مأتماً ... أَثابَهُمْ نيرانَ حَرْبٍ عَقُـوقْ
فقـد تَرَوَّيْتُمْ دَماً ذُقْتُـمُ ... تَوْبيلَهُ فاعْترِفوا بالْمَـذُوقْ
أَبْلِغْ بني شَيْبانَ عنَّا فَقَـدْ ... أَضْرَمْتُمُ نيرانَ حَرْبٍ عَلُوقْ

---

[1] أبو زيد القرشي: جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام: ٩٨، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠. وحسن السندوبي: أخبار المراقسة وأشعارهم: ٢٨٢-٢٨٣. الوسق: هو حمل البعير، أو الحمل عامة، والجمع أوسق ووسُوق. لشدة العقد: يريد لحل العقد. رتق الفتوق: إصلاحها وسدها، وهو يعني دفع البلاء من عدو مهاجم وفقر واقع. خزازى: جبل كانت عنده وقعة بين نزار واليمن. جبذ: جذب. الوثوق: الحبال. العارض: السحاب المعترض في الأفق. المستحيق: المحيط. اللجبة: الجلبة والصياح. الأنوق: العُقاب، وهو الطائر المعروف. الحسام: السيف. العتيق: الخيار من كل شيء. مضطلع: قوي. يسمو: يرتفع، وهو السامي. لا ينساغ حلق بريق: يوم يغص الناس بريقهم من الهول والكرب. عَنَّ: اعترض. عارض: الأمر الذي يعرض، ولم يكن منتظراً. كجنح ليل: أي أسود كظلام الليل، يريد أنه أمر مشكل. الأواذي: الأمواج. اللج: الماء الكثير، يريد بهذا الحرب.

لا يَرْقأُ الدَّهْرَ لها عاتِكٌ إلاَّ على أنفاسِ نَجْلا تَفُوقْ[1]

ثم نراه يتطرق إلى قتل أخيه، وينعته بأنه سيد من سادات قومه بل ملك أسلمت إليه القبائل قيادتها. ثم يتوعد أعداءه ويتهددهم بالقتل والذبح كما تذبح الشياه، حيث يغير عليهم بفرسانه الذين يطيرون إلى الحرب على خيول عتيقة ممشوقة كالسعالى، ونراه يصر على الأخذ بثأر أخيه، يقول:

أيُّ امْـرِيءٍ ضَرَّجْتُمُ ثَوْبَـهُ بِعَاتِكٍ مِنْ دَمِـهِ كالخَلُـوقْ
سَيِّـدَ سـاداتٍ إذا ضَـمَّهُمْ مُعْظَمُ أمْرٍ يَوْمَ أَزْلٍ وَضِيـقْ
لم يكُ كالسَّيِّـدِ فـي قَوْمِـهِ بَلْ مَلِـكٌ دِينَ لَهُ بالحقُـوقْ
تَنْفَرِجُ الظَّلْمـاءُ عَنْ وَجْهِـهِ كاللَّيْلِ وَلَّى عَنْ صَدِيعٍ أنيـقْ[2]
إنْ نَحْنُ لَمْ نَثْأرْ بِهِ فاشْحَذُوا شِـفارَكُمْ مِنَّا لِحَزِّ الحُلُـوقْ
ذَبْحاً كَذَبْـحِ الشَّاةِ لا تَتَّقـي ذابِحَها إلاَّ بِشَخْبِ العُـروقْ
غَـداً نُسـاقي فاعْلَمُوا بَيْنَنـا أَرْماحُنا مِنْ عَاتِكٍ كالرَّحيـقْ
بِكُلِّ مِغْوارِ الضُّحَى بُهْمَـةٍ شَمَرْدَلٍ مَنْ فَوْقِ طِرْفٍ عَتيقْ
سَـعالى يَحْمِلْنَ مِنْ تَغْلِـبٍ أَشْـباهَ جِنٍّ كَلُيُوثِ الطَّرِيـقْ[3]
لَيْـسَ أَخُـوكُمْ تارِكاً وِتْـرَهُ وَلَيْسَ عَنْ تَطْلابِكُمْ بالْمُفِيقْ[4]

---

[1] أبو زيد القرشي: جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام: ٤٦١، ٤٦٢. الأوزار: الأثقال. الأزر: القوة. الهفوة: السقطة. الهبوة: الغبار. انفرجت: يريد الحرب. عن وجهه: عن وجه الفارس. المسفر: الواضح. المنبلج: الظاهر الواضح. لا يوفي: لا يدي أو يقتل به إلا مثيله. الصيلم: الداهية، من الاصطلام. الخنفقيق: الداهية. استسعروا: حملونا على إشعالها. أثابهم: رجع عليهم. العقوق: القاسية الشديدة. التوبيل: عاقبته، من الوبال. مذق الود: لم يخلصه. ورجل مذّاق: كذوب. لا يرقأ: لا يكف عن الإتهمال. العاتك: الدم. النجلاء: الطعنة الواسعة. أنفاسها: تنفسها بالدم. تفوق: تفور بالدم.

[2] المصدر نفسه: ٤٦٣- ٤٦٥. الخلوق: ضرب من الطيب، وقيل الزعفران. الأزل: الشدة. الصدع: الفجر، الصبح. الأنيق: الحسن. شخب العروق: سيلان الدم منها. العاتك: من عتك القوس: إذا احمرّت. والعاتك: الخالص من كل شيء ولون. البهمة: الشجاع الذي يحار خصمه في الوصول إليه والنيل منه. الشمردل: الخفيف الطويل.

[3] وفي رواية أخرى: "سعالياً تحمل ..." وفي هامش إحدى الروايات: "قتيان صدق..." السعالى: زعموا أنها نوع من الجن، وهم يشبهون الخيل بها.

[4] وفي رواية أخرى: ..... دونَ تَقَضّي وِتْرِهِ بالمفيقْ. الوتر: الثأر. المفيق: المقلع عنه.

ومن قصائده التي تمتزج فيها النزعة الذاتية بالقبلية هذه القصيدة التي يصف فيها حروبه مع بكر، حيث أثخن - مرة أبا جساس وهمام بن مرة - جراحاً، كما أنه يفتخر بأنه قد قتل الشعثمين ومالكاً وابن المسوَّر وغيرهم. حيث وطئوا بخيولهم الأحياء الموالية لبكر من بني لجيم وتيم اللات، وقيس بن عيلان، وأحياء يشكر من أخواله. وفي ذلك يقول:

أَثْبَتُّ مُرَّةَ والسُّيوفُ شَواهِرٌ ... وَصَرَفْتُ مُقْدَمَها إلى هَمَّامِ
وبني لُجَيْمٍ قَدْ وَطِئْنا وَطْأَةً ... بالخيلِ خارِجَةً عَنِ الأَوْهامِ
وَرَجَعْنا نَجْتَنيءُ القَنا في ضُمَّرٍ ... مِثْلِ الذِّئابِ سَريعةِ الإقْدامِ
وسَقَيْتُ تَيْمَ اللاتِ كأْساً مُرَّةً ... كالنَّارِ شُبَّ وَقُودُهَا بِضِرامِ
وبُيُوتَ قَيْسٍ قَدْ وَطِئْنا وَطْأَةً ... فَتَرَكْنا قَيْساً غَيْرَ ذاتِ مُقَامِ
ولَقَدْ قَتَلْتُ الشَّعْثَمَيْنِ ومالِكاً ... وابنَ المُسَوَّرِ وابنَ ذاتِ دَوَامِ
وَلَقَدْ خَبَطْتُ بُيوتَ يَشْكُرَ خَبْطَةً ... أَخْوالُنا وهُمُ بَنُو الأَعْمامِ[1]

ونراه يندّد بمقتل أخيه كليب، ويصف ضراوة المعارك وما أوقعه بأعدائه من جراحات وقتلى، ومن أرامل وأيتام. ثم يصف خيل فرسانه لكثرتها وسرعتها - وهي تجول في ساحة المعركة - بالطير، كما يصف فرسان تغلب بالأسود شجاعة وضراوة، حيث يقول:

قَتَلوا كُلَيْباً ثُمَّ قالوا أَرْتِعُوا ... كَذَبُوا وربِّ الحِلِّ والإحْرامِ[2]
حَتَّى تُلَفَّ كَتيبةٌ بكتيبةٍ ... وَيَحُلَّ أَصْرامٌ على أَصْرَامِ

---

[1] حسن السندوبي: أخبار المراقسة: ٢٩١، ٢٩٢. أثبت مرة: أصبته بجراحة لا يقوم منها. ومرة: هو أبو جسّاس. وهمّام: هو ابن مرة. بنو لجيم: من أحياء ربيعة. وطئه: نكّل به. خارجة عن الأوهام: وطئناهم بحالة لا يتصورها وهم متوهم. نجتنيء القنا: نميل الرماح. في ضمر: على خيل مضمرة. يريد "نقي الخيل برماحنا من اندفاع أعدائنا". تيم اللات: قبيلة من ربيعة وهي التي يقال لها أيضاً: تيم الله. وبيوت قيس: أحياء قيس بن عيلان. الشعثمان: هما شعثم وعبد شمس؛ ابنا معاوية. خبطه: جلده بالسيف.

[2] المصدر نفسه: ٢٩٢. أرتعوا: سرّحوا خيولكم ترتع في مراعيها. أصرام: جماعات. وفي الأصمعيات: ١٥٦: "... ثم قالوا: إربعوا".

وتَجولُ رَبَّاتُ الخُدورِ حَواسِراً ... يَمْسَحْنَ عَرْضَ ذوائِبِ الأيْتامِ
حتّى نرى غُرَراً تُجَرُّ وجُمَّةً ... وعِظامَ رُؤْسٍ هُشِّمَتْ بِعِظامِ
حتّى يَعَضَّ الشَيْخُ بَعْدَ حَمِيَّةٍ ... مِمَّا يَرَى جَزَعاً على الإبْهامِ
ولَقَدْ تَرَكْنَا الخيْلَ في عَرَصاتِها ... كالطيرِ فَوْقَ مَعَالِمِ الأجْرَامِ
فَقَضَيْنَ دَيْناً كُنَّ قَدْ ضُمِّنْنَهُ ... بِعَزائِـمٍ غُلْبِ الرِّقابِ سَوَامي
مِنْ خَيْلِ تَغْلِبَ عِزَّةً وتَكَرُّماً ... مِثْلِ اللُّيُوثِ بِسَاحَةِ الأنامِ[1]

وقال يصف قتل كليب ويرثيه ، ويذكر قاتليه ، ويقول محقق الديوان: "وما أظن أن هذا هو مطلع القصيدة، ولعله ضاع فيما ضاع من شعر مهلهل". حيث يقول:

قَتيلٌ ما قَتيلُ المَـرْءِ عَمْـرٍو ... وجَسَّاسِ بنِ مُرَّةَ ذي صَريمِ
أَصـــابَ فُؤادَهُ بأَصَمَّ لَـدْنٍ ... فَلَمْ يَعْطِفْ هُنَاكَ على حَميمِ
فإنَّ غَداً وَبَعْدَ غَدٍ لَوَهْـنٌ ... لأَمْـرٍ ما يُقـامُ لَهُ عَظيـمِ
جَسِيماً ما بَكَيْـتُ بِهِ كُلَيْبـاً ... إذا ذُكِرَ الفِعالُ مِنَ الْجَسيمِ
سَأَشْرَبُ كأسَهَا صِرْفاً وأَسْقي ... بِكَأسٍ غَيْـرِ مُنطِقَةٍ مُليـمِ[2]

---

[1] حسن السندوبي: أخبار المراقسة وأشعارهم: ٢٩٢. يروى: :بيضات الخدور". و "يمسحن فضل ..." وفي الأصمعيات: ١٥٦ "ويقمن ربات ..." غرراً: جمع غرة، يريد بذلك وجوه القتلى. الجمة من الانسان: مجتمع شعر ناصيته. رؤس، وأرؤس، ورؤوس: جمع رأس. هشّمت: كسّرت. الحمية: الأنفة. الجزع: نقيض الصبر. عرصاتها: جمع عَرْصة؛ وهي كل بقعة بين الدور ليس فيها بناء، وهي ساحة الدار. الأجرام: جمع جرم، وهو الجسد. غلب الرقاب: غلاظ الأعناق. سوامي: مرتفعات الرؤوس. الأنام: الخلق.

[2] المصدر نفسه: ٢٩٣. عمرو: هو عمرو بن الحارث الذي شرك جساساً في قتل كليب. ذو صريم: صاحب قطيعة الرحم. قيل إن كليباً حينما طعنه جساس قال:

أغثنيَ يا جساس منك بشربة ... تعوّدها فضلاً عليّ وأنعمِ

فقال له جساس: تجاوزت الأحص وشبيثاً، يعني أنه تباعد عن مواضع سقياه. ثم نزل إليه عمرو بن الحارث فظنه يسقيه، فلما علم أنه إنما نزل للإجهاز عليه قال:

المستجير بعمرو عند كربته ... كالمستجير من الرمضاء بالنار

فطعنه فقصم صلبه. أصم لدن. رمح مصمت لين. لوهن: لفساد وضعف. ويروى: لرهن، ولعله الصواب كما يؤيده باقي البيت. غير منطقة مليم: لا تترك مجالاً لقول لائم.

وقال يخاطب عمرو بن عنق الحية الذي كان يلي الخراج على ربيعة لملوك كندة، ويصف له شجاعة قومه في حروبهم كيوم السلان ويوم الكلاب اللذين كانا من أيامهم المشهورة، وكان على الناس ربيعة بن الحارث ومعه كليب والمهلهل.

لَوْ كانَ ناهٍ لابنِ حَيَّةَ زاجِراً ... لَنَهاهُ ذا عَنْ وَقْعةِ السُّلانِ
يَوْمٌ لَنا كانَتْ رِئاسةُ أَهْلِهِ ... دُونَ القبائِلِ مِنْ بَني عَدْنانِ
غَضِبَتْ مَعَدٌّ غَثُّها وسَمِينُها ... فيهِ مُمَالأَةً على غَسَّانِ
فأَزالَهُمْ عَنَّا كُلَيْبُ بطَعْنةٍ ... في عُمْرِ بابِلَ مِنْ بني قَحْطَانِ
وَلَقَدْ مَضَى عَنْها ابْنُ حَيَّةَ مُدْبِراً ... تَحْتَ الْعَجاجَةِ والحتُوفُ دَوانِ
لَمَّا رَآنا بالكُلابِ كأَنَّنا ... أُسْدٌ مَلاوِثَةٌ على خُفَّانِ
تَرَكَ التي سَحَبَتْ عَلَيْهِ ذُيولَها ... تَحْتَ الْعَجَاجِ بِذِلَّةٍ وهَوَانِ
ونَجَا بِمُهْجَتِهِ وأَسْلَمَ قَوْمَهُ ... مُتَسَرْبِلينَ رَوَاعِفَ المُرَّانِ
يَمْشُونَ في حَلَقِ الحديدِ كأَنَّهُمْ ... جُرْبُ الجِمالِ طُلِينَ بالْقَطِرَانِ
نِعْمَ الفوارسُ لا فَوارسُ مَذْحِجٍ ... يَوْمَ الْهِيَاجِ ولا بَنُو هَمْدانِ
هَزَموا الْعُدَاةَ بِكُلِّ أَسْمَرَ مَارِنٍ ... ومُهَنَّدٍ مِثْلِ الغَديرِ يَمَانِي[1]

وقال مهلهل يرثي أخاه كليباً، ويتفجع ويتحسر عليه، عندما علم بمقتله، حتى جعل الأرض والجبال الرواسي تضطرب لموته، ويتمنى أن تطبق السماء على الأرض، وأن تزلزل الأرض ليموت من عليها، وذلك لهول المصاب الجلل، يقول:

---

[1] حسن السندوبي: أخبار المراقسة وأشعارهم: ٢٩٦-٢٩٨. ابن حية: هو عمرو بن عنق الحية الذي كان يلي الخراج على ربيعة لملوك كندة. يوم السلان: كان من أيامهم المذكورة، وكان على الناس ربيعة بن الحارث ومعه كليب والمهلهل. غسان: قبيلة يمنية الأصل، نزلت على ماء بالشام يسمى غسان فسميت به ومنهم ملوك غسان بالشام. عمر بابل: الظاهر أنه يريد به "عمر الزعفران". والعمر هنا: الدير، وكان عمر الزعفران حافلاً بالقلايات والرهبان. وكان بالجانب الشرقي في "نصيبين"، وهو من مشاهير العمورة والديورة، فلعل الواقعة كانت بجواره أو قريباً منه. الكلاب: يوم من أيام العرب المشهورة. الملاوثة: من بهم لوثة وهي ضرب من الجنون. خفان: مأسدة مشهورة. التي سحبت عليه ذيولها: الدرع الضافية. العجاج: الغبار؛ أي غبار المعركة. متسربلين: أي أثخنوا بالجراح والدماء. رواعف المران: الرماح تقطر الدماء من أسنتها. حلق الحديد: أي الدروع. مذحج وهمدان: قبيلتان عربيتان. الهياج: القتال والحرب. أسمر: الرمح. مارن: مفرد المُرّان؛ الرماح الصلبة اللدنة.

كُلَيْبُ لا خَيْرَ في الدُّنْيا ومَنْ فيها ... إذْ كُنْتَ خَلَّيْتَها فِيمَنْ يُخَلِّيها[1]
كُلَيْبُ أَيُّ فَتَى عِزٍّ ومَكْرُمَةٍ ... تَحْتَ السَّقائِفِ إذْ يَعْلوكَ سَافِيها
نَعَى النُّعاةُ كُلَيْباً لي فَقُلْتُ لَهُمْ ... مادَتْ بِنَا الأَرْضُ أَمْ زالَتْ رَواسِيها
لَيْتَ السماءَ عَلى مَنْ تَحْتَها وَقَعَتْ ... وانْشَقَّتِ الأَرْضُ فانْجابَتْ بِمَا فيها
أَضْحَتْ مَنازِلُ بالسُّلانِ قَدْ دَرَسَتْ ... تَبْكي كُلَيْباً وَلَمْ تَفْزَعْ أَقاصِيها

ثم يعدّد مناقب أخيه من شجاعة وكرم، يقول:

أَلْحَزْمُ والعَزْمُ كانا مِنْ طبائِعِهِ ... ما كُلُّ آلائِهِ يا قَوْمِ أُحْصِيها
النَّاحِرُ الكُومَ ما يَنْفَكُّ يُطْعِمُها ... والْواهِبُ الْمِئَةَ الْحَمْرا بِرَاعيها
القائِدُ الخيلَ تَرْدي في أَسِنَّتِها ... إلاَّ وقَدْ خَضَّبَتْها مِنْ أَعاديها
قَدْ كانَ يُصْبِحُها شَعْواءَ مُشْعَلَةً ... تَحْتَ الْعَجَاجَةِ مَعْقُوداً نَوَاصِيها
تَكُونُ أَوَّلَها في حينِ كَرَّتِها ... وأَنْتَ بالْكَرِّ يَوْمَ الْكَرِّ حاميها
حَتَّى تُكَسَّرَ شَزْراً في نُحُورِهِمُ ... زُرْقَ الأَسِنَّةِ إذْ تَرْوي صَوَاديها
يَنْفِرْنَ عَنْ أُمِّ هاماتِ الرِّجالِ بها ... والْحَرْبُ يَفْتَرِسُ الأَقْرَانَ صَاليها[2]

---

[1] حسن السندوبي: أخبار المراقسة وأشعارهم: ٣٠١، ٣٠٢. ولجساس أبيات يرد بها على مهلهل يقول فيها:

أبلغ مهلهل عن بكر مغلغلة ... مَنَّتْكَ نفسك من غَيٍّ أمانيها
تبكي كليباً وقد شالت نعامته ... حقاً وتضمر أشياء تُرَجِّيها
فاصبر لبكر فإن الحرب قد لحقت ... وَعَزِّ نفسك عَمَّنْ لا يواليها
فقد قتلنا كليباً لم نبال به ... بناب جار ودون القتل يكفيها
نحمي الذمار ونحمي كل أرملة ... حقاً وندفع عنها من يعاديها

السقائف: يريد بها أحجار القبر. سافيها: ما تسفيه الرياح من التراب. مادت: مالت واضطربت. رواسيها: جبالها. انجابت: تشققت وتمزقت. السلان: المكان الذي حدثت به بعض الوقائع، وله يوم من أيامهم. والظاهر أن أحياء تغلب كانت نازلة به.

[2] المصدر نفسه: ٣٠٢. آلاؤه: فضائله ومزاياه. الكوم: جمع كوماء؛ الناقة العظيمة السنام. تردي: تندفع في جريها. أسنتها: أي في طريقها. يصبحها شعواء: يعني الغارة التي لا تبقي ولا تذر، فهي آتية من كل مكان. العجاجة: غبار المعركة. النواصي: جمع ناصية، وهي قُصاصُ الشَعَرِ، أو مُقَدَّمُ الرأس. الشزر: نَظَرُ الغضبان بمؤخر العين. زرق الأسنة: الرماح. الصوادي: من صَدِيَ، وهو العطش، أي عطش الرماح إلى دماء الأعداء. هامات: جمع هامة، وهي الرأس. الأقران: جمع قِرْنٍ، وهو كفؤك في الشجاعة.

وبعد ذلك يفتخر المهلهل بفرسان قومه وبشجاعته، وبأنه سيضرم أوار الحرب، ويمعن في عداوة أعدائه، نافياً الصلح معهم، يقول:

يُهَزْهِزُونَ مِنَ الخَطِّيِّ مُدْمَجَةً ... صُمّاً أَنابِيبُها شُهْباً عَوَالِيها
نَرْمي الرِّماحَ بأيدينا فَنُورِدُها ... بِيضاً ونُصْدِرُها حُمْراً أعالِيها
يا رُبَّ يَوْمٍ يكونُ النّاسُ في رَهَجٍ ... بِهِ تَرَاني على نَفْسي مَكاوِيها
مُسْتَقْدِماً غَصَصاً لِلحَرْبِ مُقْتَحِماً ... ناراً أُهَيِّجُها حِيناً وأَطْفِيها
لا أَصْلَحَ اللّهُ مِنّا مَنْ يُصالِحُكُمْ ... حَتّى يُصالِحَ ذِئْبَ الْمَعْزِ رَاعِيها[1]

---

[1] حسن السندوبي: أخبار المراقسة وأشعارهم: ٣٠٢-٣٠٣. يهزهزون: يُحرّكون. الخطي: الرماح التي تنسب إلى البحرين، وتباع بها. مدمجة: مستقيمة، مُحكمةُ الصُنْعِ. صُمّاً: صُلْبةً. أنابيبها: جمع أُنبوب، وهي قناة الرمح. شُهْباً: الشَّهَبُ: بياض يصدعه سواد. عواليها: جمع عالية، وهي قناة الرمح، أو رأسها، أو النصف الذي يلي السِّنان. ويروى عجز البيت الأول:

..... كُمْتاً أنابيبها زُرْقاً عَوَالِيها

الرهج: غبار الحرب حينما يرتفع فوق رؤوس المقاتلة. مكاويها: أي اصطلى بحرّ الحرب. ويروى عجز البيت الأخير:

..... مَا لاحتِ الشمسُ في أعلى مَجاريها

ومراده في البيت الأخير أنه لا يمكن أن يُبرمَ صُلْحٌ بين تغلب قبيلة الشاعر وبين بكر قبيلة جسّاس قاتل (كليب).

(٢) عنترة بن شداد

(أ) نسبه وكنيته:

عنترة أحد أغربة العرب وهم ثلاثة: عنترة وأمه زبيبة وكانت أَمَةً سوداء، وخفاف ابن عمير الشريدي من بني سليم وأمه ندبة وإليها ينسب وكانت سوداء، والسليك بن عمير السعدي وأمه سلكة وإليها ينسب وكانت سوداء [١]. وكان عنترة هجيناً، والهجنة من قبل الأم، قال عنترة [٢]:

إني امْرُؤٌ مِنْ خَيْرِ عَبْسٍ مَنْصِباً شَطْرِي وأَحْمي سائِرِي بالْمُنْصُلِ

فجعل أحد شطريه من خير عبس، وجعل الباقي يحميه من الذم باستعمال السيف يوم الروع، وحسن البلاء في الحرب، حتى يلحقه بالخلص، ولا تقعد به هجنته عن الدخول في زمرة الصرحاء . وكان عنترة يعترف بهجنته رغم بطولته وشجاعته، ولعله كان يتهكم من أولئك الذين كانوا يعيرونه بذلك ، فكان يقول[٣]:

أنا الهجينُ عَنْتَرَهْ كُلُّ امْرِيءٍ يَحْمِي حِرَهْ
أَسْوَدَهُ وأَحْمَرَهْ والشَّعَرَاتِ الْمُشْعَرَهْ
الْوَارداتِ مِشْفَرَهْ

وكان يكنى "أبا المغلس" والمغلس هو السائر في الغلس ، والسير في الظلام من أمارات الجرأة والشجاعة، حيث كان يغير في الغلس وهو ظلمة آخر الليل[٤].

---

[١] ابن قتيبة: الشعر والشعراء: ١٤٩.

[٢] المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: ١/١٦٩، ١٧٠. وابن قتيبة: الشعر والشعراء: ١٥١. المنصب: الأصل. المنصل بضم الصاد وفتحها: السيف. سائري، سائر الشيء: بقيته، واشتقاقه من السؤر؛ وهو ما فضل من الشيء.

[٣] الأصفهاني: الأغاني، شرحه وكتب هوامشه: سمير جابر، دار الكتب العلمية – بيروت، طبعة جديدة مصححة ومنقحة، ط ٢، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م: ٨/٢٤٦. الهجين: عربي ولد من أمَةٍ، أو من أبوه خير من أمه.

[٤] التبريزي: ديوان الحماسة: ١/٢١٨ (طبعة بولاق). والسيوطي: المزهر: ٢/٢٤٢.

(ب) منزلته الشعرية:

عَدَّهُ الأصمعي من أشعر الفرسان [١]، وَعَدَّهُ الضبي من الفحول[٢]، وجعله أبو عبيدة في الطبقة الثالثة مع المرقش الأكبر وكعب بن زهير والحطيئة وخداش بن زهير ودريد بن الصمة وعروة بن الورد والنمر بن تولب والشماخ بن ضرار[٣]. بينما جعله ابن سلام في الطبقة السادسة مع عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وسويد بن أبي كاهل، قال: ولكل واحد منهم واحدة[٤].

وهو من الشعراء الذين يتنازع الرواة فيهم التقديم والتأخير. فقد روى الأصمعي عن ابن أبي طرفة قوله [٥]: " كفاك من الشعراء أربعة: زهير إذا رغب والنابغة إذا رهب، والأعشى إذا طرب، وعنترة إذا كلب"[٦].

ولمعلقته قيمة أدبية لم يبخسها حقها الأدباء الأقدمون، فابن سلام وصفها بأنها قصيدة نادرة، فألحقوها بأصحاب الواحدة[٧].

وعده أبو زيد القرشي في الطبقة الثانية من أصحاب المجمهرات [٨].

وقال ابن رشيق: وقول عنترة: "هل غادر الشعراء من متردم" يدل أنه يعد نفسه محدثاً، قد أدرك الشعر بعد أن فرغ الناس منه، ولم يغادروا له شيئاً. وقد أتى في هذه القصيدة بما لم يسبقه إليه متقدم، ولا نازعه إياه متأخر [٩]. ويقول بطرس البستاني: "عنترة في المعامع سيد الفرسان، وعنترة في الحماسة سيد الشعراء"[١٠].

وتعد معلقته أجود شعره وكانوا يسمونها المذهبة[١١] .

---

[١] الأصمعي: فحولة الشعراء: ٢٧.
[٢] أبو زيد القرشي : جمهرة أشعار العرب ، طبعة : ١٣٣٠هـ: ٧٦.
[٣] المصدر السابق: ٧٦.
[٤] محمد بن سلام الجمحي : طبقات الشعراء ، مع مقدمة تحليلية للكتاب، ودراسة نقدية منذ الجاهلية إلى عصر ابن سلام ، إعداد اللجنة الجامعية للتراث العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر- بيروت، د.ت ٣٤، ٣٥.
[٥] ابن رشيق: العمدة : ٩٥/١.
[٦] بطرس البستاني: أدباء العرب: ١٧٦/١. كلب: غضب.
[٧] ابن سلام الجمحي: طبقات الشعراء: ٣٥.
[٨] أبو زيد القرشي: جمهرة أشعار العرب: ٣٤٧.
[٩] بطرس البستاني: أدباء العرب: ١٧٦/١.
[١٠] المصدر نفسه: ١٧٧/١.
[١١] ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ١٥٠.

(ت) شجاعته وبطولاته وبلاؤه في الحروب:

شهد ابن قتيبة لعنترة بحسن بلائه في الحرب، فقال: " وكان عنترة من أشد أهل زمانه وأجودهم بما ملكت يده"[١] . وقال أبو عبيدة : " وهو الذي قتل ضمضماً المريَّ أبا حصين بن ضمضم وهرم بن ضمضم في حرب داحس والغبراء"[٢] وفي ذلك يقول [٣] :

ولَقَدْ خَشِيتُ بأنْ أَمُوتَ ولم تكُنْ ... للحربِ دائِرةٌ على ابْنَيْ ضَمَضمِ
الشَّاتِمَيْ عِرْضي ولَمْ أَشْتُمْهُما ... والنَّاذِرَيْنِ إذا لِقيتُهما دَمي
إن يَفْعَلا فَلَقَدْ تَرَكْتُ أَباهُما ... جَزَرَ السِّباعِ وكُلِّ نَسْرٍ قَشْعَمِ

وكان عنترة قد شهد حرب داحس والغبراء فحسن فيها بلاؤه وحمدت مشاهده [٤] . وكان يلقب "عنترة الفوارس" [٥] حيث قال جبار بن عمرو الطائي الذي قتل عنترة بعدما خر عن فرسه[٦] :

قَتَلْتُ مُجاشِعاً وقَتَلْتُ عَمْراً ... وَعَنْتَرَةَ الفوارسِ قَدْ قَتَلْتُ
فإنْ تَجْزَعْ بنو عَبْسٍ عَلَيْهِ ... فإنِّي لا وجَدِّكَ ما جَزِعْتُ
ضَرَبْتُ قَذَالَهُ بالسَّيْفِ صَلْتاً ... وكانَتْ عادتي ذاتَ اسْتَعَدْتُ

---

[١] ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ت: الشيخ حسن تميم والشيخ محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم – بيروت، ط٥، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م: ١٥٤.

[٢] المصدر نفسه: ١٥٥.

[٣] ابن الأنباري : شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات : ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥. ابنا ضمضم: هرم وحصين ابنا ضمضم الذي قتله ورد بن حابس العبسي، وكان عنترة قتل أباهما ضمضماً: ويروى: "ولم تدر للحرب دائرة"، ويروى: "ولم تقم". وعجز البيت الثاني في التبريزي والزوزني: "إذا لم ألقهما دمي". وقال الزوزني: "يريد أنهما يتوعدانه في حال غيبته، فأما في حال الحضور فلا يتجاسرانِ عليه". جزر السباع: أي مقتول؛ أي تركهم قطعاً للسباع والطير. القشعم: الكبير أو المسن من النسور.

[٤] ابن قتيبة: الشعر والشعراء : ١٥٤.

[٥] ابن عبد ربه: العقد الفريد: ١٥٣/٥.

[٦] وفاء فهمي السنديوني: شعر طيء في الجاهلية والإسلام حتى نهاية القرن الأول، دكتوراه – جامعة القاهرة، ١٩٨١م: ٧٣/٢. القذال: جماع مؤخر الرأس فوق القفا. الصلت: السيف الصقيل الماضي. أو المجرّد من غمده.

كما شهد له الحطيئة بالفروسية، حينما سأله عمر بن الخطاب : كيف كنتم في حربكم؟ فأجاب: كنا ألف فارس حازم، قال: وكيف يكون ذلك؟ قال: كان قيس بن زهير فينا وكان حازماً، فكنا لا نعصيه، وكان فارسنا عنترة ، فكنا نحمل إذا حمل، ونحجم إذا أحجم. وكان فينا الربيع بن زياد، وكان ذا رأي فكنا نستشيره ولا نخالفه، وكان فينا عروة ابن الورد، فكنا نأتم بشعره، فكنا كما وصفت لك. فقال عمر: صدقت[١].

وعن محمد بن سلام أن عمرو بن معديكرب كان يقول: ما أبالي من لقيت من فرسان العرب مالم يلقني حراها وهجيناها "يعني بالحرين عامر بن الطفيل وعتيبة بن الحرث بن شهاب، وبالعبدين عنترة والسليك بن السلكة" [٢].

وروى صاحب الأغاني عن الهيثم بن عدي قال: قيل لعنترة : أنت أشجع العرب وأشدها. قال: لا، قيل: فبماذا شاع لك هذا في الناس؟ قال: كنت أقدم إذا رأيت الإقدام عزماً، وأحجم إذا رأيت الإحجام حزماً، ولا أدخل موضعاً إلا أرى لي منه مخرجاً، وكنت اعتمد الضعيف الجبان فأضربه الضربة الهائلة، يطير لها قلب الشجاع فأتني عليه فأقتله[٣].

وعده فيليب حتي "أخيل" عصر البطولة العربي، تشبيهاً له ببطل اليونان الشهير الذي سجلت أمجاده " إلياذة هوميروس"[٤]. مما جعل الدكتور شوقي ضيف يعد ملحمته المعروفة باسمه "إلياذة العرب"[٥].

ورغم اشتراكه في الكثير من المعارك والحروب والغارات، فهمته لم تفتر، وعزيمته لم تضعف. ولكن مضي العمر كان هو المؤثر الحتمي الوحيد فيه، يقول [٦]:

فَمَا أَوهَى مِراسُ الْحَرْبِ رُكْني وَلَكِنْ مَا تَقَادَمَ مِنْ زَماني

---

[١] الأصفهاني: الأغاني : ٣٠٢/٧-٣٠٣.

[٢] المصدر نفسه: ٣٠٥/٧.

[٣] المصدر نفسه : ٣٠٥/٧

[٤] جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ١٠٧/١.

[٥] شوقي ضيف: العصر الجاهلي: ٣٧٠.

[٦] الأعلم الشنتمري : أشعار الشعراء الستة الجاهليين : اختيارات من الشعر الجاهلي، دار الآفاق الجديدة - بيروت، ط ١، ١٩٧٩م: ١٥٨/١.

وعن بطولات عنترة يقول بلاشير ما ترجمته: "وقد أثبت عنترة أن الرجل الهجين استطاع في فترة ما قبل الإسلام أن ينجز بطولات العربي الاصيل"[١].

ولم يكف عنترة عن ممارسة الغزو والقتال إلى أن قتل في إغارة له على طيء، وكان قد أسن وعجز عن المقاومة [٢].

(ث) أغراض شعره وآثاره:

ومن آثاره ديوان شعر مشهور، أصابه كثير من النحل لطول ما تداوله الرواة والقصاصون ، وأكثره في الفخر والحماسة، وذكر الوقائع، والغزل العفيف بابنة عمه عبلة، وقليل منه في المدح والرثاء. وأشهر شعره المعلقة [٣].

ونلاحظ أن النزعة الذاتية تطغى على شعره خلاف نظيره المهلهل ، " وتظهر صورته في شعره بطلاً يحارب الظلم ويطارده أينما وجد، ويؤكد فكرة حريته، وجدارته بهذه الحرية. بينما نرى المهلهل بطلاً يثأر لأخيه الذي قتل غِيلَةً وغدراً ".[٤]

(ج) موضوعات شعره:

وأشهر هذه الموضوعات:

١. البطولة الحربية ووصف المعارك والأسلحة [٥]:

اشتهر عنترة بين قومه بشجاعته، وبطولته التي كانت مثار الإعجاب . وقد صور لنا عنترة بطولته تصويراً رائعاً، ورسم لنا في قصائده المختلفة صورة الفارس الكاملة. ففي الوقت الذي يبرز فيه الأبطال الشجعان ويجبن الناس عن ملاقاتهم لتحقق الموت،

---

[١] ناهد أحمد السيد الشعراوي : عناصر الإبداع الفني في شعر عنترة، دار المعرفة الجامعية- الاسكندرية،١٩٩٦م: ٩٥ نقلاً عن بلاشير. (Encyclopaedia of Islam New Edition I.P. ٥٢١).

[٢] الأصفهاني: الأغاني : ٢٥٢/٨.

[٣] بطرس البستاني: أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام: ١٦٦/١.

[٤] ديوان عنترة: ٧١. وعفيف عبد الرحمن: الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي: ٥٣٤. الغيلة: الخديعة.

[٥] عند النقاد العرب القدامى قول سائد هو : " وذهب عنترة بعامة ذكر الحرب" وقد نسبه إلى الأصمعي صاحب الخزانة : ١١٩/١.

ويبقى المبارز في الساحة يطلب له قرناً فلا يجد، ويبرز عنترة متحدياً لهذا البطل، منازلاً له، فيرسم لنا في شعره صورة ذلك اللقاء، ويعطينا فكرة عن تلك المعركة ويضفي على خصمه صور الشجاعة والبطولة:

وَمُدَجَّجٍ كَرِهَ الكُماةُ نِزالَهُ ... لا مُمْعِنٍ هَرَباً ولا مُسْتَسْلِمِ[1]

ثم يتحدث كيف قضى عليه بطعنة سريعة واسعة الأطراف تنزف بالدم. وتركه للسباع تنوشه وتأكل لحمه [2]:

جادَتْ يَدايَ لَهُ بعاجِلِ طَعْنَةٍ ... بِمُثَقَّفٍ صَدْقِ الكُعوبِ مُقَوَّمِ
بِرَحيبةِ الفَرْغَيْنِ يَهْدي جَرْسُها ... باللَّيْلِ مُعْتَسَّ الذِّئابِ الضُّرَّمِ
فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السِّباعِ يَنُشْنَـــهُ ... ما بَيْنَ قُلَّةِ رأْسِهِ والمِعْصَمِ

ويربط عنترة بين فكرة البطولة عنده وفكرة الحب، وذلك عندما يوحي بأنه قادر على أن يفتك بالآخرين ، وأن يحمي النساء، ويطلب من عبلة أن تسأل عن صفاته، إن كانت غير عارفة بها فهو عندما يقول [3]:

وحليلِ غانيةٍ تَرَكْتُ مُجدَّلاً ... تَمْكُو فريصتُهُ كِشِدْقِ الأَعْلَمِ

كأنه يلفت الانتباه إلى أنه أقوى من غيره من الرجال الذين لا يستطيعون حماية نسائهم وأنهم مهددون بالموت، ونساؤهم مهددات بالسبي، فغيره لا يبلغ شجاعته ولا ينال منه، فهو قادر ببطولته على حماية حليلته وعرسه.

وفي قصيدة أخرى توحي مثل هذا المعنى، وذلك في معرض الافتخار وبيان الشجاعة والقوة، فهو يحدثنا عن امرأة كادت تلقي بيدها إلى الأسر ولكنه سارع فأنقذها ورد الخيل عنها وجعلها تحيا عزيزة مكرمة. وهو في ذلك كأنه يلفت أنظار محبوبته إلى

---

[1] ابن الأنباري: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: ٣٤٥.

[2] المصدر نفسه: ٣٤٦، ٣٤٧.

[3] المصدر نفسه: ٣٤٠.

قدرته على حمايتها والذود عنها. فيقول[١]:

وَمُرْقِصَةٍ رَدَدْتُ الخيلَ عَنْها ... وَقَـدْ هَمَّتْ بِإلقـاءِ الزِّمامِ
فَقُلْتُ لها اقْصِرِي مِنْهُ وَسيري ... وَقَدْ قُرِعَ الرِّجَائِزُ بالخِدامِ
أَكُرُّ عَلَيْهِمُ مُهْـرِي كَليمـاً ... قَلائِـدُهُ سَبَائِبُ كالقِـرامِ

وعندما يدعو ابنة مالك للسؤال عن أفعالـه المجيدة وشـجاعته الخارقـة، وفـي ذلـك إشارة واضحة إلى بطولته ، فهو يربط بين بطولته وبين قدرة الشاعر الفارس على حماية ابنة مالك [٢]:

هَلاَّ سَأَلْتِ الخيلَ يا ابنةَ مالكٍ ... إِنْ كُنْتِ جاهلةً بما لَمْ تَعْلَمي
إِذْ لا أَزالُ على رِحالَةِ سـابحٍ ... نَهْـدٍ تَعَاوَرُهُ الكُمـاةُ مُكَلَّـمِ
طَوْراً يُجَرِّدُ لِلطِّعـانِ وتـارَةً ... يَأْوي إلى حَصِـدِ القِسِيِّ عَرَمْرَمِ
يُخْبِرْكِ مَنْ شَهِدَ الوقيعة أَنَّني ... أَغْشى الوَغَى وأَعِفُّ عِنْدَ المَغْنَمِ

ويعرض عنترة صورة أخرى من صور البطولـة عنده، وهـي عـدم الخـوف مـن الموت، وتصميمه على دخول المعارك، وتمثله بالموت تأكيداً لشجاعته وقوته فقال:

بَكَرَتْ تُخَوِّفُني الحُتُوفَ كأَنَّنـي ... أَصْبَحْتُ عَنْ غَرَضِ الحُتُوفِ بِمَعْزِلِ
فأَجَبْتُهـا: إنَّ المنيَّـــةَ مَنْهَـلٌ ... لا بُدَّ أَنْ أُسْقَى بِكأْسِ الْمَنْهَـــلِ
فاقْنَيْ حَياءَكِ لا أَبَالَكِ واعْلَمي ... أَنِّي امْرُؤٌ سَـأَمُوتُ إِنْ لَمْ أُقْتَـلِ

---

[١] مصطفى السقا: مختار الشعر الجاهلي :٣٨٦/١. مرقصـة: مسرعة، وهـي المـرأة المرتحلـة، لقيهـا فـي أثنـاء الحرب، وكانت الخيل أحاطت بها، فردها عنها. الخدام: جمع خدمة، وهي السير الغليظ المحكم مثل الحلقة تشد في رسغ البعير. الرجائز: جمع رجازة، وهي كساء يجعل فيه حجارة، ويعلق بأحد جانبي الهودج ليعدلـه. أكر: أرجع. كليماً: مكلوماً مجروحاً. سبائب: طرائق حمر. القرام: ستر رقيق أحمر.

[٢] ابن الأنباري: شرح القصائد السبع: ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤. الوغى: الصوت في الحرب. قال أبو جعفر في قوله: "وأعف عند المغنم": معناه لا تشره نفسي إلى الغنمية، ولكني أهب نصيبي للناس.

إنَّ الْمَنِيَّـــةَ لـو تُمَثَّلُ مُثِّلَـــتْ ... مِثْلي إذا نَزَلُوا بِضَنْكِ الْمَنْزِلِ
والْخَيْـلُ سَاهِمَةُ الْوُجوهِ كأنَّمَا ... تُسْقَى فَوارِسُها نَقيعَ الْحَنْظَلِ
وإذا حَمَلْتُ على الكريهةِ لَمْ أَقُلْ ... بَعْدَ الكَريهةِ لَيْتَني لَمْ أَفْعَـلِ[1]

ونجده يصف فرسه في معركة خاض غمارها، وقد تسربل فرسه بالدم، وجرت محاورة بينهما شكا إليه فرسه بعبرة وتحمحم من شدة وقع الرماح بصدره[2]:

ما زِلْـتُ أَرْميهِـمْ بِغُرَّةِ وَجْهِـــهِ ... ولَبَانِهِ حَتَّـــى تَسَرْبَلَ بالـــدَّمِ
وازورَّ مِـــنْ وَقْـــعِ الْقَنـــا بِلَبانـــهِ ... وشَـكَا إليَّ بِعَبْرَةٍ وتَحَمْحُـــمِ
لَوْ كانَ يَدْري ما المحاورةُ اشْتَكَى ... أَوْ كانَ لَوْ عَلِمَ الكلامَ مُكَلِّمي

وتبرز في معلقته صورة عنترة البطل المقدام، والفارس الذي لا يتراجع مهما كانت العقبات، وذلك في قوله[3]:

لَمَّا رأيتُ القومَ أَقْبَلَ جَمْعُهُمْ ... يَتَدامَرُونَ كَرَرْتُ غيرَ مُذَمَّمِ
يَدْعُونَ عَنْتَرَ والرِّماحُ كأنَّها ... أَشْطانُ بِئْرٍ في لَبانِ الأَدْهَمِ

---

[1] الأعلم الشنتمري: أشعار الشعراء الستة الجاهليين: ١/١٣٩. بكرت: جعلت. الحتوف: جمع حتف، وهو ما عرض للإنسان من المكاره والمتالف. وعن غرض، يروى "عن عرض الحتوف": وهو ما يعرض منها. بمعزل: أي ناحية معتزلة عن ذلك. منهل: مورد. الضنك: الضيق. ساهمة الوجوه: متغيرة الوجوه لما تلقى من الجهد. وقيل ضامرة قد كلح فوارسها لشدة الحرب وهولها. ومعنى البيت الأخير: أي إذا حملت نفسي على مكروه الحرب لم أندم على ذلك، لأنه إذا حمل كان على بصيرة، ولم يكن حمله على جهل منه وعمى فيندم بعد حمله.

[2] ابن الأنباري : شرح القصائد السبع: ٣٥٩-٣٦١. ويروى في التبريزي والزوزني "بثغرة نحره". والثغرة: الهزمة التي في الحلق، أو بين الترقوتين. اللبان: الصدر. تسربل: صار له سربال من الدم. والسربال: القميص. وعند التبريزي والزوزني "فازور". ازور: مال، أو تمايل. القنا: جمع قناة، أي الرماح. "وشكا إليَّ بعبرة": مثل، معناه فعل فِعْلَ المستعبر، أي لو كان ممن يتكلم لشكا بلسانه. التحمحم: صوت مقطع ليس بالصهيل فيه شبه الحنين. ورواية التبريزي والزوزني: "ولكان لو علم الكلام". المحاورة: المراجعة، أو الخطاب.

[3] المصدر نفسه : ٣٥٨، ٣٥٩. يتذامرون: يحض بعضهم بعضاً. أشطان: جمع شطن، وهو حبل البئر. الأدهم: الفرس الأسود.

وفي قصيدة أخرى يؤكد الصورة ذاتها، فهو يشد على أعدائه ويغير عليهم إن أدركوا قومه وأحاطوا بهم، وإذا أحجم فرسان قومه وأبطالهم عن القتال ونظروا بلحاظ عيونهم إلى البطل الحامي الذمار كان عنترة ذلك البطل الذي يرجونه في المهمات:

إِنْ يُلْحَقُوا أَكْرُرْ وإِنْ يُسْتَلْحَمُوا ... أَشْدُدْ وإِنْ يُلْفَوْا بِضَنْكٍ أَنْزِلِ

وإِذا الكتيبةُ أَحْجَمَتْ وتَلاحَظَتْ ... أُلْفِيتُ خَيْراً مِنْ مُعَمٍّ مُخْوَلِ[1]

ويصف لنا نفسه بأنه صبور يتحمل المكاره فلا يخاف منها ولا يستسلم لها، وإنما يقابلها برباطة جأش وقوة أعصاب، يقول[2] :

وَعَرَفْتُ أَنَّ مَنِيَّتي إِنْ تأْتِني ... لا يُنْجِني مِنْها الْفِرارُ الأَسْرَعُ

فَصَبَرْتُ عارِفةً لِذلِكَ حُرَّةً ... تَرْسو إِذا نَفْسُ الْجَبانِ تَطَلَّعُ

وعنترة رجل صاحب غيرة وشرف، لا يقبل أن تصاب نساء القبيلة بسوء، ولا أن تتمكن منهن قوة أخرى. لذلك نراه يفتخر بالدفاع عن نساء القبيلة فيقول [3]:

وَنَحْنُ مَنَعْنا بالْفُرُوقِ نِساءَنا ... نُطَرِّفُ عَنْها مُشْعَلاتٍ غَوَاشِيا

أَبَيْنا أَبَيْنا أَنْ تَضِبَّ لِثاتُكُمْ ... على مُرْشِقاتٍ كالظِّبَاءِ عَوَاطِيا

ولا يقتصر عنترة في نخوته ونجدته على نساء قبيلته فحسب ، وإنما تمتد غيرته ونجدته إلى نساء غير نساء قبيلته، وفي ذلك يقول [4] :

ومُغيرةٍ شَعْواءَ ذاتَ أَشِلَّةٍ ... فيها الفوارسُ حاسِرٌ وَمُقَنَّعُ

فَزَجَرْتُها عَنْ نِسْوَةٍ مِنْ عامِرٍ ... أَفْخاذُهُنَّ كأَنَّهُنَّ الخِرْوَعُ

---

[1] الأعلم الشنتمري: أشعار الشعراء الستة الجاهليين: ١/١٣٨. يلحقوا: يدركوا ويحاط بهم. يستلحموا: يدركوا.

[2] المصدر نفسه: ١/١٤٤. فصبرت عارفة: حبست نفساً عارفة، أي صابرة، تصبر للشدائد ولا تتكرها. ترسو: تثبت وتستقر ولا تطلع إلى الخلق جبناً وفزعاً، كما تطلع نفس الجبان.

[3] المصدر نفسه: ١/١٣٠- ١٣١. الفروق: واد بين اليمامة والبحرين. ويوم الفروق كان لبني عبس على بني سعد. نطرف: ندفع. مشعلات: كتائب متفرقة. غواشيا: غشيت البيوت، أو أحاطت بالقوم. يقال فلان تضب لثاته على الشيء: إذا اشتد حرصه عليه. مرشقات: هي الخيل والإبل الطويلات الأعناق. العواطي: جمع عاطية، وهي التي مدت عنقها، ورفعت يديها تأكل أوراق الشجر.

[4] المصدر نفسه: ١/١٤٤. مغيرة: خيل تغير بالضحى. شعواء: متفرقة. أشلة: جمع شليل، وهو الدرع. حاسر: ليس على رأسه مغفر ولا بيضة. مقنع: مستتر بمغفره ودرعه. الزجر: الدفع. الخروع: شجر لين.

ولم يقصر عنترة في نجدة القبيلة والتحمس لها والدفاع عنها، فهو يلبي حين يسمع النداء، ويجيب عندما يعلو الصريخ، لا ينتظر من يحمسه من أجل أبناء القبيلة كلهم مستعيناً بإخوانه، طالباً عضد أبناء عمومته [١] :

لَمَّا سَمِعْتُ دُعاءَ مُرَّةَ إذ دَعا ودُعاءَ عَبْسٍ في الْوَغى وَمُحَلِّلِ

نادَيْتُ عَبْساً فاسْتَجابُوا بالْقَنا وَبِكُلِّ أَبْيَـضَ صارِمٍ لم يَنْحَلِ

٢. الغزل:

الحديث عن الغزل في شعر عنترة أمر طبيعي ما دام شاعرنا رجلاً يحس بميله للأنثى وما دام يحيا في العصر الجاهلي الذي يكثر فيه الحديث عن المرأة وما دام يحب ابنة عمه عبلة [٢] .

ويلاحظ أن غزل عنترة متعدد الصفات والجوانب وهي تهدف كلها إلى إبراز شخصيته أمام المحبوبة، وإظهار تعلقه بهذه المحبوبة علها تبادله حباً بحب وعاطفة بعاطفة وإن كنا نلحظ أحياناً ميلاً إلى الإدلال بالنفس والاعتزاز بالذات [٣] .

وغزله عذري يعنى بالمرأة في خلقها وصفاتها، ويهدف إلى التغني بجمال نفسها أكثر من التغني بجمال خلقها. والذي يطالع الديوان يرى أنه يكاد يكون خلواً من وصف جمال المرأة الحسي أو التغني بهذا الجمال. وهذا الوصف في مجمله لا يعدو الوصف المهذب الذي يبعد عن الفحش ، فكأن المرأة عند عنترة روح حية تتمثل مظاهر الجمال وتجمدها في غلالة تفصح عن الأدب والعفة والحياء قدر ما تفصح عن الجمال ولنقرأ الأبيات التالية:

دارٌ لآنِسَةٍ غَضِيـــضٍ طَرْفُهـا طَوْعِ الْعِناقِ لذيذةِ المُتَبَسَّمِ

إذْ تَسْتَبيكَ بأَصْلَتَيٍّ ناعِـــمٍ عَذْبٍ مُقَبَّلُهُ لَذيـذِ الْمَطْعَـمِ

---

[١] الأعلم الشنتمري: أشعار الشعراء الستة الجاهليين: ١٣٧/١. الوغى: الصوت في الحرب. محلل: بكسر اللام وفتحها. القنا: الرماح. الصارم: السيف الأبيض المصقول. لم ينحل: لم يشحذ حتى يذهب تحديده، وهو من نحول الجسم.

[٢] ديوان عنترة : ٩٦.

[٣] المصدر نفسه: ٩٦.

وكأنّما نظَرتْ بعَيْنَيْ شادِنٍ رشإٍ مِنَ الْغِزْلانِ لَيْسَ بِتَوْأَمِ
وكأنّ فارةَ تاجرٍ بِقَسِيمَةٍ سَبَقَتْ عَوارِضَها إليكَ مِنَ الْفَمِ[1]

والمتأمل في هذه الأبيات يرى أنها تدور حول جمال العين وطيب الفم.

والحب العذري يقتضي الارتباط بفتاة واحدة والإخلاص لها، وإعلامها بتمكنها من النفس، فعنترة يبلغ محبوبته في غزله أنها قد احتلت نفسه ونزلت فيها منزلة المحب المكرم[2]:

ولَقَدْ نَزَلْتِ فلا تَظُنّي غَيْرَهُ مِنّي بِمَنْزِلةِ الْمُحَبِّ المُكْرَمِ

وقد أظهر عنترة في غزله إصراره على حبيبته ، فهو لا يريد غيرها ولا يتغنى بسواها ولا يربط نفسه بفتاة أخرى، فيقول [3]:

وَلَئِنْ سَأَلْتَ بِذَاكَ عَبْلةَ أَخْبَرَتْ أَنْ لا أُريدُ مِنَ النِّساءِ سِواها

ويؤكد عنترة بطولته لعبلة إن هي أعرضت عن حبه، فيقول لها: إن نبت عينك عني فأغدفت دوني قناعك فإنني حاذق بقتل الفرسان وأخذ الأقران، فيقول[4] :

إِنْ تُغْدِفِي دُوني القِناعَ فإنّني طَبٌّ بأَخْذِ الفارِسِ الْمُستلئِمِ

---

[1] أبو زيد القرشي: جمهرة أشعار العرب: ٣٤٨، ٣٥٣ والأعلم الشنتمري: أشعار الشعراء الستة الجاهليين: ١/١١، ١١٣. الآنسة: شابة يؤنس بحديثها. غضيض طرفها: أي هي حيية تغض بصرها من شدة خفرها. طوع العناق: أي سهلة لينة ليست بشرسة. لذيذة المتبسم: حسنة الفم، لذيذة الريق. تستبيك: تذهب بعقلك. أصلتي: ثغر براق. ويروى في جمهرة أشعار العرب ص: ٣٥٣ "بذي غروب": جمع غرب، وهو ماء الفم وحدة الأسنان. الناعم: الشديد البياض، الكثير البريق. مقبله: موضع تقبيله. شادن: ولد الغزال الذي قد شدن، أي قوي على المشي مع أمه. رشأ: حسن قويّ. ليس بتوأم: لم يولد مع غيره. الفارة، غير مهموز: وعاء من جلد يودع فيه الطيب. التاجر: العطار. قسيمة: جونة، أو امرأة حسناء من القسامة، وهي الحسن والصباحة. العوارض: ما بعد الناب من الأسنان.

[2] المصدر نفسه: ٣٥١. فلا تظني غيره: أي غير نزولك في قلبي.

[3] الأعلم الشنتمري: أشعار الشعراء الستة الجاهليين: ١/١٦٣.

[4] ابن الأنباري: شرح القصائد السبع: ٣٣٥. تغدفي: ترخي. طب: حاذق رفيق. المستلئم: الذي لبس اللأمة، وهي الدرع.

ويربط عنترة بين نعومة عبلة، حيث تمسي وتصبح على فراش وثير موطـأ، بينما يبيت هو على ظهر فرسه ، ويكون فراشه سرج فرس غليظ القوام والعظام، وبين بطولته، فهو بطل ملازم للخيول يمتطي صهواتها في المعارك إذ لا يكلُّ من الحروب ولا يسأمها، فنراه يقول [١] :

تُمْسِي وتُصْبِحُ فَوْقَ ظَهْرِ حَشِيَّةٍ ... وأَبِيتُ فَوْقَ سَراةِ أَدْهَمَ مُلْجَمِ
وحَشِيَّتي سَرْجٌ على عَبْلِ الشَّوَى ... نَهْدٍ مَراكِلُهُ نَبيـلِ المَـحْزِمِ

وعنترة حتى في غزله بعبلة يحاول الربط بين مظاهر البطولة والغزل، بالإضافة إلى محاولته ربط الغزل بحسن الوصف والتعبير، ويخاطبها بأنه باشر معارك كثيرة، تلمع فيها سيوف ورماح كثيرة، وأنها لو رأتها بأم عينها لأقلعت عن الخضاب والزينة لهول تلك المعارك.

كما أنه يطلب منها أن تلتمس له العذر لضعفه وهزاله ونحول جسمه بسبب مباشرته الحروب وتعرضه لأطراف الرماح. ويؤيد ما نذهب اليه هذه الأبيات [٢] :

عَجِبَتْ عُبَيْلَةُ مِنْ فتـىً مُتَبَذِّلٍ ... عاري الأَشاجعِ شاحِبٍ كالْمَنْصُلِ
يا عَبْلَ كَمْ مِنْ غَمْرَةٍ باشَرْتُها ... بالنَّفْسِ ما كادَتْ لَعَمْرُكِ تَنْجلي
فيها لَوَامِعُ لَوْ رَأَيْتِ زُهاءَهـا ... لَسَلَوْتِ بَعْدَ تَخَضُّـبٍ وتَكَحُّلِ
إِمَّا تَرَيْني قَدْ نَحَلْتُ وَمَنْ يَكُنْ ... غَرَضاً لأَطـرافِ الأَسِـنَّةِ يَنْحَلِ

---

[١] أبو زيد القرشي: جمهرة أشعار العرب: ٣٥٥، ٣٥٦. وابن الأنباري: شرح القصائد السبع: ٣١٦. ويروى: فوق ظهر فراشها. ويروى: فوق سراة أدهم صلدم. ويروى: فوق أجرد ملجم. والأجرد: القصير الشعر. حشية: فراش وطيء. السراة: الظهر. أدهم: فرس أسود. عبل: ضخم غليظ. الشوى: الأطراف والقوائم. النهد: الضخم المشرف. المراكل: مواضع الركل، أي الضرب بالرجل. النبيل: السمين. المحزم: موضع الحزام من الدابة.

[٢] الأعلم الشنتمري: أشعار الشعراء الستة الجاهليين : ١/١٤٠، ١٤١. متبذل: باذل نفسه في الحرب والأسفار. عاري الأشاجع: قليل اللحم. المنصل: السيف. غمرة: حرب شديدة. تنجلي: تنكشف. لوامع: أي سيوف ورماح تلمع. زهاءها: كثرتها.

(ح) سمات معلقة عنترة:

تمتاز بالسهولة واللين البادِيين فيها، اللذين قلما يوجدان في الشعر النجدي القديم. واللذين لايخلوان من فخامة وجزالة واضحة تكاد تبلغ الغرابة، وإنما تسير في سهولة ويسر. وترتفع عن الإسفاف والابتذال دون تورط في الغلظة والإغراب[١].

والمعلقة تصوير واضح لنفسية الشاعر ومشاعره وحياته وعواطفه وبطولته وقوته وبأسه ونضاله للأعداء، ولا عجب فهي تنبع من نفسه وحياته وتصورهما تمام التصوير[٢].

ولو لم نعرف عنترة أو نسمع بأخباره وحياته، لعرفناه من معلقته بطلاً مقداماً، وشجاعاً فارساً، وعربياً كريم الخلق، رقيق العاطفة، حار الشعور، يضع روحه في كفه، ويبذلها مضحياً في سبيل كرامته وشرفه وبطولته[٣].

---

[١] الأعلم الشنتمري: أشعار الشعراء الستة الجاهليين : ١/١٢٤، ١٢٥.

[٢] المصدر نفسه : ١/١٢٥.

[٣] المصدر نفسه: ١/١٢٥.

(٣) عمرو بن كلثوم:

(أ) نسبه وكنيته:

أمه ليلى بنت مهلهل أخي كليب[١]. وقال أبو عبيد البكري في شرح نوادر القالي: "عمرو بن كلثوم شاعر فارس جاهلي، وهو أحد فتاك العرب، وهو الذي فتك بعمرو بن هند وكنيته أبو الأسود"[٢].

ويقال إن أخاه مرة بن كلثوم هو قاتل المنذر بن النعمان بن المنذر، وفي ذلك يقول الأخطل[٣]:

أَبَني كُلَيْبٍ إِنَّ عَمَّيَّ اللَّذا قَتَلا المُلُوكَ وفَكَّكَا الأَغْلالا

ويعني بعميه عمراً ومرة ابني كلثوم [٤].

وقبيلته تغلب من أقوى وأعز قبائل العرب وقد جعلها ابن حبيب واحدة من رضفات العرب، وقيل لهم رضفات لشدتهم كما قيل لغيرهم جمرات لتجمعهم[٥]. وروى أبو عمرو الشيباني أن بني تغلب شهدوا " يوم خزاز"؛ وخزاز جبل كانت فيه وقعة، وهم من أظهر الناس عدة وسلاحاً، وخيلاً ورجالاً. وروى أبو عمرو الشيباني أيضاً أنه قيل: "لو أبطأ الإسلام قليلاً لأكلت بنو تغلب الناس"[٦].

وعمرو بن كلثوم هو القائل:[٧] **ألا هبي بصحنك فاصبحينا**

وكان قام بها خطيباً فيما كان بينه وبين عمرو بن هند [٨] بسوق عكاظ في موسم مكة[٩]. وهي من جيد شعر العرب القديم ، وإحدى السبع[١٠].

---

[١] الأصفهاني: الأغاني : ٥٢/١١.

[٢] البغدادي: خزانة الأدب: ١٨٣/٣ نقلاً عن سمط اللآلي: ٦٣٥.

[٣] ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ٢٣٦/١. اللذا: اللذان، حذف النون تخفيفاً. الأغلال: القيود.

[٤] المصدر نفسه : ٢٣٦/١.

[٥] ديوان عمرو بن كلثوم، دار صادر للطباعة والنشر – بيروت، ط ١، ١٩٩٦م: ٥.

[٦] ابن الأنباري: شرح القصائد السبع: ٣٦٩.

[٧] ابن قتيبة: الشعر والشعراء : ٢٣٦/١.

[٨] المصدر نفسه : ٢٣٦/١.

[٩] الأصفهاني : الأغاني: ٥٤/١١.

[١٠] ابن قتيبة: الشعر والشعراء : ٢٣٦/١.

وبنو تغلب تعظمها جداً ويرويها صغارهم وكبارهم ، حتى هجوا بذلك، قال بعض شعراء بكر بن وائل [١]:

أَلْهى بَني تَغْلِبٍ عَنْ كُلِّ مَكْرُمَةٍ ... قَصيدةٌ قالها عَمْرُو بنُ كُلْثُومِ
يَرْوُونَهـا أَبَداً مُذْ كانَ أَوَّلُهُمْ ... يـا لَلرِّجالِ لِشِعْرٍ غَيْرِ مسْؤُومِ!

وروي البيتان في الشعر والشعراء ، ولكن البيت الثاني ورد برواية أخرى [٢]:

يُفاخِرُونَ بِها مُذْ كانَ أَوَّلُهُمْ ... يا لَلرِّجالِ لِفَخْرٍ غَيْرِ مَسْؤُومِ!

وقال الفرزدق يرد على جرير في هجائه الأخطل [٣]:

ما ضَرَّ تَغْلِبَ وائِلٍ أَهَجَوْتَها ... أَمْ بُلْتَ حَيْثُ تَناطَحَ البَحْرَانِ
قَوْمٌ هُمُ قَتَلوا ابْنَ هِنْدٍ عَنْوَةً ... عَمْراً وهُمْ قَسَطُوا على النُّعْمانِ

وقال أُفنون ؛ صريم التغلبي يفخر بفعل عمرو بن كلثوم في قصيدة له [٤]:

لَعَمْرُكَ ما عَمْرُو بنُ هِنْدٍ وقَدْ دَعَا ... لِتَخْـدُمَ لَيْلـى أُمَّـهُ بِمُـوَفَّقِ
فقامَ ابنُ كُلْثُومٍ إلى السَّيْفِ مُصْلِتاً ... فأَمْسَكَ مِنْ نَدْمـانِهِ بالمُـخَنَّقِ
وجَلَّلَهُ عَمْرٌو على الرأسِ ضَرْبَـةً ... بذي شُطَبٍ صافي الحديدةِ رَوْنَقِ

---

[١] الأصفهاني: الأغاني : ٥٤/١١. مسؤوم: مملول.

[٢] ابن قتيبة: الشعر والشعراء : ٢٣٦/١.

[٣] الأصفهاني: الأغاني : ٥٤/١١. عنوة: قهراً. قسطوا: جاروا وثاروا.

[٤] المصدر نفسه : ٥٥/١١. أصلت السيف: جرده من غمده؛ فهو مصلت بكسر اللام والسيف مصلت بفتحها. الندمان بفتح النون: الذي ينادمك على الشراب. المخنق: موضع حبل الخنق من العنق. شطب السيف: طرائقه في متنه من شدة بريقه، الواحدة شطبة. الرونق: ماء السيف وصفاؤه وحسنه.

(ب) منزلته الشعرية:

جعله ابن سلام في الطبقة السادسة من شعراء الجاهلية، وهم أربعة رهط لكل واحد منهم واحدة، وأولهم عمرو بن كلثوم، ثم الحارث بن حلزة وعنترة وسويد بن أبي كاهل[١]. وجعله صاحب جمهرة أشعار العرب في الطبقة الأولى؛ وهي السموط مع امريء القيس ، وزهير، والنابغة الذبياني، وأعشى قيس ولبيد وطرفة [٢].

وقال الذين قدموا عمرو بن كلثوم: هو من قدماء الشعراء، وأعزهم نفساً وحسباً، وأكثرهم امتناعاً، وأجودهم واحدة، وكان أبو عبيدة يقول: هو أجودهم.

وذكر محمد بن عثمان عن مطرف، أنه كان يقول: كان عيسى بن عمر يقول: لله در ابن كلثوم! أي حلس شعر، ووعاء علم ! لو أنه رغب فيما رغب فيه أصحابه، وإن واحدته لأجود سبعتهم قصيدة [٣].

وقال الكميت: عمرو بن كلثوم أشعر الناس [٤]، وذكره في المزهر مع أصحاب الواحدة وأولهم طرفة، ومنهم عنترة والحارث بن حلزة وعمرو بن كلثوم[٥].

وذكر أبو عمرو بن العلاء أن عمرو بن كلثوم لم يقل غير واحدته- معلقته- ولولا أنه افتخر فيها وذكر مآثر قومه ما قالها[٦].

وروى مطرف عن عيسى بن عمرو أنه قال:" لو وضعت أشعار العرب في كفة وقصيدة عمرو بن كلثوم في كفة لمالت بأكثرها[٧].

---

[١] ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء : ١٥٠-١٥٢.

[٢] أبو زيد القرشي: جمهرة أشعار العرب : ١١٣ وما بعدها.

[٣] المصدر نفسه: ٨٦.

[٤] السيوطي : المزهر : ٢١٩/٢.

[٥] المصدر نفسه : ٢٠٣/٢.

[٦] أبو زيد القرشي: جمهرة أشعار العرب: ٨٦.

[٧] المصدر نفسه: ٨٧. "عيسى بن عمرو". ورد في المصدر نفسه ص: ٨٦ "عيسى بن عمر".

ومما روي عن أبي عبيدة أنه كان يقول: ليس قال عمرو بن كلثوم هذه القصيدة إلا عندما قتل عمرو بن هند الملك عم النعمان بن المنذر، فارتجز الأبيات المشهورة قوله [١]:

بأيِّ مَشيئَةٍ عَمْرَو بنَ هِنْدٍ ... يكونُ لِقَيْلِكُمْ فيها قَطِينا

بأيِّ مَشيئَةٍ عَمْرَو بنَ هِنْدٍ ... تُطيعُ بنا الوُشاةَ وتَزْدَرينا

بأيِّ مَشيئَةٍ عَمْرَو بنَ هِنْدٍ ... تَرَى أنَّا نكونُ الأَرْذَلينا

فلما قتل عمرو بن هند وصار في ديار قومه ذكره خادم من خدمه في هذه الأبيات، فبدأ القصيدة من أولها وأتمها[٢].

وجعله صاحب شعراء النصرانية من شعراء الطبقة الأولى[٣].

وتعد معلقة عمرو بن كلثوم من روائع الفخر، ويقال إنها كانت تزيد على الألف بيت، وإنما وصل إلينا بعضها مما حفظه الناس منها[٤].

وكان بنو تغلب يعظمونها ويرويها صغارهم وكبارهم - كما أسلفنا- لما حوته من الفخر والحماسة مع جزالتها وسهولة حفظها[٥].

---

[١] أبو زيد القرشي: جمهرة أشعار العرب: ٨٨. وفي ابن الأنباري والتبريزي والزوزني "تكون لقيلكم". ويروى: نكون لخلفكم". والخلف: الرديء من كل شيء والمراد به هنا: العبيد والخدم. والخلف: النسل. والخلف: من يجيء بعد. انظر ابن الأنباري: شرح القصائد السبع: ٤٠٢ والتبريزي: شرح القصائد العشر: ٣٠٧. القيل: مفرد أقيال. والأقيال: وزراء الملوك في قول بعض أهل اللغة. وقال أبو عبيد: ملوك باليمن دون الملك الأعظم. القطين: الخدم. مشيئة: من شاء يشاء شئت. الوشاة: الأعداء. تزدرينا: تحتقرنا وتشتهي غضبنا.

[٢] المصدر نفسه: ٨٨.

[٣] لويس شيخو: شعراء النصرانية قبل الإسلام :١٩٧.

[٤] الأعلم الشنتمري: أشعار الشعراء الستة الجاهليين : ١٧٥/١.

[٥] المصدر نفسه: ١٧٥/١.

(ت) أغراض معلقة عمرو بن كلثوم:

قبل أن نتحدث عن أغراض المعلقة نريد أن نعقد مقارنة مقتضبة بين شعرائنا الفرسان الثلاثة موضوع الدراسة، نجملها في أمور منها:

١. يدور شعر المهلهل حول رثاء أخيه كليب والأخذ بثأره، ووصف حروبه وأيامه مع أعدائه من بني بكر، وتبرز فيه النزعتان الذاتية والقبلية، والمهلهل سيد من سادات تغلب وفارس من فرسانها. بينما نرى عنترة صريح النسب من جهة الأب، هجيناً من جهة الأم، وهو عنترة الفوارس، ويدور شعره حول حروبه ومعاركه والاعتداد بنفسه، وحول غزله بمحبوبته عبلة، وتظهر فيه الروح الذاتية، حتى في غزله بعبلة، فهو يحاول إثبات شخصيته ورجولته أمامها لينال إعجابها. "أما عمرو بن كلثوم فهو صريح نسب الأبوين، فأمه ليلى بنت مهلهل بن ربيعة وعمها كليب أعز العرب. ووالده كلثوم بن عتاب فارس العرب، وكان عمرو سيداً في قومه من بني تغلب"[1]. ويدور شعره- وخاصة معلقته- حول مقتل عمرو بن هند، وتظهر فيه الروح القبلية، والفخر بقومه والتغني بأمجادهم . وهو ونظيره المهلهل كلاهما من تغلب.

٢. لم يضع ابن سلام شاعرنا وفارسنا المهلهل مع الفحول في طبقاته، وكذلك لم يَعدُهُ الأصمعي فحلاً، كما سبق أن أشرنا إلى ذلك، ولم يُعدَّ من أصحاب المعلقات. بينما عَدَّ ابن سلام عمرو ابن كلثوم وعنترة من فحولة الشعراء، وَعُدَّا من أصحاب المعلقات.

٣. يدور شعر الغزل عند عنترة حول عبلة، وقد التزم الشاعر بقواعد القصيدة الجاهلية مثل ذكر المحبوبة ثم ذكر الأطلال والديار، بينما نجد عمرو بن كلثوم لم يبدأ معلقته بالغزل كعادة الشعراء الجاهليين، بل بدأها بذكر الخمر على النحو الذي سنبينه في حديثنا عن أغراض معلقته.

وأغراض معلقة عمرو بن كلثوم نستطيع أن نجملها في عدة موضوعات:

١.بدأها بوصف الخمر، وهذه المعلقة فريدة في هذه الناحية، فلم تبدأ معلقة أو قصيدة بوصف الخمر في الجاهلية إلا هذه القصيدة، ولعل سر ذلك أن تغلب كانت النصرانية موجودة في بعض ربوعها، وأن الخمر كانت شائعة في هذه الربوع، وتكاد تكون هي

---

[1] الأعلم الشنتمري: أشعار الشعراء الستة الجاهليين: ١٧٣/١.

القصيدة الوحيدة في بدئها بالخمر على غير عادة الشعراء الجاهليين، قال فيها [١]:

أَلا هُبِّي بِصَحْنِكِ فاصْبَحينا ... ولا تُبْقي خُمُورَ الأَنْدَرينا
مُشَعْشَعَةً كأَنَّ الحُصَّ فيها ... إِذا ما الماءُ خالَطَها سَخِينا
صَدَدْتِ الكأْسَ عَنَّا أُمَّ عَمْرٍو ... وكانَ الكأْسُ مَجْراها اليَمِينا
وَمَا شَرُّ الثَّلاثَةِ أُمَّ عَمْرٍو ... بِصَاحِبِكِ الذي لا تَصْبَحِينا
وكأْسٍ قَدْ شَرِبْتُ بِبَعْلَبَكٍّ ... وأُخْرى في دِمَشْقَ وَقَاصِرِينا
إِذا صَمَدَتْ حُمَيَّاها أَرِيباً ... مِنَ الْفِتْيانِ خِلْتَ بِهِ جُنُونا

٢. الغزل ووصف محبوبته ووصف جمالها [٢]:

قِفي قَبْلَ التَّفَرُّقِ يا ظَعِينا ... نُخَبِّرْكِ الْيَقينَ وتُخْبِرينا
قِفي نَسْأَلْكِ هَلْ أَحْدَثْتِ صَرْماً ... لِوَشْكِ الْبَيْنِ أَمْ خُنْتِ الأَمِينا
أَفي لَيْلى يُعاتِبُني أَبُوها ... وإِخْوَتُها وَهُمْ لِيَ ظَالِمُونا

٣. ثم ينتقل إلى الفخر بقومه ومجدهم وعزتهم، ويهدد الملك عمرو بن هند وينذره ويتوعده في أسلوب قوي جزل مع عذوبة وجمال، والظاهر أن ذلك كان أيام التحاكم أمام عمرو بن هند والمفاخرة بين تغلب وبكر، وقد أوردت شيئاً من فخره في معلقته في الفصل الثالث في جانب الفخر والحماسة.

---

[١] الأعلم الشنتمري: أشعار الشعراء الستة الجاهليين : ١/١٧٤. وجمهرة أشعار العرب: ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤. هبي: قومي من نومك، استيقظي. الصحن: القدح العريض. أصبحينا: أسقينا الصبوح، وهو شرب الغداة. الأندرين: قرية، أو موضع بالشام كثيرة الخمر. ويقال: إنما أراد "أندر"، ثم جمعه بما حواليه. مشعشعة: ممزوجة، سميت بذلك لأنه يظهر لها شعاع كالشمس. الحص: الوَرْس، ويقال الزعفران، شبّه صفرتها بصفرته. سخينا: عند التبريزي، قال أبو عمرو الشيباني: كانوا يسخّنون لها الماء في الشتاء، ثم يمزجونها به. وفي رواية أخرى، قوله: سخينا: أي جُدنا وتكرمنا من السخاء. صددت: صرفت. أم عمرو: هي أم عمرو بن كلثوم. ومعنىالبيت الرابع: أي لست أنا شرّ الثلاثة فتعدلي عني الكأس. قال الأصمعي: يخاطب بها عمرو بن هند. قاصرين: بلد بقرب بالس، وبالس؛ بلدة بالشام. صمدت: قصدت. حمياها: أي سَوْرة الراح. الأريب: العاقل.

[٢] المصدر نفسه : ١/١٧٤. الظعينة: المرأة في الهودج. وأراد يا ظعينة ثم رخّم فحذف الهاء، وأشبع الفتحة فصارت ألفاً. الصرم: القطيعة. الوشك: السرعة، أو القرب. البين: الفراق. الأمين: الوفي بعهده.

ومن فخره قوله[١]:

أبا هِنْدٍ فلا تَعْجَلْ عَلَيْنا ... وَأَنظِرْنا نُخَبِّرْكَ الْيَقِينَا
بأنّا نُوردُ الرّاياتِ بيضاً ... ونُصْدِرُهُنّ حُمْراً قَدْ رَوِينَا
وأيّامٍ لنا غُرٍّ طِوَالٍ ... عَصَيْنا المَلْكَ فيها أنْ نَدِينَا
وَرِثْنا الْمَجْدَ قَدْ عَلِمَتْ مَعَدٌّ ... نُطاعِنُ دُونَهُ حتّى يَبِينَا

والجزء التالي من المعلقة يبدو أنه نظم بعد قتل عمرو بن هند، وهو [٢]:

بأيِّ مَشِيئَةٍ عَمْرَو بنَ هِنْدٍ ... تُطيعُ بِنَا الْوُشاةَ وتَزْدَرِينا
تُهدِّدُنا وَتُوعِدُنا رُوَيْداً ... متّى كُنّا لأُمِّكَ مُقْتَوِينا
فَإِنَّ قَنَاتَنا يا عَمْرُو أَعْيَتْ ... على الأَعْدَاءِ قَبْلَكَ أَنْ تَلِينا

ثم ينتقل إلى ذكر وقائع قومه مفتخراً بها على بكر، ومنها يوم خزاز، ثم يختمها بفخر قوي، منه:

وأنّا الحاكِمُونَ بِمَا أَرَدْنا ... وأنّا النّازِلُونَ بِحَيْثُ شِينا
وأنّا النّازلونَ بِكُلِّ ثَغْرٍ ... يَخافُ النّازلونَ بِهِ الْمَنُونا
إذا ما الْمَلْكُ سَامَ النّاسَ خَسْفاً ... أَبَيْنا أَنْ نُقِرَّ الخَسْفَ فينا
ألا لا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنا ... فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينا
مَلأْنا الْبَرَّ حَتّى ضاقَ عَنّا ... ومَوْجُ البَحْرِ نَمْلَؤُهُ سَفِينا
إذا بَلَغَ الفِطامَ لَنَا رَضِيعٌ ... تَخِرُّ لَهُ الجبابِرُ ساجِدِينَا

---

[١] الأعلم الشنتمري: أشعار الشعراء الستة الجاهليين: ١/١٧٤. وابن الأنباري: شرح القصائد السبع: ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٩٢. أبو هند: عمرو بن المنذر. وأنظرنا: انتظرنا، أو أخّرنا. الرايات: أعلام توضع في أطراف الرماح. والمورد هنا: الحرب، وهذا من باب الاستعارة. المجد: الشرف والرفعة. حتى يبينا: حتى يظهر ويستبين.

[٢] المصدر نفسه: ١/١٧٥. وجمهرة أشعار العرب: ٢٨٧، ٢٨٨. رويداً: قف قليلاً، أو امثل قليلاً. مقتوين: يعني خدماً. القناة: ها هنا تمثيل، أي نحن لا نلين لأحد.

لنا الدُّنْيا ومَنْ أمْسَى عَلَيْها ونَبْطِشُ حينَ نَبْطِشُ قادِرينَا[١]

ويظهر أن موضوع المعلقة مقسم إلى قسمين، عملا في زمنين مختلفين، أولهما: عمل أيام التحاكم أمام عمرو بن هند والمفاخرة بين تغلب وبكر ويبتديء من قوله [٢] :

أبا هِنْدٍ فلا تَعْجَلْ عَلَيْنا وأَنْظِرْنَا نُخَبِّرْكَ الْيَقِينا
بأنَّا نُورِدُ الرَّاياتِ بِيضاً ونُصْدِرُهُنَّ حُمْراً قَدْ رَوِينا

ويفخر فيه بنفسه وقومه [٣] :

وَرِثْنا المَجْدَ قَدْ عَلِمَتْ مَعَدٌّ نُطاعِنُ دُونَهُ حتَّى يَبِينَا

والثاني عمل بعد قتله عمرو بن هند ، وأوله [٤] :

بأَيِّ مَشِيئَةٍ عَمْرَو بنَ هِنْدٍ تُطِيعُ بِنَا الوُشاةَ وتَزْدَرِينا

(ث) شعر عمرو بن كلثوم:

يُعَدُّ عمرو بن كلثوم من أشهر الشعراء الجاهليين، شعره سهل، بعيد عن التكلف، مطبوع، يغلب عليه ضمير الجماعية فلا تظهر فرديته فيه إلا في أبيات يسيرة. وشعره في أكثره جاء على شكل مقطّعات احتضنتها المصادر العربية كالأغاني وشرح الحماسة وطبقات فحول الشعراء[٥] .

---

[١] الأعلم الشنتمري: أشعار الشعراء الستة الجاهليين : ١/١٧٥. الثغر: المكان المخوف. المنون: من أسماء المنية. قيل إنها واحد، وقيل إنها جمع. الخسف: الظلم والنقصان. فنجهل فوق جهل الجاهلين: نهلكه ونعاقبه بما هو أعظم من جهله، فنسب الجهل إلى نفسه وهو يريد الإهلاك والمعاقبة، ليزدوج اللفظان، فتكون الثانية على مثل لفظ الأولى وهي تخالفها في المعنى، لأن ذلك أخف على اللسان وأخصر من اختلافهما. وقال بعضهم: أراد بقوله "فنجهل": فنجازيه، فسمى المجازاة على الجهل جهلاً.

[٢] المصدر نفسه : ١/١٧٧.

[٣] المصدر نفسه: ١/١٧٨.

[٤] المصدر نفسه: ١/١٧٨.

[٥] ديوان عمرو بن كلثوم : ٦.

وشعر عمرو بن كلثوم، يجيء تبعاً لوقائع حياته وظروف بني تغلب تحت لوائه، حافلاً بمعاني القوة والبطولة حتى بات الفخر بمناقب الجرأة والشجاعة الغالب على قصائده، ولا سيما معلقته. لكن عمرو بن كلثوم لم يكن رجل بأس وشدة فحسب، بل كان كذلك رجل لهو ولذة، يحتاج إلى أوقات يغيب فيها عن ساحات المنازلة، وحلبات الصراع والمقاومة، فكان يجد متعته في الخمرة ولقاء المرأة، وبهما استهل معلقته التي جعلته في عداد النخبة من شعراء الجاهلية [١].

والفخر هو اللون الأكثر بروزاً في ديوانه، وفخره مطبوع بطابع بيئته وعصره، فهو لذلك ممزوج بروح الجاهلية، التي تجمع بين المفاخر والمدائح والأهاجي. ويتصف شعره بالحماسة وتتوفر فيه النفثات الملحمية ونواة الشعر القصصي. إنه شعر حافل بالسرد واللهجة الخطابية ، يتسلل به صاحبه إلى ذواتنا بما فيه من حلاوة الجرس والإيقاع والعنفوانية المتعالية، والنزعة إلى المثال في الإباء والأنفة[٢].

وروى له صاحب ديوان الحماسة أبياتاً في الفخر والحماسة هي من خير الأبيات يمتدح فيها بقومه، حيث يصف شدة صبرهم في المصائب، وأن نساءهم لا تندب ولا تبكي على ميت منهم، ولا يرفعون أصواتهم خوفاً وفرقاً من القتل عند لقاء الأعداء، وأن لهم إقداماً على المكاره وقوة جنان وثبات عزيمة، وفي ذلك يقول[٣]:

مَعَاذَ الإِلَهِ أن تَنُوحَ نِسـاؤُنا ... على هَالِكٍ أَوْ أَنْ نَضِجَّ مِنَ الْقَتْلِ
قِراعُ السُّيُوفِ بالسُّيُوفِ أَحَلَّنا ... بأَرْضِ بَرَاحٍ ذي أَرَاكٍ وذي أَثْلِ
فما أَبْقَتِ الأَيَّامُ مِلْمَالِ عِنْدَنا ... سوى جِذْمِ أَذْوادٍ مُحَذَّفَةِ النَّسْلِ
ثَلاثَةُ أَثْلاثٍ فأَثْمانُ خَيْلِنا ... وَأَقْواتُنا وما نَسُوقُ إِلى الْقَتْلِ

٦١٣٩٣٧

---

[١] ديوان عمرو بن كلثوم : ٧.

[٢] المصدر نفسه : ٨.

[٣] التبريزي: شرح ديوان الحماسة: ١/١٨٣، ١٨٤. معاذ الإله: أي أعوذ بالله معاذاً. قراع السيوف، على حذف مضاف: أي قراع أصحاب السيوف؛ والمقارعة: مضاربة القوم في الحرب. البراح: الأرض التي لا بناء فيها ولا عمران. الأراك والأثل: نوعان من الشجر ينبتان في السهل أكثر، ومعناه أنهم نزلوا بأرض لا هضاب فيها ولا جبال يتمنعون بها. ملمال عندنا: أي من المال عندنا. الجذم: الأصل. الأذواد: جمع ذود يقع على ما دون العشرة من الإبل. المحذفة: المقطوعة. ومعنى البيت الأخير كأنه قال: أموالنا ثلاثة أثلاث؛ ثلث نشتري به الخيل، وثلث نشتري به أقواتنا، وثلث نعطيه في الديات.

وقال يفتخر بقومه يوم وادي الأخرمين ، وقد انتصرت فيه تغلب على "صداء" إذ أصابت فيه الأسرى والنساء والنعم، كما كان يفتخر فيه بنفسه ، مشيداً بقوة خصمه وقوته، ومشيراً إلى عدد القتلى من أعدائهم[1] :

لِيَجْزِ اللهُ مِنْ جُشَمَ بنِ بَكْرٍ ... فوارسَ نَجْدةٍ خيرَ الجزاءِ
بِمَا حامُوا علَيَّ غَداةَ دارتْ ... بوادي الأخْرمَيْنِ رحى صُدَاءِ
بِضَرْبٍ تَشْخَصُ الأبصارُ مِنْهُ ... وطَعْنٍ مِثْلِ أفْراغِ الدِّلاءِ
صباحَ الخيلُ داميةٌ كُلاها ... تَرَقَّصُ بالفوارسِ كالظِّباءِ
وأعرَضَ فارِسُ الْهَيْجَاءِ جَحْشٌ ... وجَحْشٌ نِعْمَ حاميةُ النِّساءِ
فنادى في العَجاجةِ: أيْنَ عَمْرٌو؟ ... كأنِّي فَقْعةٌ أو طَيْرُ ماءِ
فأطعَنُهُ وقلتُ لَهُ: خُذَنْها ... مُشَوَّهَةٌ تَبَجَّسُ بالدِّماءِ
فما افْتَرَقتْ لِذَاكَ بَناتُ نَعْشٍ ... ولا كَسَفَتْ لَهُ شَمْسُ السَّماءِ
قَتَلْنا مِنْهُمُ سَبْعينَ جَحْشاً ... وولَّوْنا بأقْفِيَةِ الإماءِ
وأُبْنا بالْهِجَانِ مُرَدَّفاتٍ ... خَطَبْناهُنَّ بالأسَلِ الظِّماءِ
وقُدْنا مِنْهُمُ سَرَواتِ قَوْمٍ ... كَجُرْبِ الإبْلِ تُطْلى بالْهِناءِ

وقال مشيداً ومعدداً مكارم تغلب ، حيث يخاطب أخاه مرة بن كلثوم مبيناً له صنائع تغلب على أحياء من العرب مثل بني تيم اللات بن ثعلبة وهم رهط من بكر بن وائل، وهم من اللهازم؛ واللهازم قوم من بكر ، والقعور وهم حي من تغلب، والأفهار وهم أحياء من العرب أيضاً:

ألا يا مُرَّ والأنْباءُ تَنْمِي ... عَلامَ تَرَى صَنائِعَنا تَصِيرُ
أَلَمْ تَشْكُرْ لَنا أبْناءُ تَيْمٍ ... وإخوَتُها اللَّهازِمُ والقُعُورُ
بأنَّا نَحْنُ أحْمَيْنا حِماهُمْ ... وأنْكَرْنا وَلَيْسَ لَهُمْ نَكِيرُ

---

[1] ديوان عمرو بن كلثوم : ٩، ١٠. وردت هذه القصيدة في كتاب (الأنوار ومحاسن الأشعار) لأبي حسن علي ابن محمد بن المطهر العدوي (القرن الرابع الهجري) ت: محمد يوسف، ١٩٧٧م: ١٦٢. الأخرمان: جبلان من ديار باهلة. صداء: هو صداء بن يزيد بن حرب من بني مَذْحِج. الفقع: الرخو والرديء من الكمأة. تبجس: أصلها تتبجس، فحذف إحدى التامين، أي تتفجر. الأسل: نبات كثير الأغصان. الهناء: القطران.

وَنَحْنُ لَيَـــالِيَ الأَفْهَارِ فِيهِمْ ... يُشَدُّ بِها الأَقِدَّةُ والحُصورُ
كَشَفْنا الخَوْفَ والسَّعَياتِ عَنْهُمْ ... فَكَيْفَ يَغُرُّهُمْ مِنَّا الغَرُورُ[1]

وروي في الأغاني أن بني تغلب حاربوا المنذر بن ماء السماء، فلحقوا بالشام خوفاً منه، فمر بهم عمرو بن أبي حجر الغساني، فتلقاه عمرو بن كلثوم، فقال له: يا عمرو ما منع قومك أن يتلقوني؟! فقال له: يا عمرو يا خير الفتيان، فإن قومي لم يستيقظوا لحرب قط إلا علا فيها أمرهم واشتد شأنهم ومنعوا ما وراء ظهورهم ... فقال عمرو بن أبي حجر قولاً غض فيه من قدر بني تغلب، فرد عليه عمرو بن كلثوم مفتخراً بقومه [2]:

أَلا فاعْلَمْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ أَنَّا ... على عَمْدٍ سَنَأْتي ما نُرِيدُ
تَعَلَّمْ أَنَّ مَحْمَلَنا ثَقيـلٌ ... وأَنَّ زِنادَ كَبَّتِنا شَـــديدُ
وأَنَّا لَيْسَ حَيٌّ مِنْ مَعَدٍّ ... يُوازِينا إِذا لُبِسَ الحَديـــدُ

وقال ابن الأعرابي: بلغ عمرو بن كلثوم أن النعمان بن المنذر يتوعده ، فدعا كاتباً من العرب فكتب إليه يهجوه، ويرد عليه، ويفتخر بقومه بني تغلب الذين هم ذوو قوة وسلاح[3]:

أَلا أَبْلِغِ النُّعْمـــانَ عَنِّي رِســالَةً ... فَمَجْدُكَ حَوْلِيٌّ وَلُؤْمُكَ قارِحُ
مَتى تَلْقَني في تَغْلِبَ ابْنَةِ وائِلٍ ... وأَشْياعِها تَرْقى إِلَيْكَ الْمَسالِحُ

---

[1] ديوان عمرو بن كلثوم: ٢٧. يا مرّ: نداء مرخم والأصل: يا مرة وهو مرة بن كلثوم أخو عمرو. تتمي: تشيع. الصنائع: جمع صنيعة: الإحسان. أبناء تيم: هم بنوتيم اللّات بن ثعلبة رهط من بكر بن وائل، وهم من اللهازم؛ واللهازم: قوم من بكر. القعور: حي من تغلب. أحمينا إحماء الحمى: جعلناه لا يُقرب، أي دافعنا عنه. الأفهار: أحياء. الأقدة: جمع القدّ: السير يقدّ من الجلد، والقطعة من الشيء. الحصور: جمع الحصير: البساط من كل ما نسج.

[2] الأصفهاني: الأغاني : ٥٧/١١، ٥٨. وديوان عمرو بن كلثوم: ٢٢. أبيت اللعن: أي نأبى ما تريد، عبارة كانت العرب تتوجّه بها إلى ملوكها مدحاً. ويروى عجز البيت في الكامل في التاريخ (ط. صادر): أبيت اللعن نأبى ما تريد. وفي الكامل في التاريخ يروى: دبارَ مكان زناد، والدبار من كل شيء آخره. الكبة: الحملة في الحرب، والدفعة في القتال. معد: قبيلة. يوازينا إذا لبس الحديد: أي يقاومنا إذا استعدّ للحرب. وفي الكامل (يقاومنا).

[3] الأصفهاني: الأغاني: ٥٨/١١. وديوان عمرو بن كلثوم: ٢١. النعمان: هو النعمان بن المنذر الملقب بـ "أبي قابوس" من ملوك المناذرة اللخميين (بني لخم) في الحيرة، وآخر من حكم من أسرتهم، امتد حكمه أكثر من عقدين (٥٨٠-٦٠٢م). فمجدك يروى فحمدك. الحوليّ: نسبة إلى الحول، أي السنة، أراد أن مجده كالحول ينقضي ويزول. القارح: الجارح، وفي رواية ابن الأعرابي: "وذمّك قارحٌ". أشياعها: من هم على مثالها. ترقى إليك: تصعد وترتفع. المسالح: جمع مسلحة: موضع السلاح، والمسلحة أيضاً: الجماعة ذوو السلاح.

وهجا النعمان بن المنذر أيضاً هجاء كثيراً، ومنه قوله يعيره بأمه سليمى، حيث يعرض بها، ويصفها باللؤم والمنقصة[١]:

حَلَّتْ سُلَيْمَى بخَبْتٍ بَعْدَ فِرْتاجِ ... وقَدْ تكونُ قديماً في بني ناجِ
إِذْ لا تُرَجِّي سُلَيْمَى أَنْ يكونَ لها ... مَنْ بالخَوَرْنَقِ مِنْ قَيْنٍ ونَسَّاجِ
ولا يَكُونُ على أبوابِها حَرَسٌ ... كَمَا تَلَفَّفَ قِبْطيٌّ بديباجِ
تَمْشي بِعِدْلَيْنِ مِنْ لُؤْمٍ ومَنْقَصَةٍ ... مَشْيَ المُقَيَّدِ في اليَنْبُوتِ والْحَاجِ

وقال عمرو بن كلثوم هاجياً الملك عمرو بن هند ملك الحيرة، حيث يصفه باللؤم وبأنه ينتسب إلى خال قين كان يمتهن هذه المهنة - بيثرب أي المدينة المنورة - التي تأنف منها العرب وتأباها:

أَلا أَبْلِغَا عَنِّي سُلَيْماً وَرَبَّهُ ... فزِيدا عَلَيَّ مِثْرَةً وتَغَضُّبَا
فإِنْ كانَ جِدٌّ فاسْعَيا ما وَسِعْتُما ... وإِنْ كانَ لَعْبٌ آخِرَ الدَّهْرِ فالْعَبَا
وَمَنْ يَعْدِلُ اللَّيْثُ المُجَرَّبُ وَقْعُهُ ... بِحِسْلَيْنِ لَمَّا يَعْدُوَا أَنْ تَضَبَّبَا
لَحَى اللَّهُ أَدْنانا إِلى اللُّؤْمِ زُلْفةً ... وأَعجَزَنا خالاً وأَلأَمَنا أَبَا
وَأَجْدَرَنا أَن يَنْفُخَ الكِيرَ خَالُهُ ... يَصُوغُ القُرُوطَ والشُّنُوفَ بِيَثْرِبَا[٢]

---

[١] الأصفهاني: الأغاني: ٥٨/١١، ٥٩ وديوان عمرو بن كلثوم: ٢٠. وقد ورد البيت الأول في ديوانه برواية أخرى:

حلّت سليمى بخبت أو بفرتاج ... وقد تُجاوز أحياناً بني ناجِ

خبت: موضع. فرتاج: موضع في بلاد طيء، أو ماء في رأي آخر. بنو ناج: أراد بني ناج بن عدوان. الخورنق: قصر بناه النعمان اللخمي لبني ساسان. القين: العبد. النساج: الذي ينسج الثياب. وروي في ديوانه "ولا تكفف قبطياً بديباج". كفّف: من كفّف الشيء: عصبه ولفّه. الديباج: ضرب من الثياب المنقش والمزين، واللفظة فارسية. العدلان: مثنى عَدْل، نصف الحمل يكون على أحد جنبي البعير. اليَنبوت: نبات، وهو ضربان، أحدهما ذو شوك، وهو المراد هنا. الحاج: الشوك أو ضرب منه.

[٢] ديوان عمرو بن كلثوم: ١٣، ١٤ والأصفهاني: الأغاني: ٥٩/١١. جاء في الأغاني أن مناسبة هذه الأبيات هي هجاء النعمان بن المنذر. سُلَيْم: هو رجل من حاشية الملك النعمان أحد ملوك المناذرة في الحيرة. ربّه: أي الملك النعمان بن المنذر. المثرة: الكراهية والحقد الشديد، والجمع مِثَر. ما وسعتما: يروى: "ما قدرتما"، أي ما وجدتما سبيلاً إلى اللعب. يعدل: في الأصل "بعدك"، وهو تحريف من الناسخ. الليث: الأسد. لما يَعْدُوَا: من عدا يعدو، وهما يعدوان أي: يركضان. تضببا: صارا ضبَّيْن: مثنى ضب؛ والضب: دويبة، أو حيوان من جنس الزواحف يكثر في صحارى الأقطار العربية. الحسل: ولد الضب روي عجز البيت الرابع في الأغاني: =

وقال عمرو بن كلثوم يمدح يزيد بن عمرو من بني سحيم من حنيفة ، حين أحسن إليه بعد أن أسره، ثم أطلقه بغير فدية ، فوصفه بأنه ماجد بطل، كما وصف قومه بني حنيفة بالشجاعة[1]:

أَأَجْمَعَ صُحْبَتي السَّحَرَ ارْتحالا ... وَلَمْ أُزْمِعْ بِبَيْنٍ مِنْكِ هالا
وَلَمْ أَرَ مِثْلَ هالَةَ في مَعَـدٍّ ... تُشَبِّهُ حُسْنَها إلا الْهِـــلالا
أَلا أَبْلِغْ بني جُشَـمِ بنِ بَـكْرٍ ... وتَغْلِـــبَ كُلَّها نَبأً جُلالا
بِأَنَّ الماجِدَ البَطَلَ ابنَ عَمْرٍو ... غَداةَ نَطاعِ قَدْ صَدَقَ القِتالا
كَتِيـــبَتُهُ مُلَمْلَمَـــةٌ رَداحٌ ... إذا يَرْمُونَها تُنْبِي النِّبـــالا
جَزَى اللهُ الأَجِلَّ يَزيدَ خَيْـراً ... وَلَقَّاهُ المَسَرَّةَ والجَمَـــالا
بِمَأْخَدِهِ ابْنَ كُلْثُومِ بنِ عَمْرٍو ... يزِيدَ الخيـــرِ نازَلَهُ نِزالا
بَجَمْـــعٍ مِنْ بَني قُرّانَ صِيدٍ ... يُجيلونَ الطِّعانَ إذا أَجَـــالا
يَزيدُ يُقَدِّمُ الشُّقْراءَ حَتَّـــى ... يُرَوِّيَ صَدْرَها الأَسَلَ النَّهالا

= لحا الله أدنانا إلى اللُّؤمِ زُلْفَةً ... وألأمنا خالاً وأعجزنا أبا

لحى الله: لعن. زلفة: جمع زلف؛ وهي القربة، الدرجة، المنزلة، أو الطائفة من الليل. الكير: جمع أكيار، زقّ ينفخ فيه الحدّاد. القروط والأقراط: جمع القرط: ما يعلق في شحمة الأذن من درّة ونحوها. الشنوف: جمع الشنف؛ ما يعلق في أعلى الأذن. يثرب: المدينة المنورة.

[1] الأصفهاني: الأغاني: ٥٧/١١ وديوان عمرو بن كلثوم: ٣٨، ٣٩. السحر: جمع أسحار؛ آخر الليل قبيل الصبح. أزمع: مضى في الأمر وعزم عليه. وفي رواية: "لم أشعر". البين: الفراق. هالا: ترخيم الهالة، يريد يا "هالة"؛ والهالة: دائرة الضوء حول القمر. شبّه الشاعر محبوبته بهالة القمر تعبيراً عن إعجابه بحسنها. معدّ: يطلق اسم معدّ على القبائل في شمالي الجزيرة العربية وفي طليعتها مضر وربيعة. وفي رواية الأغاني في عجز البيت الثاني: "أشبّه". بنو جشم بن بكر: من بني تغلب. النبأ الجلال: الخبر الجليل، العظيم. وفي رواية الأغاني في البيت الثالث: "كلما أتيا جلالا"؛ والجلال بكسر الحاء: جمع حلة وهي جماعة بيوت الناس، ومجتمع القوم. وفي رواية الأغاني في البيت الرابع: "الماجدَ القرم"؛ والقرم من الإبل الفحل، والقرم: السيد العظيم على سبيل التشبيه. نطاع: اسم أرض باليمامة. الكتيبة: الجيش، أو فرقة منه، أو الخيل، أو الجماعة. ململمة: مجتمعة. رداح: ثقيلة، جرّارة. تنبي النبال: من أنبى السيف: جعله نابياً؛ والسيف أو السهم النابي: الذي تباعد عن هدفه أو غرضه. وفي رواية الأغاني في البيت الخامس: "تغني النبالا". وفي رواية الأغاني في البيت السادس: "جزى الله الأغرّ"؛ أي يزيد الأغرّ". وفي رواية الأغاني في البيت السابع: "كلثوم بن عمرو". قرّان: قرية، أو حصن باليمامة، وأهلها أفصح بني حنيفة. الصّيد: جمع الأصيد: الشجاع. في رواية الأغاني في البيت التاسع: "السفراء" وهو تصحيف، والمقصود بها "اسم فرس يزيد". الأسل: نبات له أغصان كثيرة دقاق. وهذه الأغصان: قضبان ليس لها ورق ولا شوك إلا أن أطرافها محدّدة، والمقصود بالأسل هنا: الرماح. النهال: العطشان.

الفصل الخامس

نماذج من الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي

١- الشنفرى

٢- عروة بن الورد

٣- تأبط شراً

الفصل الخامس

نماذج من الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي

(١) الشنفرى:

(أ) اسمه ونسبه ونشأته:

قيل اسمه ثابت بن أوس ، وهو شاعر جاهلي قحطاني من الأزد [١] . وهو من فرسان العرب وفتاكهم ، ومن أشهر العدائين فيهم [٢]، حيث ضرب به المثل في العدو، فقيل: " أعدى من الشنفرى". وهو ابن أخت تأبط شراً [٣] . لقب بالشنفرى لعظم شفتيه، وقيل غير ذلك، وذهب آخرون إلى أن الشنفرى اسمه [٤] . وكان صاحباً لتأبط شراً وعمرو بن براق في اللصوصية[٥] . وكان من الفرسان المذكورين والشعراء المفلقين[٦]. ويضعه ابن الأعرابي في نوادره بين أغربة الجاهلية[٧] . والشنفرى كان من الأواس بن الحجر بن الهنء[٨] بن الأزد بن الغوث[٩].

---

[١] البغدادي : خزانة الأدب : ٣/٣٤٣، ٣٤٤.

[٢] الأعلم الشنتمري: أشعار الشعراء الستة الجاهليين : ١/٢٢٢.

[٣] المفضل الضبي : المفضليات : ١٠٨.

[٤] الزمخشري : أعجب العجب في شرح لامية العرب، ت: محمد إبراهيم حوّر، مكتبة سعد الدين - دمشق، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م: ٥.

[٥] البغدادي: خزانة الأدب : ٣/٣٤٤.

[٦] الألوسي : بلوغ الأرب: ٢/١٤٣.

[٧] السيوطي : المزهر : ٢/٢٦٩.

[٨] ديوان الشنفرى، ت: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م: ١٠. (الهنء)، وفي الأغاني ٢١/١٧٩: الهنو، وهذا تصحيف. والمفضل الضبي: المفضليات: ١٠٨.

[٩] الأصفهاني: الأغاني: ٢١/١٧٩.

وهناك ثلاث روايات في مقتله:

الرواية الأولى تقول: روي في الأغاني عن أبي هشام محمد بن هشام النميري[١]: أن الشنفرى كان من الأواس بن الحجر بن الهنء بن الأزد بن الغوث. أسرته بنو شبابة ابن فهم، فلم يزل فيهم حتى أسرت بنو سلامان بن مفرج بن الأزد رجلاً من فهم، أحد بني شبابة ففدته بنو شبابة بالشنفرى. فنشأ الشنفرى في بني سلامان لا تحسبه إلا أحدهم حتى نازعته بنت الرجل الذي كان في حجره، وكان السلامي اتخذه ولداً، وأحسن إليه وأعطاه، فقال لها الشنفرى: "اغسلي رأسي يا أخية"، فأنكرت أن يكون أخاها ولطمته، فذهب غاضباً حتى أتى الذي اشتراه من فهم، فقال له: اصدقني ممن أنا؟ قال: أنت من الأواس بن الحجر، فقال: أما إني لن أدعكم حتى أقتل منكم مئة بما استعبدتموني. ثم إنه ما زال يقتلهم حتى قتل تسعة وتسعين رجلاً، وقال الشنفرى للجارية التي لطمته[٢]:

أَلا لَيْتَ شِعْري والتَّلَهُّفُ ضَلَّةٌ ... بِما ضَرَبَتْ كَفُّ الفَتاةِ هَجِينَها؟

ولَوْ عَلِمَتْ قُعْسوسُ أَنْسابَ والدي ... ووالِدِها ظَلَّتْ تَقاصَرُ دُونَها

أَنا ابنُ خِيَارِ الحُجْرِ بَيْتاً ومَنْصِباً ... وأُمِّي ابنَةُ الأَحْرارِ لَوْ تَعْرِفِينَها

ثم لزم الشنفرى دار فهم، فكان يغير على الأزد على رجليه فيمن تبعه من فهم، وكان يغير وحده أكثر من ذلك، فكان يقتل بني سلامان حتى قعد له رهط من الغامديين فأعجزهم، ثم قعد له بعد ذلك أسيد بن جابر السلاماني وابن أخيه وخازم الفهمي. فمر عليهم الشنفرى، فأبصر السواد بالليل فرماه، فشك ذراع ابن أخي أسيد إلى عضده، وقطع إصبعين من أصابع خازم، وصرع خازماً وابن أخي أسيد، ثم أسروا الشنفرى، وأدوه إلى أهلهم، وقالوا له: أنشدنا، فقال: إنما النشيد على المسرَّة، فذهبت مثلاً ثم ضربوا يده، فتعرضت، أي اضطربت، فقال الشنفرى في ذلك:

---

[١] الأصفهاني: الأغاني: ٢١/١٧٩.

[٢] المصدر نفسه: ٢١/١٧٩-١٨٠. وما من "بما ضربت" استفهامية، وأصلها "بم" وإنما مدت لضرورة الشعر. الهجين: اللئيم، أو العربي الذي أمه أمة، يقول: ليتني أعلم لِمَ تضرب هذه الفتاة الفتى الحقير في نظرها. قعسوس: اسم الفتاة.

لا تَبْعَـــدِي إِمَّـــا ذَهَبْـــتِ شـــامَهْ فَـــرُبَّ وادٍ نَفَـــرَتْ حَمَامَـــهْ[١]

ورُبَّ قِرْنٍ فَصَلَتْ عِظامَهْ

ثم قتلوه بعد أن أنشدهم أبياتاً.

وقال تأبط شراً يرثي الشنفرى، ويدعو له بالسقيا، ويعدّد وقائعه بأعدائه "كيوم الجبا" و "يوم العيكتين"، ويشبّه فرار أعدائه بفرار الغنم من الذئب، يقول[٢]

علـى الشَّـنْفَرَى سـاري الغمـامِ ورائـحٌ غَزيـرُ الكُلـى وَصَيِّـبُ المَـاءِ بـاكِرُ

عَلَيْـكَ جَـزاءٌ مِثْـلُ يَوْمِـكَ بالجَبَـا وَقَـدْ أُرْعِفَـتْ مِنْـكَ السُّـيوفُ البَوَاتِـرُ

وَيَوْمِـكَ يَـوْمِ العَيْكَتَيْـنِ وَعَطْفَـةٍ عَطَفْـتَ وَقَـدْ مَـسَّ القُلُـوبَ الحَنَـاجِرُ

تَجُـولُ بِـبَزِّ المَـوْتِ فيهِـمْ كـأَنَّهُمْ بِشُـوكَتِكَ الحُـدَّى ضَئِـينٌ نَوَافِـرُ

ثم يفتخر تأبط شراً بنفسه، حيث يقول: "إنني بعد موتك إما مقدم على غارة، أو راجع من ثأر، كما كنت تفعل في حياتك، يقول:

فـإِنَّكَ لَـوْ لا قَيْتَـني بَعْـدَ مَـا تَـرَى وَهَـلْ يُلْقَيَـنْ مَـنْ غَيَّبَتْـهُ المَقَـابِرُ؟

لأَلْفَيْتَـني في غـارَةٍ أَنْتَمِـي بِهـا إِلَيْـكَ وإِمَّـا راجِعـاً أَنـا ثـائِرُ

---

[١] الأصفهاني: الأغاني: ٢١/١٨٢. يريد بالشامة: شامة سوداء كانت في يده. القرن. الكفؤ في الشجاعة.

[٢] المصدر نفسه: ٢١/١٨٢، ١٨٣. وديوان الشنفرى: ١٣. ساري الغمام: السحاب الممطر ليلاً. الرائح: السحاب الممطر بالعشي. الكلى: جمع كلوة، وهي أسفل السحاب. صيّب الماء: منصبّه. عليك جزاء: أي عليك جزاء على أفعالك المحمودة. الجبا: شعبة من وادي الجِيّ عند الرويثة بين مكة والمدينة (ياقوت الحموي: معجم البلدان. ت: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٩٩٠م: ٢/١١٢ "جبا"). أرعفت: قطرت أو خرج منها الدم. البواتر: القواطع. يوم العيكتين: يوم مشهور لتأبط شراً والشنفرى وعمرو بن براق مع بجيلة. العطفة: الكرّة والهجمة. وقد مس القلوب الحناجر: كناية عن شدة الخوف والهلع. بزّ الموت: السلاح. الحُدّى: من الحدة؛ أي الحادة. ضئين: جمع ضأن، وهو ما عدا الماعز من الغنم. يقول: كأن الأعداء ينفرون من سلاحك نفور النعاج والخراف. نوافر: أي نفرت من الذئاب.

وإِنْ تَـكُ مَأْسُـوراً وَظَلْـتَ مُخَيَّمـاً ... وأَبْلَيْـتَ حتَّـى مَـا يَكيـدُكَ واتِـرُ
وحَتَّـى رَمـاكَ الشَّيْبُ في الـرَّأسِ عانِسـاً ... وَخَـيْرُكَ مَبْسُـوطٌ وزادُكَ حَـاضِرُ[1]

ثم يعزّي تأبط شراً نفسه قائلاً: "إن الموت نهاية كل إنسان، وخير ميتة أن يموت الإنسان وهو صابر على الشدائد كميتة الشنفرى". ونراه يعود لتعداد مناقب الشنفرى من شجاعة وشدة جري ونجدة وحماية الحمى وكرم وصبر على الشدائد، ولا ينسى الدعاء له، يقول:

وَأَجْمَـلُ مَـوْتِ المَـرْءِ إِذْ كـانَ مَيِّتـاً ... وَلا بُـدَّ يَوْمـاً مَوْتُـهُ وَهُـوَ صَـابِرُ
فـلا يَبْعَـدَنْ "الشَّـنْفَرَى" وَسِـلاحُهُ الْـ ... حَديـدُ وشَـدٌّ خَطْـوُهُ مُتَواتِـرُ
إِذا رَاعَ رَوْعُ المَـوْتِ رَاعَ وإِنْ حَمَـى ... حَمَـى مَعَـهُ حُـرٌّ كَريـمٌ مُصـابِرُ[2]

الرواية الثانية: وروي غير ذلك في سبب أسر الشنفرى ومقتله. حيث إن الأزد قتلت الحارث بن السائب الفهمي، فأبوا أن يبوءوا[3] بقتله، فباء بقتله رجل منهم اسمه حزام بن جابر. فلما ترعرع الشنفرى جعل يغير على الأزد مع فهم فيقتل من أدرك منهم. ثم قدم "مِنى" وبها حزام بن جابر، فقيل له: هذا قاتل أبيك، فشدّ عليه فقتله، ثم سبق الناس على رجليه، فقال:

قَتَلْـتُ حِزامـاً مُهْدِيـاً بَمُلَبَّـدٍ ... بِبَطْنِ مِنًى وَسْطَ الحجيجِ المُصَوِّتِ[4]

---

[1] الأصفهاني: الأغاني: ٢١/١٨٣، وديوان الشنفرى: ١٤. الفيتي: وجدتني. أنتمي: أنتسب. ثائر: آخذ بالثأر. ظلت مخيماً: ظللت حياً. الواتر: طالب الوتر. العانس: الذي اكتمل سنه ولم يهذه الكبر، أو الذي اختلط السواد والبياض في شعره، أو لم تتزوج ويطلق على الذكر والأنثى على السواء.

[2] الأصفهاني: الأغاني: ٢١/ ١٨٣، وديوان الشنفرى: ١٥. لا يبعدن: دعاء للميت. الشّدّ: شدّة الجري. متواتر: متتابع متدارك. راع: أخاف.

[3] يبوءوا: يقروا.

[4] الأصفهاني: الأغاني: ٢١/١٨٤. مهدياً: مقدماً الهدي في الحج. الملبد: مكان التلبيد، وكان من عاداتهم في الحج أن يدهنوا شعورهم بشيء من الصمغ لتتلبد. المصوت: الذي يجهر بالدعاء ونحوه.

ثم إن رجلاً من الأزد أتى أسيد بن جابر أخا حزام المقتول فقال: تركت الشنفرى بسوق حباشة[١]. فقعد له على الطريق هو وابنا حزام، فوثبوا عليه فأخذوه فشدُّوه وثاقاً، ثم انطلقوا به إلى قومهم، فتماروا بينهم في قتله. ثم ضربه أحد بني حزام ضربة فقطع يده من الكوع، "فارتجز الشنفرى الرجز الذي تقدَّم في الرواية الأولى"[٢]. وقال تأبط شراً يرثيه:

لا يَبْعَدَنَّ الشَّنْفرى وسلاحُهُ الْـ ... حَديدُ وشَدٌّ خَطْوُهُ مُتواتِرُ

إذا راعَ رَوْعُ المَوْتِ راعَ وإنْ حَمَى ... حَمى مَعَهُ حُرٌّ كريمٌ مُصابِرُ[٣]

وذُرِعَ خطو الشنفرى ليلة قُتِلَ فوُجِدَ أول نزوة نزاها إحدى وعشرين خطوة، ثم الثانية سبع عشرة خطوة[٤].

وقال ظالم العامري في الشنفرى وغاراته على الأزد وعجزهم عنه، ويحمد أسيد بن جابر في قتله الشنفرى:

فَمَا لَكُمُ لَمْ تُدْرِكُوا رِجْلَ شَنْفَرى ... وأَنتُمْ خِفافٌ مِثْلُ أَجنحةِ الغُرْبِ

تَعادَيْتُمُ حتى إذا ما لَحِقْتُمُ ... تَبَاطأَ عَنْكُمْ طالِبٌ وأبو سَقْبِ

لَعَمْرُكَ لَلسَّاعي أُسَيْدُ بنُ جابِرٍ ... أَحقُّ بها مِنْكُمْ بني عَقِبِ الكَلْبِ[٥]

ولما قتل الشنفرى، وطرح رأسه مرَّ به رجل منهم فضرب جمجمة الشنفرى بقدمه، فعقرت قدمه فمات منها فتمت به المائة. وقال الشنفرى قصيدته التائية المشهورة – والتي سنوردها فيما بعد – في لطمة المرأة التي أنكرته، وفي قتله حزاماً بن جابر قاتل أبيه[٦].

---

[١] سوق حباشة: سوق كانت معروفة عند العرب.

[٢] ما بين القوسين بتصرف من الباحث.

[٣] الأصفهاني: الأغاني: ٢١/١٨٥. تقدم هذان البيتان.

[٤] المصدر نفسه: ٢١/١٨٥، ١٨٦.

[٥] المصدر نفسه: ٢١/١٨٦. الغرب: جمع غراب. طالب وأبو سقب: رجلان – كما يبدو – كانا يعارضان في قتل الشنفرى. اللام من "للساعي": لام الابتداء. بني عقب الكلب: منادى.

[٦] المصدر نفسه: ٢١/ ١٨٦ " بتصرف من الباحث".

ثم غزاهم فجعل يقتلهم، ويعرفون نبله بأفواقها[١] في قتلاهم، حتى قتل منهم تسعة وتسعين رجلاً. ثم غزاهم غزوة، فثاروا به، فخرج هارباً، وخرجوا في إثره، فرصدوه على ركيّ[٢] لهم، فلما جنَّ عليه الليل أقبل إلى الماء، فرأى سواداً فرماه، فأصاب رجلاً فقتله، وأقبل إلى الركيّ، فوضع سلاحه، ثم انحدر فيه، فلم يرعه[٣] إلا بهم على رأسه، قد أخذوا سلاحه فنزا ليخرج، فضرب بعضهم شماله فسقطت، فأخذها فرمى بها كبد الرجل، فخرَّ عنده في القليب[٤]، فوطئ على رقبته فدقها. ثم خرج إليهم، فقتلوه وصلبوه، فلبث عاماً أو عامين مصلوباً وعليه من نذره رجل، فجاء رجل منهم كان غائباً، فمرَّ به - وقد سقط - فركض[٥] رأسه برجله، فدخل فيها عظم من رأسه فعلَّت[٦] عليه فمات منها، فكان ذلك الرجل هو تمام المائة.[٧]

ومهما اختلف الرواة في نسب الشنفرى وسيرة حياته، فهو شاعر وقبيلته الأزد[٨]. ومهما يكن من أمر هذه الروايات المختلفة، فإن من الثابت أن الشنفرى أنشأ مع بعض رفاقه العدَّائين، ومنهم: تأبط شراً، والسليك بن السلكة، وعمرو بن البرَّاق، وأسيد بن جابر عصبة عرفت في الأدب العربي باسم الشعراء الصعاليك[٩].

(ب) وفاته:

لقد حدد الزركلي سنة وفاة الشنفرى نحو عام سبعين قبل الهجرة، وفق عام خمسمائة وخمسة وعشرين للميلاد[١٠]، والله تعالى أعلم.

---

[١] الأفواق: جمع فوق، وهي السهام في الوتر لترمى به. قال ابن الأنباري: "الفوق" يذكر ويؤنث.

[٢] الركي: البئر والجمع ركايا.

[٣] الأصفهاني: الأغاني: ٢١/١٩٤. فلم يرعه: المراد فلم يرعه إلا بصره بهم.

[٤] المصدر نفسه: ٢١/١٩٤. القليب: البئر.

[٥] ركض رأسه برجله: ضرب رأسه برجله.

[٦] فعلَّت: من العِلَّة، أي المرض.

[٧] المصدر نفسه: ٢١/١٩٤. لا شك أن حكاية المائة من القتلى - وكيف تمت - بادية الاقتعال.

[٨] لامية العرب - نشيد الصحراء لشاعر الأزد "الشنفرى" - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت، ١٩٧٤م: ١٨.

[٩] ديوان الشنفرى: ١١.

[١٠] الزركلي: الأعلام، مصر، ط ٥، ١٩٥٤-١٩٥٩م: ٥/٨٥.

(ت) نماذج من شعره:

وكان مما قاله الشنفرى من الشعر في بني سلامان الذين أخذوه أسير فداء، قصيدته التائية التي ذكرها صاحب الأغاني ، وصاحب المفضليات مع اختلاف في عدد أبياتها وألفاظ بعضها.

قال الشنفرى في المرأة "الفتاة" التي لطمته وأنكرته. حيث بدأ القصيدة بالغزل والتشبيب، وأبدع في وصف مشية صاحبته والتنويه بمحاسنها، يقول:

أَلا أُمُّ عَمْـــرٍو أَجْمَعَـــتْ فاسْـــتَقَلَّتِ ... ومـــا وَدَّعَـــتْ جيرانَهـــا إِذْ تَوَلَّـــتِ

وقَـــدْ سَـــبَقَتْنَا أُمُّ عَمْـــرٍو بأَمْرِهـــا ... وكـــانتْ بأعنـــاقِ المَطـــيِّ أَظَلَّـــتِ

بِعَيْنَـــيَّ مـــا أَمْسَـــتْ فبـــاتَتْ فـــأَصْبَحَتْ ... فقَضَّـــتْ أُمُـــوراً فاسْـــتَقَلَّتْ فَوَلَّـــتِ

لقَـــدْ أَعْجَبَتْـــني لا سَـــقُوطاً قِناعُهـــا ... إِذا مـــا مَشَـــتْ ولا بـــذاتِ تَلَفُّـــتِ

تَحُـــلُّ بِمَنْجـــاةٍ مِـــنَ اللَّـــوْمِ بَيْتَهـــا ... إِذا مـــا بُيـــوتٌ بالمَذَمَّـــةِ حُلَّـــتِ

كَـــأَنَّ لهـــا في الأَرضِ نِسْـــياً تَقُصُّـــهُ ... علـــى أُمِّهـــا وإِنْ تُكَلِّمْـــكَ تَبْلَـــتِ

فَدَقَّـــتْ وجَلَّـــتْ واسْـــبَكَرَّتْ وأُكْمِلَـــتْ ... فَلَـــوْ جُـــنَّ إِنســـانٌ مِـــنَ الحُسْـــنِ جُنَّـــتِ[1]

ثم يصف قوته وشدة بأسه قائلاً:

وباضِعَـــةٍ حُمْـــرِ القِسِـــيِّ بَعَثْتُهـــا ... وَمَـــنْ يَغْـــزُ يَغْنَـــمْ مَـــرَّةً ويُشَـــمَّتِ

خَرَجْنا مِنَ الـوادي الـذي بَيْـنَ مِشْعَلٍ ... وبَيْـنَ الجَبـا هَيْهَـاتَ أَنْشـأْتُ سُـرْبَتي

أُمَشِّـي علـى الأَرْضِ الـتي لَـنْ تَضُرَّنـي ... لأَنْكِـيَ قَوْمـاً أَوْ أُصـادِفَ حُمَّـتي

---

[1] المفضل الضبي: المفضليات: ١٠٨/٢٠، ١٠٩ والأصفهاني: الأغاني: ١٨٦/٢١، ١٨٧. مع اختلاف في ترتيبها وبعض ألفاظها. أجمعت: عزمت أمرها. استقلت: ارتحلت. أظلت: إظلال أعناق المطي كناية عن الرحيل. المنجاة: من النجوة وهي الارتفاع. النسي: الشيء الذي يسقط من الإنسان وهو لا يدري أين هو؛ يصفها بالحياء وأنها لا تلتفت يميناً ولا شمالاً ولا تتبرج. اسبكرت: طالت وامتدت، أو اعتدلت واستقامت.

أَمَشِّي على أَيْنِ الغَزاةِ وبُعْدِها ... يُقَرِّبُني منها رَواحي وغُدْوَتي[١]

ثم ينتقل إلى وصف صديقه تأبط شراً قائلاً:

وأُمُّ عِيالٍ قَدْ شَهِدْتُ تَقُوتُهُمْ ... إذا أَطْعَمَتْهُمْ أَوْ تَحَتْ وأَقَلَّتِ
تَخافُ عَلَيْنا العَيْلَ إنْ هي أَكْثَرَتْ ... ونحنُ جِياعٌ أَيَّ آلٍ تَأَلَّتِ
وَمَا إنْ بها ضِنٌّ بما في وِعَائِها ... ولكنَّها مِنْ خِيفَةِ الجوعِ أَبْقَتِ
لها وَفْضَةٌ فيها ثَلاثُونَ سَيْحَفاً ... إذا آنَسَتْ أُولى العَدِيِّ اقْشَعَرَّتِ
وتأْتي العَدِيُّ بارزاً نِصْفُ ساقِها ... تَجُولُ كَعَيْرِ الْعَانَةِ المُتَلَفِّتِ[٢]

ثم ينتقل بعد ذلك إلى وصف السيف، فيقول:

إذا فَزِعُوا طارتْ بأَبيضَ صارِمٍ ... ورَامَتْ بما في جَفْرِها ثُمَّ سَلَّتِ
حُسَامٍ كَلَونِ المِلْحِ صافٍ حَديدُهُ ... جُرازٍ كأَقْطاعِ الْغَديرِ المُنَعَّتِ
تَرَاها كأَذْنابِ الْحَسيلِ صوادِراً ... وقَدْ نَهِلَتْ مِنَ الدِّماءِ وَعَلَّتِ[٣]

---

[١] المفضل الضبي: المفضليات: ١١٠، ١١١. الباضعة: القاطعة، يعني قوماً غزاة. حمر القسي: غزوا مرة بعد مرة فاحمرت قسيهم للشمس والمطر. بعثتها: بعثت هؤلاء وغزوت بهم. يشمت: من قولهم: شمته الله" أي خيّبه، و "الشمات" بكسر الشين وتخفيف الميم: الخيبة. مشعل والجبا: موضعان. السربة: الجماعة. أنشأت سربتي: أظهرتهم من مكان بعيد. لن تضرني: لا أخاف بها أحداً. لأنكي: لأصيب منه. الحمة: المنية. أمشي: إشارة إلى غزوه على رجليه وأنه لا يركب. على أين الغزاة: على ما يصيبني من تعب الغزوة.

[٢] المصدر نفسه: ١١٠، ١١١. أراد بأم عيال تأبط شراً. والأزد تسمي رأس القوم ووليّ أمرهم "أماً". أوتحت: أعطت قليلاً، يصفها بالتدبير، العيل والعيلة: الفقر. أي آل تألت: أي سياسة ساست؟ الوفضة: جعبة السهام. السيحف: السهم العريض النصل. آنست: أحسّت. العدي: جماعة القوم يعدون راجلين للقتال ونحوه، لا واحد له من لفظه. اقشعرت: تهيأت للقتال. بارزاً نصف ساقها: يريد أنه مشمر جاد. العير: حمار الوحش. العانة: القطيع من حمر الوحش، وإنما شبهه بعير العانة لأن الحمار أغير ما يكون، فهو يتلفت إلى الحمير يطردها عن آتنه.

[٣] المصدر نفسه: ١١١. الأبيض: السيف. الصارم: القاطع. الجفر: كنانة السهام. الجراز: السيف القاطع. أقطاع الغدير: أجزاء الماء يضربها الهواء فتقطع ويبدو بريقها. المنعت: مبالغة من النعت، وهو الوصف بالحسن. الحسيل: جمع حسيلة، وهي أولاد البقر. وقد نهلت وعلت من الدماء: يريد بذلك السيوف؛ أي شربت منها مرة بعد أخرى.

ثم أشار بعد ذلك إلى ثأره من قاتل أبيه، يقول:

قَتَلْنـــا قَتيـــلاً مُهْدِيـــاً بِمُلَبَّـــدٍ ... جِمارَ مِنًى وَسْطَ الحَجيـجِ المُصَوَّتِ

جَزَيْنـا سَـلامانَ بـنَ مُفْـرِجَ قَرْضَهـا ... بِمـا قَدَّمَـتْ أَيديهِـمُ وأَزَلَّـتِ

شَـفَيْنا بِعَبْـدِ اللّـهِ بَعْـضَ غَليلِنـا ... وَعَـوْفٍ لَـدَى المَعْـدَى أَوانَ اسْتَهَلَّتِ[1]

ثم يفخر باستهانته بالحياة، ومجازاته الخير والشر بمثلهما قائلاً:

إِذا مـا أَتَتْـني مِيتَـتي لَـمْ أُبالِهـا ... ولَـمْ تُـذْرِ خـالاتي الدُّمُـوعَ وَعَمَّـتي

وإِنَّـي لَحُلْـوٌ إِنْ أُريـدَتْ حَلاوتـي ... ومُـرٌّ إِذا نَفْـسُ العَـزُوفِ اسْـتَمَرَّتِ[2]

وخرج تأبط شراً مرة في عدة من فهم، فيهم عامر بن الأخنس ، والشنفرى والمسيب، وعمرو بن براق، ومرة بن خليف، يريدون غزو "العوص"؛ وهم حي من بجيلة، فقتلوا منهم نفراً، وساقوا إبلهم، فاعترضت لهم "خثعم ". فحمل عليهم صعاليك فهم مرتين فقتلوا منهم، حتى انهزمت خثعم، وفي ذلك يقول الشنفرى:

دَعِيـني وقُـولي بَعْـدُ مـا شِـئْتِ إِنَّـني ... سَـيُغْدَى بِنَعْشِـي مَـرَّةً فَـأُغَيَّبُ

خَرَجْنـا فَلَـمْ نَعْهَـدْ وَقَلَّـتْ وَصَاتُنـا ... ثمانيـةٌ مـا بَعْدَهـا مُتَعَتَّـبُ

سَـراحِينُ فِتْيـانٍ كـأَنَّ وُجوهَهُـمْ ... مَصـابيحُ أَوْ لَـوْنٌ مِـنَ المـاءِ مُذْهَـبُ

نَمُـرُّ بِرَهْـوِ الْمَـاءِ صَفْحـاً وقَـدْ طَـوَتْ ... ثَمَانِلُنـا والـزَّادُ ظَـنٌّ مُغَيَّـبُ

---

[1] المفضل الضبي: المفضليات: ١١١، ١١٢ والأصفهاني: الأغاني: ٢١/ ١٨٩. وفي الأغاني: "قتلنا حزاماً". مهدياً: محرماً ساق الهدي. بملبد: بمحرم لبد رأسه، أي جعل في رأسه شيئاً من صمغ ليتلبد شعره. جمار منى: أي عند الجمار. المصوت: الملبي. سلامان بن مفرج: هم الذين أسروه فداء، ومنهم حزام بن جابر قاتل أبيه. أزلت: قدمت. الغليل: حرارة العطش، وهو هنا العطش إلى القتل. عبد الله وعوف: من بني سلامان بن مفرج. المعدى: موضع العدو، والمراد ساحة القتال. أوان استهلت: في الوقت الذي ارتفعت فيه الأصوات للحرب، أو برزت للقتال.

[2] المصدر نفسه: ١١٢. العزوف: المنصرف عن الشيء. استمرت: استفعلت من المرارة. يقول: أنا سهل لمن ساهلني، مُرٌّ على من عاداني.

ثلاثاً على الأقْدامِ حتّى سَمَا بِنَا ... على العَوْصِ شَعْشاعٌ مِنَ القومِ مُحْرِبُ
فثاروا إِلَيْنَا في السَّوادِ فَهَجْهَجُوا ... وصَوَّتَ فينا بالصَّباحِ المُثَوِّبُ
فَشَنَّ عليهِمْ هِزَّةَ السَّيْفِ "ثابتٌ" ... وصَمَّمَ فيهِمْ بالحُسامِ "المُسَيَّبُ"
وظَلْتُ بِفِتْيانٍ معي أَتَّقِيهِمُ ... بِهِنَّ قليلاً ساعةً ثُمَّ جَنَّبُوا
وَقَدْ خَرَّ مِنْهُمْ راجِلانِ وفارِسٌ ... كَمِيٌّ صَرَعْناهُ وقَرْمٌ مُسَلَّبُ
نَسُوقُ بِقَسْرٍ كُلَّ رِيعٍ وَتَلْعَةٍ ... ثمانِيَةً والقومُ رَجْلٌ ومِقْنَبُ
فلمَّا رآنا قَوْمُنا قيلَ أَفْلَحُوا ... فَقُلْنا: اسْأَلُوا عَنْ قائِلٍ لا يُكَذَّبُ[1]

ويصف الشنفرى هضبة مرتفعة محدودبة تسلقها قائلاً:

وَمَرْقَبَةٍ عَنْقَاءَ يَقْصُرُ دُونَها ... أَخو الضَّرْوَةِ الرِّجْلُ الخفيُّ المُخَفَّفُ
نَمَيْتُ إلى أَعلى ذُراها وَقَدْ دَنَا ... مِنَ اللَّيْلِ مُلْتَفُّ الحديقةِ أَسْدَفُ[2]

---

[1] الأصفهاني: الأغاني: ٢١/١٤٢، ١٤٣ وديوان تأبط شراً وأخباره، ت: علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٩٨٤م: ٢٨٧-٢٨٩. لم نعهد: أي لم نعهد إلى أحد بمن يخلفنا من قومنا. قلّت وصاتنا: قلّت وصايانا. ثمانية: أي كنا قلّة. متعتّب: لا يعتب عاتب علينا إذا ظُفِرَ بنا، وكل هذا كناية عن الاستماتة. سراحين: جمع سرحان، وهو الذئب. مذهب: في لون الذهب. رهواً: يسير سيراً هيّناً. ثمائلنا: جمع ثميلة، وهي الحب أو السويق أو التمر. والبيت الرابع فيه كناية عن المغامرة. الشعشاع: الطويل. المحرب: المدرب على الحرب. وفي البيت الخامس وصف لقائد الركب الذي كان فيه. الهجهجة: صياح الجيش عند القتال. ثوّب: رجّع. أي ثاروا عليهم في الليل، وأعادوا الكرة عليهم في الصباح. ثابت: تأبط شراً. صمّم بالسيف: مضى إلى العظم وقطعه. الحسام: السيف. المسيب: مراده (المسيب بن علس). بهن: أي بالسيوف المفهومة من سياق البيت السابق. جنّبوا: انكشفوا ومالوا، يريد الأعداء. خرّ: سقط، مات. الراجل: الذي لم يكن له ظهر يركبه، وهو نقيض (الفارس). الكمي: الشجاع. صرعناه: قتلناه. القرم: البطل الشديد. مسلب: عليه سلاح كثير أي مدجّج بالسلاح. القسر: القهر. القوم: يريد بهم الأعداء. رَجْلٌ: جمع راجل. وفي ديوان تأبط شراً ص: ٢٨٩ روي (رِجِلٌ)، والرِّجِلُ: الجيش الكثير، شُبِّه برِجِلِ الجراد أي سربه. المقنب: الخيل يبلغ عددها أربعين. أفلحوا: نجحوا، ظفروا بما يريدون.

[2] المصدر نفسه: ٢١/١٨٩. وديوانه" ٥٣. المرقبة: مرتفع من الهضاب ونحوها، أو مكان المراقبة. عنقاء: طويلة العنق. يقصر دونها: يعجز عن بلوغها. الضروة: من ضرا يضرو بمعنى استخفى، وأخو الضروة: الصيّاد معه كلاب ضرّاها للصيد. الرّجل: السّاعي على رجليه. الخفي: الذي يريد الاختفاء عن العيون. وفي ديوانه ص: ٥٣ روي (الحفيّ)، والحفيّ: غير المنتعلة. نميت: صعدت، تسلقت. الحديقة: الشجر الكثيف. الأسدف: المظلم.

ثم يصف جهازه بأنه خفيف الحمل عند السفر لا يلبس إلا نعلين باليتين، مصطحباً معه سيفاً حاداً وقوساً صُلْبةً، يقول:

قَليلٌ جَهازي غَيْرُ نَعْلَيْنِ أُسْحِقَتْ ... صُدُورُهُما مَخْصُورَةٌ لا تُخَصَّفُ

وأبيضُ مِنْ مَاءِ الحديدِ مُهَنَّدٌ ... مِجَدٌّ لأطرافِ السَّواعدِ مِقْطَفُ

وَصَفْرَاءُ مِنْ نَبْعٍ أَبِيٍّ ظَهيرةٌ ... تُرِنُّ كَإِرْنَانِ الشَّجِيِّ وتَهْتِفُ[1]

ثم نراه يصف مورد ماء مخوف قد ورده ومعه سيفه وقوسه، يقول:

وإِنَّكِ لَوْ تَدْرِينَ أَنْ رُبَّ مَشْرَبٍ ... مَخُوفٍ كَداءِ الْبَطْنِ أَوْ هُوَ أَخْوَفُ

وَرَدْتُ بِمَأْثُورٍ وَنَبْلٍ وضَالَةٍ ... تَخَيَّرْتُها مِمَّا أُرِيشُ وأَرْصُفُ[2]

ثم يصف وادياً ضيقاً تسكنه الجن والأسود وقد صعد روابيه على حين لا يجرؤ إنسان على صعوده، يقول:

ووادٍ بَعيدِ العُمْقِ ضَنْكٍ جِماعُهُ ... بَوَاطِنُهُ لِلْجِنِّ والأُسْدِ مَأْلَفُ

تَعَسَّفْتُ مِنْهُ بَعْدَما سَقَطَ النَّدى ... غَمالِيلَ يَخْشَى غِيلَها المُتَعَسِّفُ[3]

---

[1] الأصفهاني: الأغاني: ٢١/١٩٠ وديوان الشنفرى: ٥٣. أسحقت: بليت. مخصورة: دقيقة الوسط. لا تخصف: لا تقبل الخرز، أو لا تخرز بالمخصف. وأبيض من ماء الحديد: يعني سيفه. مجذ: قطاع. مقطف: قطاع. صفراء: قوس صفراء. النبع: شجر صلب تتخذ منه القسي. ظهيرة: معينة. ترن: تصوت عند إطلاقها صوتاً كأنين العاشق المهجور. الشجي: الحزين.

[2] المصدر نفسه: ٢١/١٩١. المأثور: السيف المؤثر. الضالة: السلاح عامة، أو السهام خاصة. تخيرتها: اخترتها. راش السهم: وضع عليه ريشاً. أرصف السهم: أشده بالرّصافة؛ وهو العقب الذي يلوى فوق مدخل النصل في السهم.

[3] المصدر نفسه: ٢١/١٩١. ضنك: ضيق. جماع الشيء: مجتمع أصله. تعسف: مشى على غير هدى. الغماليل: الروابي. الغيل: الأشجار الكثيفة.

ويصف الشنفرى معركة دارت بينه وبين رجل شجاع باسل فارع الطول، كما يصف مهارته في القتال ورمي السهام، يقول:

وَمُسْتَبْسِلٍ ضافي القميصِ ضَغَتُّهُ ... بِأَزْرَقَ لا نِكْسٍ ولا مُتَعَوِّجِ

عليهِ نُسارِيٌّ على خُوطِ نَبْعَةٍ ... وفُوقٌ كَعُرْقُوبِ الْقَطاةِ مُحَدْرَجِ

وقارَبْتُ مِنْ كَفَّيَّ ثُمَّ فَرَجْتُها ... بِنَزْعٍ إذا ما اسْتُكْرِهَ النَّزْعُ مُخْلِجِ

فصاحَتْ بِكَفِّي صَيْحَةً ثُمَّ رَجَّعَتْ ... أَنينَ الأميمِ ذي الجِراحِ الْمُشَجَّجِ[1]

لامية العرب:

تعد لامية العرب من عيون الشعر العربي، وقد طغت شهرتها على كثير من القصائد المعروفة. وكان مرد هذا إلى الشروح الكثيرة التي شرحت بها منذ القرن الثالث للهجرة ، إلى وقتنا الحاضر. ويدل على أهمية هذه القصيدة، كثرة الذين انبروا لشرحها من علماء العربية ، من أمثال المبرد، وثعلب، وابن دريد، والتبريزي... يضاف إلى هذا، أن تناقلها أصحاب المختارات الشعرية منذ القرن الثالث للهجرة – أيضاً– مثل: ابن طيفور، وأبي علي القالي، والخالديين ، وابن الشجري[2] . ويقول عنها أبو علي القالي: "من المقدَّمات في الحسن والفصاحة والطول" [3] .

إن تسميتها "لامية العرب" لأن قافيتها لام... ولكننا لا نعرف من أطلق عليها هذا الإسم ، ومتى أطلق ، ولماذا اختصت هذه اللامية دون غيرها ، بهذا الاسم ، مع وجود عدد كبير من القصائد لشعراء الجاهلية والإسلام المعروفين من ذوات قافية اللام. فقد

---

[1] الأصفهاني: الأغاني: ٢١/١٩٢. الواو: وار رُبٌّ. المستبسل: الذي يقبل على الحرب مستقتلاً. ضافي القميص: كناية عن طوله. ضغت الشيء: لاكه بالأنياب والنواجذ. الأزرق: السهم. النكس: السهم الذي ينكسر مِشَقُّ رأسه، فَيُجعلُ أعلاه أسفله. النساري: ريش نسر الخوط؛ والخوط: الغصن الناعم لِسَنَةٍ، أو كل قضيب جمع خيطان. النبعة: شجرة صلبة تتخذ منها السهام والقسيّ. الفوق: موقع الوتر من رأس السهم. العرقوب من الدابة: هو في رجلها كالركبة في يدها. القطاة: طائر في حجم الحمام يعيش في الصحراء. المحدرج: الأملس. مخلج: من أخلج الشيء بمعنى انتزعه. الأميم: المضروب على أم رأسه. المشجّج: مَنْ شُجَّ رأسُهُ.

[2] الزمخشري : أعجب العجب في شرح لامية العرب،: ٥.

[3] الزمخشري : أعجب العجب في شرح لامية العرب ، دار الوراقة، ط١، ١٩٦٣م: ٨.

ترك النابغة أربع لاميات، وترك عنترة لاميتين، وخلف طرفة ثلاث لاميات، ونظم زهير ابن أبي سلمى خمسة، وأنشد علقمة الفحل واحدة، وامرؤ القيس ترك لنا خمس عشرة لامية بينها معلقته، وفي صدر الإسلام، ترك كعب بن زهير لاميته المشهورة "**بانت سعاد فقلبي اليوم متبول**". ولكن كل هذه اللاميات، لم تبلغ في شهرتها مبلغ ما وصلت إليه "**لامية الشنفرى**" التي فرضت على الأدباء والشعراء، هذا الاسم بكل فخر، فصارت "**لامية العرب**". وهناك لامية أخرى هي "لامية العجم" للطغرائي، والمدة بين اللاميتين طويلة جداً، فإذا كانت لامية العرب، قد قيلت قبيل فجر الإسلام، فإن لامية العجم، نظمت في غضون مائة وعشرين بعد الألف للميلاد، وعليه فإن المدة بين نظم الاثنتين تقرب من خمسمائة عام على وجه التقريب، وهناك فرق بعيد بين اللاميتين في سمو المعاني والمقاصد، فإن لامية العرب تتصف بصدقها، وانبعاثها عن طبيعة صافية، فهي غنية بالمعاني والصور السامية، الطبيعية، التي تمثل الفضائل ... أما لامية العجم، فهي أجزاء متناقضة، فيها ادعاء لا تلمس فيه طبعاً صافياً، ولا تجد صورة مكتملة، بل كل بيت مستقل عن الآخر، في معاني مطروحة في الطريق ، منظومة في كلمات متفقة الوزن[1].

لهذه الأسباب ولغيرها حق للامية العرب لشاعر الأزد الشنفرى، أن تستأثر باهتمام الباحثين والدارسين والمستشرقين.

وتعتبر لامية العرب من أفضل نماذج الشعر الجاهلي عامة، وشعر الصعاليك خاصة، وذلك لما حوته من مميزات أساسية، في إبراز حياة الصعلوك وخصاله في الفروسية والبطولة، واليأس من الجماعة الإنسانية، وقد حرص فيها الشاعر على رسم شخصيته ذاتياً وخارجياً، معجباً بقوته النفسية والجسدية، مفصلاً لفلسفته في مقارعة الخطوب، ومواجهة تحديات الطبيعة، وسرعة شنه للغزوات في الليل والنهار. والقصيدة حافلة بالصور الحسية المباشرة، غنية بالإيقاع الموسيقي الذي يكاد يعيد لنا صفحة من الحياة النادرة لأولئك الفرسان المشردين.

وبالرغم من أن هذه القصيدة، قد حفلت بموضوعات كثيرة، إلا أنها حافظت على وحدتها في المحور الذي تدور حوله، وهو محور شخصية الشاعر التي عرضها صاحبها، من مختلف جوانبها النفسية والحركية بإطار فني رفيع. بدأ الشاعر قصيدته بتصوير قرار

---

[1] لامية العرب، نشيد الصحراء لشاعر الأزد "الشنفرى" : ٢٨-٢٩.

هجرته عن أهله وبني قومه، والتجأ إلى الصحاري والقفار، بعيداً عن أذى قومه، واتخذ من وحوش الصحراء أصدقاء أوفياء، مفضلاً عشرتها على عشرة قومه، حتى أنه يقارن بين شجاعته وشجاعة تلك الوحوش، فيرى أنه أشجع. وإذ أصبح الشاعر منفرداً بنفسه، فإنه لم يجد له إلا ثلاثة أصحاب هم: قلبه الأبي الشجاع، وسيفه الأبيض، وقوسه الصفراء.

وقد راح ينطلق عدواً في الصحراء، **صابراً** على الجوع والعطش، مقارناً نفسه بالذئب المتضور جوعاً، وهو في ذلك لا يتفجع على نفسه، بقدر ما يفخر بها، ونجد الشاعر قد نافس الذئب في جوعه، والقطا في سرعة وروده للماء. وكذلك نلحظ في لاميته مظاهر الفقر من جوع وهزال، وأقدام غير منتعلة ، وهو مع ذلك كله ، وبالرغم من شعوره بحريته المطلقة مع الطبيعة ، يعترف بهمومه التي يعانيها من كونه طريداً مشرداً، وهو صابر على ذلك، غير طامع بغنى، ولا متألم من فقر. وفي نهاية اللامية يعرج الشاعر على وصف غزوة من غزواته ، خلال ليلة مظلمة ممطرة ، ثم خلال نهار شديد الحر، ولا ينسى أن يصف سرعة عدوه في البراري ، ومؤالفته لوعول الجبال، وسبقه لها، وعند المساء تتجمع حوله هذه الوعول مستأنسة به كأنه واحد منها [١] .

---

[١] مطاع صفدي وإيليّا حاوي: موسوعة الشعر العربي – الشعر الجاهلي – : ١/٦٣-٦٤.

نص اللامية عند الزمخشري

مقابلاً على نصها في كتب القصائد المفردات[١]، والأمالي، وحماسة الخالديين، ومختارات ابن الشجري، وشرح اللامية للعكبري [٢]:

ونستطيع أن نقسم اللامية إلى مواضيع عدة منها:

١- معاتبة الشنفرى قومه، وميله عنهم، وإزماعه الرحيل:

أَقِيمُوا بني أُمِّي صُدورَ مَطِيِّكُمْ ... فَإِنِّي إِلى قَوْمٍ سِواكُمْ لأَمْيَلُ[٣]

فَقَدْ حُمَّتِ الحاجاتُ واللَّيْلُ مُقْمِرٌ ... وَشُدَّتْ لِطِيَّاتٍ مَطايا وأَرْحُلُ[٤]

وفي الأَرضِ مَنْأَى للكريمِ عَنِ الأَذَى ... وفيها لِمَنْ خافَ الْقِلى مُتَعَزَّلُ[٥]

لَعَمْرُكَ ما في الأَرضِ ضِيقٌ على امْرِيءٍ ... سَرَى رَاغِباً أَوْ رَاهِباً وهو يَعْقِلُ[٦]

---

[١] ابن طيفور: المنثور والمنظوم، القصائد المفردات التي لا مثل لها، لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور، ت: محسن غياض، بيروت ، ١٩٧٧م . نقلاً عن أعجب العجب في شرح لامية العرب للزمخشري، ت: إبراهيم حور: ٦. وابن طيفور من رجال القرن الثالث للهجرة (٢٠٤-٢٨٠هـ) ، وممن شهد له بالعلم، والدقة، والرواية الموثقة . وقد وردت فيه القصيدة كاملة منسوبة للشنفرى. إن ابن طيفور كان من الرواة الثقات. فهو عند ابن النديم ، وياقوت الحموي "أحد البلغاء والشعراء والرواة؛ من أهل الفهم المذكورين بالعلم"، انظر المنثور والمنظوم: ٩، وترجمته ومكانته وآثاره: في مقدمة المنثور والمنظوم : ٥-٣١. إن ابن طيفور ذكر اللامية في كتابه ، واختار قصيدة لخلف الأحمر. انظر كذلك المنثور والمنظوم ، اللامية (٦٩-٧٩). وقصيدة خلف الأحمر (١٠٩-١١٣). أشار ابن طيفور إلى أن لامية العرب للشنفرى " رواها أبو المنهال" وهو "عيينة بن المنهال أحد الرواة ، له من الكتب، كتاب الشراء ، وكتاب الأمثال السائرة" . انظر المنثور والمنظوم : ٦٩. والفهرست لابن النديم: ٧٢. وهذا مما يزيد في توثيق اللامية ونسبتها للشنفرى ، انظر: أعجب العجب في شرح لامية العرب للزمخشري ، ت: محمد إبراهيم حور: ٦،٧،٨.

[٢] أعجب العجب في شرح لامية العرب للزمخشري: ٣٢-١٤٠، ١٤١-١٤٩.

[٣] القالي وابن الشجري: إلى أهل. أقام صدر مطيته: إذا سار وإذا توجه. مطيكم: جمع مطية وهي الناقة. أميل: اسم تفضيل من مال، ومراده إني أميل إلى قوم آخرين مني إليكم.

[٤] القالي: لطياتي. حمت: قدّرت، أي تهيأت وحضرت. مقمر: أي مضيء. شدّت: قويت، وأوثقت. الطيات: جمع طية وهي الحاجة. أرحل: جمع رحل، وهو رحل البعير أصغر من القتب.

[٥] ابن الشجري: متحول. المنأى: الموضع البعيد. القلى: البغض. المتعزل: الموضع الذي يعتزل فيه.

[٦] العكبري: ما بالأرض. العَمْرُ: الحياة والبقاء. وفيه ثلاث لغات: ضم العين وسكون الميم، وفتح العين وسكون الميم، وضمهما معاً. وهو قسم أي: وحياتك. رغب في الشيء: إذا أراده وأحبه. الرهبة: الخوف.

٢- تفضيله وحوش البر - من ذئاب ونمور وضباع - على أهله، ثم تفضيله نفسه على الوحوش:

ولي دُونَكُمْ أَهْلُونَ سِيدٌ عَمَلَّسٌ ... وأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفاءُ جَيْأَلُ (١)

هُمُ الأَهْلُ لا مُسْتَوْدَعُ السِّرِّ ذائِعٌ ... لَدَيْهِمْ ولا الجاني بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ (٢)

وكُلُّ أَبِيٍّ باسِلٌ غَيْرَ أَنَّني ... إِذا عَرَضَتْ أُولى الطَّرائِدِ أَبْسَلُ (٣)

وإِنْ مُدَّتِ الأَيدي إِلى الزَّادِ لَمْ أَكُنْ ... بِأَعْجَلِهِمْ إِذْ أَجْشَعُ القَوْمِ أَعْجَلُ (٤)

وما ذاكَ إِلا بَسْطَةٌ عَنْ تَفَضُّلٍ ... عَلَيْهِمْ وكانَ الأَفْضَلَ المُتَفَضِّلُ (٥)

وإِنِّي كَفَاني فَقْدَ مَنْ لَيْسَ جازِياً ... بِحُسْنَى ولا في قُرْبِهِ مُتَعَلَّلُ (٦)

٣- يستغني عن الجميع بقلبه وسيفه وقوسه، ويصف قوسه:

ثلاثَةُ أَصْحابٍ فُؤادٌ مُشَيَّعٌ ... وأَبْيَضُ إِصْلِيتٌ وَصَفْراءُ عَيْطَلُ (٧)

هَتُوفٌ مِنَ المُلْسِ المُتُونِ يَزينُها ... رَصائِعُ قَدْ نيطَتْ إِلَيْها ومِحْمَلُ (٨)

---

(١) دونكم: غيركم. السيّد: الذئب. العملس: الذئب القوي على السير السريع. الأرقط: المراد به النمر. الزهلول: الأملس. العرفاء: الضبع الطويلة العرف. جيأل: اسم للضبع.

(٢) القالي وابن الشجري: هم الرهط. طيفور والقالي: السر الشائع. ذائع: منتشر. جر جريرة: جنى جناية طُلِبَ بها. المخذول: الذي لا يعان ولا ينصر.

(٣) ابن الشجري: إحدى. الأبيّ: الممتنع؛ وهو الذي يمتنع من الضيم فلا يقره. الباسل: الشجاع البطل. الطرائد: الفرسان التي تطرد.

(٤) الجشع: أشد الحرص.

(٥) البسطة: السعة. التفضل: الإحسان. الأفضل: الذي يفضل غيره.

(٦) التعلل: التلهي بالشيء. الجازي بالحسنى: الذي يعمل الخير.

(٧) المشيّع: الشجاع المقدام. الإصليت: السيف الصقيل المجرد من غمده. الصفراء: اسم للقوس، أو قوس من نبع. العيطل: الطويلة العنق من النوق والخيل.

(٨) القالي: الملس الحسان ... نيطت عليها. وابن الشجري: المتان. الهتف: الصوت. الملس: الملاسة ضد الخشونة. المتون: الصُّلْبة. الرصائع: ما يرصع به من جوهر وغيره، والمراد بها السيور التي يزين بها القوس. نيطت: علقت. المحمل: علاّقة السيف؛ وهو السير الذي يتقلد به.

إِذا زَلَّ عَنْهـا السَّـهْمُ حَنَّـتْ كأَنَّهـا مُـرَزَّأَةٌ عَجْلَـى تَـرِنُّ وتُعْـوِلُ[١]

٤- صفاته وفخره بنفسه وبأعماله وكثرة سيره:

ولَسْـتُ بِمِهْيـافٍ يُعَشِّـي سَـوَامَهُ مُجَدَّعَـةً سُـقْبانُها وَهِـيَ بُهَّـلُ[٢]

ولا جُبَّـإٍ أَكْهَـى مُـرِبٍّ بِعِرْسِـهِ يُطالِعُهـا في شَـأْنِهِ كَيْـفَ يَفْعَـلُ[٣]

ولا خَـرِقٍ هَيْـقٍ كـأَنَّ فُـؤَادَهُ يَظَـلُّ بـهِ المُكَّـاءُ يَعْلـو ويَسْـفُلُ[٤]

ولا خَـالِفٍ دَارِيَّـةٍ مُتَغَـزِّلٍ يَـرُوحُ ويَغْـدو داهِنـاً يَتَكَحَّـلُ[٥]

ولَسْـتُ بِعَـلٍّ شَـرُّهُ دُونَ خَـيْرِهِ أَلَـفٌّ إِذا مـا رُعْتَـهُ اهْتـاجَ أَعْـزَلُ[٦]

ولَسْـتُ بِمِحْيـارِ الظَّـلامِ إِذا انْتَحَـتْ هُدَى الهَوْجلِ العِسِّيفِ يَهْمَـاءُ هَوْجَلُ[٧]

---

[١] القالي وابن الشجري: ثكلى. زل السهم: خرج منها. حنّت: صوّتت. المرزأة: التي تعتادها الرزايا. عجلى: مسرعة. ترن: تصوّت. تعول: ترفع صوتها بالبكاء.

[٢] المهياف: الذي يبعد بإبله في طلب المرعى على غير علم فيعطشها ويمشي بها. السوام والسائم: المال الراعي. المجدعة: السيئة الغذاء. السقب: الذكر من ولد الناقة. بهل: جمع باهلة وباهل؛ وهي الناقة التي لا صرار عليها.

[٣] ابن طيفور: تقدم البيت على الذي يليه. الجبأ: الجبان. الأكهى: الكدر الأخلاق، أو البليد. المرب: المقيم على امرأته لا يفارقها.

[٤] القالي وابن الشجري: سقط البيت. الخرق: الدهش من الخوف أو الحياء؛ والمراد هنا الخوف. الهيق: الظليم؛ وهو ولد النعامة. المكاء: طائر.

[٥] الخالف: الذي لا خير فيه. الداري: المقيم في داره لا يفارقها، أو العطار الذي يكتسب من ربح عطره، فيصير بمنزلة المتعطر. المتغزل: الذي يحادث النساء ويراودهن. الداهن: الذي يدهن نفسه بالدهن. الرواح: نقيض الصباح، وهو من زوال الشمس إلى الليل. الغدو: الوقت من الصباح إلى الظهر. المتكحل: الذي يتعاطى كحل عينيه.

[٦] العل: القراد. والعل من الرجال : المسنّ الصغير الجسم. الألفّ: العاجز الذي لا غناء عنده في حرب ولا ضيف. الروع: الفزع. اهتاج: أسرع من الخوف إسراعاً بحمق. الأعزل: الذي لا سلاح معه.

[٧] القالي وابن الشجري: نحت. المحيار: المتحير. انتحت: قصدت واعترضت. الهوجل: الرجل الطويل الذي فيه تسرع وحمق. العسيف: الآخذ على غير الطريق. يهماء: الفلاة التي لا يهتدى فيها للطريق. الهوجل: آخر الفلاة التي لا أعلام بها.

إذا الأَمْعَـزُ الصَّـوَّانُ لاقـى مَناسِـمي تَطـايرَ مِنْـهُ قـادِحٌ ومُفَلَّـلُ [١]

٥- صبره على الجوع مشبهاً نفسه بالذئب الجائع:

أُديـمُ مِطـالَ الجـوعِ حَتَّـى أُمِيتَـهُ وأَضْرِبُ عَنْـهُ الذِّكْـرَ صَفْحـاً فَـأَذْهَلُ [٢]
وَأَسْـتَفُّ تُـرْبَ الأَرضِ كَيْـلا يَـرَى لَـهُ علـيَّ مِـنَ الطَّـوْلِ امْـرُؤٌ مُتَطَـوِّلُ [٣]
ولَـوْلا اجْتِنـابُ الـذَّامِ لَـمْ يُلْـفَ مَشْـرَبٌ يُعـاشُ بـهِ إلاَّ لَـدَيَّ ومَـأْكَلُ [٤]
ولكـنَّ نَفْسـاً مُـرَّةً لا تُقِيـمُ بـي علـى الـذَّامِ إلاَّ رَيْثَمـا أَتَحَـوَّلُ [٥]
وأَطْوِي على الخُمْصِ الحوايا كَمَا انْطَوَتْ خُيُوطَـةُ مـارِيٍّ تُغـارُ وتُفْتَـلُ [٦]

٦- وصف الذئاب الجائعة:

وَأَغْـدو علـى القُـوتِ الزَّهيـدِ كمـا غَـدَا أَزَلُّ تَهَـادَاهُ التَّنـائِفُ أَطْحَـلُ [٧]

---

[١] الأمعز: المكان الصلْبُ، الكثير الحصى. الصوان: الحجارة الملس. المنسم: خف البعير وقد استعاره الشاعر لنفسه. القادح: الذي تخرج معه النار. المفلل: المكسّرُ.

[٢] ابن الشجري: وأصرف. المطال: المماطلة. أضرب عنه صفحاً: أعرض عنـه. والصفح: الإعراض. ذهب عن الشيء: نسيه وغفل عنه.

[٣] أستف: ألتهم التراب. الطول: المنُّ. كي: حرف معناه الغرض، وهو ناصب بنفسه. المتطول: المتفضل.

[٤] القالي وابن الشجري: لم يبق. الذام والذأم: العيب، يهمز ولا يهمز. يلفى: يوجد. لديّ: عندي.

[٥] ابن طيفور: سقط البيت. والقالي وابن الشجري: نفساً حرة. مرة: أبية. ريثما: قَدْرما.

[٦] الخُمص بضم الخاء: ضمور البطن. والجمع خِماص. والخَمص بفتحها: الجوع. الحوايا: جمع حوية؛ وهي ما تحوّى في البطن إذا اجتمع واستدار. الخيوطة: الخيوط، والتاء تدل على كثرة الجمع. ماريّ: اسم الفاتل. تغار: يُحكم فتلها.

[٧] أغدو: أذهب صباحاً. على القوت: مع القوت، وهو الزاد. الزهيد: القليل. الأزل: الذئب الخفيف الوركين. تهاداه: كلما خرج من مفازة دخل في أخرى. التنائف: جمع تنوفة، وهي المفازة، أو الأرض القفار، أو الفلاة التي لا تنبت شيئاً. الأطحل: الذي لونه بين الغبرة والبياض أي كلون الطحال.

غَـدَا طَاوِيـاً يُعـارِضُ الرِّيـحَ هافِيـاً ... يَخُـوتُ بأَذْنَـابِ الشِّـعابِ ويَعْسِـلُ [١]

فَلمَّـا لَـوَاهُ الْقُـوتُ مِـنْ حَيْـثُ أُمَّـهُ ... دَعَـا فأَجَابَتْـهُ نَظَـائِرُ نُحَّـلُ [٢]

مُهَلْهَلَـةٌ شِـيبُ الوُجُـوهِ كَأَنَّهـا ... قِـداحٌ بِكَفَّـيْ ياسِـرٍ تَتَقَلْقَـلُ [٣]

أَوِ الخَشْـرَمُ المَبْعُـوثُ حَثْحَثْـتَ دَبْـرَهُ ... مَحَـابيضُ أَرْداهُـنَّ سَـامٍ مُعَسِّـلُ [٤]

مُهَرَّتَـةٌ فُـوهٌ كَـأَنَّ شُـدُوقَها ... شُـقوقُ العِصِـيِّ كالحـاتٌ وبُسَّـلُ [٥]

فَضَـجَّ وضَجَّـتْ بـالبَرَاحِ كأنهـا ... وإِيَّـاهُ نُـوحٌ فَـوْقَ عَلْيـاءَ ثُكَّـلُ [٦]

وأَغْضَـى وأَغْضَتْ واتَّسَـى واتَّسَـتْ بِـهِ ... مَرامِيـلُ عَزَّاهـا وعَزَّتْـهُ مُرْمِـلُ [٧]

شَكَا وشَكَتْ ثُـمَّ ارْعَـوَى بَعْـدُ وارْعَـوَتْ ... وَلَلصَّـبْرُ إِنْ لَـمْ يَنْفَـعِ الشَّـكْوُ أَجْمَـلُ [٨]

وَفَـاءَ وفَـاءتْ بـادِراتٍ وكُلُّهـا ... علـى نَكَـظٍ مِمَّـا يُكـاتِمُ مُجْمِـلُ [٩]

---

(١) ابن الشجري: يعتنّ للريح. الطاوي: الجائع. الهافي: الجائع، أو السرعة في العدو. يخوت: ينقضّ. الشّعب بكسر الشين: الطريق في الجبل. الأذناب: الأواخر. يعسل: يمشي خبباً.

(٢) لواه: دفعه، واللي: المطل والدفع. أمّهُ: قصده. النظائر: الأشباه والأمثال. النحّل: المهازيل.

(٣) العكبري: مهلهلة ...، بأيدي. مهلهلة: رقيقة اللحم. الشيب: جمع أشيب، وشيباء، مأخوذ من شاب إذا ابيضّ. القداح: جمع قدح؛ وهو السهم قبل أن يراش، ويركب عليه نصله، الياسر: المقامر بالأزلام. والميسر: قمار العرب. تتقلقل: تتحرك وتضطرب.

(٤) ابن طيفور وابن الشجري: أرساهن. والقالي: رداهن. الخشرم: رئيس النحل، أو النحل نفسه، أو بيت الزنابير. المبعوث: الذي انبعث في السير، أي أسرع. حثحث: حضّ وطلب منه الإسراع. الدبر جماعة النحل. محابيض: عيدان مشتار العسل. أرداهن: أنزلهن. سام: مرتفع عال. معسل: طالب العسل.

(٥) المهرتة: الواسعة الأشداق. فوه: مفتوحة الفم، واحدها أفوه وفوهاء. والشدق: جانب الفم. الكلوح: تكشر في عبوس. بُسّل: كريهة الوجوه.

(٦) ضج: يقال أضج القوم اضّجاجاً، إذا جلبوا وصاحوا. البراح: الأرض الواسعة، التي لا زرع فيها ولا شجر. النوح: النساء النوائح. علياء: المكان المرتفع. الثكل: اللاتي فقدن أزواجهن وقيل أولادهن. واحدها ثاكل، وثكلى.

(٧) ابن طيفور: فأغضى. والقالي: أرامل ... أرمل. وابن الشجري: فأغضى ... وائتسى وائتست. الإغضاء: إدناء الجفون بعضها من بعض. اتسى واتست به: أي أن كلاً منهما حاله كحال الآخر. المرمل: الذي نفد زاده، ومراميل جمعه.

(٨) شكا يشكو : بث حزنه. ارعوى: ترك.

(٩) ابن الشجري: بادئات. فاء: رجع. بادرات: مسرعات. النكظ: شدة الجوع في هذا البيت وفي الأصل النكظ: العجلة. يكاتم: يكتم أي لا يظهر ما عنده.

٧- وصف القطا وسبقه إياها إلى مورد الماء:

وَتَشْرَبُ أَسْآرِي القَطَا الكُدْرُ بَعْدَمَا ... سَرَتْ قَرَباً أَحْنَاؤُهَا تَتَصَلْصَلُ [١]

هَمَمْتُ وَهَمَّتْ وابْتَدَرْنَا وأَسْدَلَتْ ... وَشَمَّرَ مِنِّي فَارِطٌ مُتَمَهِّلُ [٢]

فَوَلَّيْتُ عَنْهَا وَهْيَ تَكْبُو لِعَقْرِهِ ... يُبَاشِرُهُ مِنْهَا ذُقُونٌ وحَوْصَلُ [٣]

كَأَنَّ وَغَاهَا حَجْرَتَيْهِ وحَوْلَهُ ... أَضَامِيمُ مِنْ سَفْرِ القَبَائِلِ نُزَّلُ [٤]

تَوَافَيْنَ مِنْ شَتَّى إِلَيْهِ فَضَمَّهَا ... كَمَا ضَمَّ أَذْوَادَ الأَصَارِيمِ مَنْهَلُ [٥]

فَعَبَّتْ غِشَاشاً ثُمَّ مَرَّتْ كَأَنَّهَا ... مَعَ الصُّبْحِ رَكْبٌ مِنْ أُحَاظَةَ مُجْفِلُ [٦]

٨- وصف نومه:

وَآلَفُ وَجْهَ الأَرْضِ عِنْدَ افْتِرَاشِهَا ... بِأَهْدَأَ تُنْبِيهِ سَنَاسِنُ قُحَّلُ [٧]

---

[١] القالي: أحشاؤها. الأسآر: بقية الشراب في قعر الإناء. الواحد سؤر. القرب: السير إلى الماء. أحناؤها: مفرده حنو، وهي الجوانب. تتصلصل: تُصوّتُ.

[٢] ابن الشجري: فأسأدت. هممت: عزمت. ابتدر: أسرع. أسدلت: أرخت. شمّر: ضد أسدل. الفارط: المتقدم. المتمهل في أمره: من يأتيه على تؤدة.

[٣] ابن الشجري: بعقره، تباشره منها دفوف. وليت: تركت. تكبو: تسقط. العقر: مقام الساقي من الحوض يكون فيه ما يتساقط من الماء عند أخذه من الحوض. الذقن: ما تحت الحلقوم. حوصل: جمع حوصلة؛ وهي العضو الذي يتجمع فيه طعام الطير بعد التقاطه.

[٤] ابن طيفور والقالي: من سفلى. وغاها: أصواتها، ومنه قيل للحرب "وغى" لما فيها من الأصوات والجلبة. حجرتيه: جوانبه. الأضاميم: جمع أضمامة؛ وهم القوم ينضمّ بعضهم إلى بعض في السفر. سفر: أي قوم سفر "مسافرون". وجاء في مخطوط "ركب". نُزّلٌ: أي إذا نزل هؤلاء سمع لهم وقت نزولهم جلبة. فكذلك هذه القطا في وقت كبوها، تسمع لها صوتاً وجلبة. ونزّل: جمع نازل، وهو المسافر الذي حطّ رحله، ونزل بمكان معين، وحوله جماعات من المسافرين.

[٥] ابن طيفور: إليها. توافين: جئن. ورد في مخطوط: "قوافين". شتى: متفرقة. الأذواد: جمع ذود والذود من الإبل، ما بين الثلاثة إلى العشرة؛ ولا واحد له من لفظه. الأصاريم: جمع صيرّمة؛ وهي القطعة من الإبل، نحو الثلاثين. المنهل: المورد، وهو عين ماء ترده الإبل في المرعى.

[٦] ابن طيفور، وابن الشجري: مع الفجر. والعكبري: فغبت: العب: شرب الماء من غير مص. غشاشاً: أي على عجلة. أحاظة: قبيلة من اليمن، وقيل من الأزد. مجفل: مسرع.

[٧] الأهدأ: الشديد الثبات. تنبيه: ترفعه وتبعده. السناسن: حروف فقار الظهر، وهي مغارز رؤوس الأضلاع. قحل: جافة يابسة.

وَأَعْـدِلُ مَنْحُوضَـاً كَـأَنَّ قُصُوصَـهُ ... كِعَـابٌ دَحَاهَـا لاعِـبٌ فَهْـيَ مُثَّـلُ [١]

فَـإِنْ تَبْتَئِـسْ بالشَّـنْفَرى أُمُّ قَسْـطَلٍ ... لَمَا اغْتَبَطَـتْ بالشَّـنْفَرى قَبْـلُ أَطْـوَلُ [٢]

طَرِيـدُ جِنَايَـاتٍ تَيَاسَـرْنَ لَحْمَـهُ ... عَقِيرَتُـهُ لأَيِّهَـا حُـمَّ أَوَّلُ [٣]

تَنَـامُ إِذا مَـا نَـامَ يَقْظَـى عُيُونُهَـا ... حِثَاثَـاً إِلى مَكْرُوهِـهِ تَتَغَلْغَـلُ [٤]

وَإِلْـفُ هُمُـومٍ مَـا تَـزَالُ تَعُـودُهُ ... عِيَـادَاً كَحُمَّـى الرِّبْـعِ أَوْ هِـيَ أَثْقَـلُ [٥]

إِذا وَرَدَتْ أَصْدَرْتُهَـا ثُـمَّ إِنَّهَـا ... تَثُـوبُ فتـأْتي مِـنْ تُحَيْـتٍ ومِـنْ عَـلُ [٦]

٩- صبره:

فإِمَّـا تَرَيْـنِي كابْنَـةِ الرَّمْـلِ ضاحِيـاً ... علـى رِقَّـةٍ أَحْفَـى ولا أَتَنَعَّـلُ [٧]

فَـإِنِّي لَمَوْلَـى الصَّـبْرِ أَجْتَـابُ بَـزَّهُ ... على مِثْلِ قَلْبِ السِّمْعِ والْحَزْمَ أَنْعَـلُ [٨]

---

[١] أعدل: أتوسد ذراعاً. المنحوض: الذي قد ذهب لحمه. قصوصه: منتهى العظم عند المفصل من كل جانب. دحاها: بسطها. مثل: منتصبة.

[٢] ابن طيفور، وابن الشجري: فما. تبتئس: تحزن وتكره. القسطل: الغبار. وأم قسطل: الحرب، سميت بذلك لأنها تثير الغبار. الغبطة: حسن الحال.

[٣] ابن طيفور: جرّ أوّل. الطريد: المبعد. تياسرن لحمه: مأخوذ من يسر القوم الجزور، إذا اجتزروها واقتسموها. عقيرته: لحمه: ومنه يقال للرجل الشريف عقيرة، إذا قتل.

[٤] القالي: تبيت، وابن الشجري: تبيت ... مكروهها. تنام: إشارة إلى الجنايات. يقظى: مستيقظة. حثاثاً: سراعاً. تتغلغل: تتخلل.

[٥] ابن طيفور: عيادة الحمى ... أو هو، والعكبري: عيادة الحمى الربع. الربع في الحمى: أن تأخذ يوماً وتدع في يومين، ثم تجيء في اليوم الرابع.

[٦] ابن طيفور وابن الشجري: وتأتي. وردت: حضرت. والورد خلاف الصدر. أصدرتها: رددتها. تثوب: ترجع. تحيت: تصغير تحت. عل: مأخوذ من العلو؛ أي من مكان عال.

[٧] ابن طيفور: ولا أتسربل. والقالي وابن الشجري: رقبة. ابنة الرمل: قيل هي الحية. وقيل هي البقرة الوحشية. ضاحياً: بارزاً للقرّ والحرّ. على رقة: رقة حال، أو هزال. أتنعل: ألبس النعال.

[٨] ابن طيفور والقالي والعكبري: أفعل. مولى الصبر: صاحب الصبر ووليه؛ أي القائم به. والصبر: حبس النفس عن الجزع. أجتاب: ألبس. البز: الثوب. السمع: سَبُعٌ مركب؛ وهو ولد الذئب من الضبع. الحزم: ضبط الرجل أمره وأخذه بالثقة. أنعل: رواية المبرد "أفعل" وهي الرواية المفضلة. وجاء في مخطوط "أفعل" لذا يفضل أن تكتب "أفعل" في نص القصيدة. انظر: لامية العرب أو نشيد الصحراء، ت: محمد بديع شريف، دار مكتبة الحياة - بيروت، ١٩٦٤م: ٥٥.

١٠- فقره وغناه، وترفعه عن النميمة:

وأُعْـــدِمُ أحيانـــاً وأغنـــى وَإِنَّمـــا ... يَنَـالُ الغِنَـــى ذو البُعْـدَةِ المُتَبـذَّلُ [١]

فَـــلا جَـــزِعٌ مِـــنْ خَلَّـــةٍ مُتَكَشِّـــفٌ ... ولا مَـرِحٌ تَحْـتَ الغِنَـــى أَتَخَيَّـــلُ [٢]

وَلا تَزْدَهِـي الأَجْهَـالُ حِلْمِـي ولا أُرى ... سَـؤُولاً بأَعْقَـابِ الأَقَـاوِيلِ أَنْمُـلُ [٣]

١١- بأسه وبطشه في ليلة باردة مظلمة:

وليلَـةِ نَحْـسٍ يَصْطَلِـي القَـوْسَ رَبُّهَـا ... وأَقْطُعَـهُ اللَّاتِـي بِهَـا يَتَنَبَّـلُ [٤]

دَعَسْـتُ علـى غَطْـشٍ وَبَغْـشٍ وَصُحْـبَتِي ... سُـعَارٌ وَإِرْزِيـزٌ وَوَجْـرٌ وأَفْكَـلُ [٥]

فَـأَيَّمْتُ نِسْـواناً وَأَيْتَمْـتُ إِلْـدَةً ... وعُـدْتُ كَمَـا أَبْـدَأْتُ واللَّيْـلُ أَلْيَـلُ [٦]

وأَصْبَـحَ عَنِّـي بالغُمَيْصَـاءِ جالِسـاً ... فَرِيقَـانِ مَسْـؤُولٌ وآخَـرُ يَسْـأَلُ [٧]

---

[١] ابن الشجري: ذو البغية. العدم بفتح العين والدال: الفقر. وكذلك هو بضم العين وسكون الدال. وأعدم: أفتقر. أحياناً: جمع حين، وهو الوقت والمدة. البعدة: اسم للبعد، ولعله يريد "ذو الهمة"، أي بعيد الهمة. المتبذل: الذي لا يصون نفسه.

[٢] القالي: لخلة، وابن الشجري: ولا جزع ... غب الغنى. الجزع: نقيض الصبر. الخلة: الحاجة والفقر. المتكشف: الذي يظهر فقره وحاجته للناس. المرح: شدة الفرح والنشاط. التخيل: التكبر.

[٣] القالي: الأحاديث. تزدهي: تستخف. الأجهال واحدها جهل، لغة قليلة الاستعمال، والقياس "أجْهُل وجُهُول". أعقاب: مآخير. أنمل: أنم من النميمة، والنملة: النميمة.

[٤] القالي: اللاتي، وابن الشجري: وليلة صر. النحس: نقيض السعد. والنحس هنا: البرد . والاصطلاء: أن تقاسي حر النار وشدتها. ربها: صاحبها. الأقطع: جمع قِطْعٍ؛ وهو السهم القصير العريض النصل. يتنبل: يرمي بها.

[٥] القالي: بغش وغطش. الدعس: الطَّعْنُ والوطء. الغطش: الظلمة. البغش: المطر الخفيف. السُّعار بالضم: حرّ النار، وشدة الجوع. الإرزيز: البرد. الوجر: الخوف. الأفكل: الرعدة.

[٦] ابن طيفور، وابن الشجري: ولدة. الأيم: من لا زوج له من الرجال والنساء. وأيمت: جعلتهن أيامى بلا أزواج. أيتمت: اليتم: الانفراد. وهو في الناس من قبل الأب، وفي البهائم من قبل الأم. إلدة: الأولاد. أليل: مظلم.

[٧] ابن الشجري: بالغميصاء. والغميصاء: موضع بنجد. والجَلْسُ: اسم لنجد. يقال: جلس الرجل: إذا أتى نجداً. فهو جالس. كما يقال: أَتْهَمَ، إذا أتى تهامة. ويرى محمد بديع شريف - محقق لامية العرب - أنه تفسير غريب متكلف. انظر لامية العرب: ٥٩.

فقـالوا لَقَـدْ هَـرَّتْ بِلَيْـلٍ كِلابُنـا ... فَقُلْنـا أَذِئْـبٌ عَـسَّ أَمْ عَـسَّ فُرْعُـلُ (١)

فَلَـمْ تَـكُ إلا نَبْـأَةٌ ثُـمَّ هَوَّمَـتْ ... فَقُلْنـا قَطَـاةٌ رِيـعَ أَمْ رِيـعَ أَجْـدَلُ (٢)

فـإنْ يَـكُ مِـنْ جِـنٍّ لأَبْـرَحَ طارِقـاً ... وإنْ يَـكُ إنْساً ماكَهَـا الإنْـسُ تَفْعَـلُ (٣)

١٢- جلده في شدة الحرّ:

وَيَـوْمٍ مِـنَ الشِّـعْرَى يَـدُوبُ لُوابُـهُ ... أَفاعِيـهِ في رَمْضائِـهِ تَتَمَلْمَـلُ (٤)

نَصَبْـتُ لَـهُ وَجْهـي ولا كِـنَّ دُونَـهُ ... وَلا سِـتْرَ إلاَّ الأُتْحُمِـيُّ المُرَعْبَـلُ (٥)

١٣- وصف شَعْرِهِ:

وضـافٍ إذا هَبَّـتْ لَـهُ الرِّيـحُ طَـيَّرَتْ ... لَبَـائِدَ عَـنْ أعطافِـهِ مـا تَرَجَّـلُ (٦)

بَعيـدٌ بِمَـسِّ الدُّهْـنِ والْفَلْـيِ عَهْـدُهُ ... لَـهُ عَبَسٌ عـافٍ مِـنَ الغِسْـلِ مُحْـوِلُ (٧)

---

(١) ابن طيفور: فقالوا أذئب، القالي: فقلت أذئب. هرت، هرير الكلب: صوته دون نباحه من قلة صبره على البرد. عسّ: طاف، والعس: الطواف بالليل. الفرعل: ولد الضبع.

(٢) ابن طيفور: فقالوا، والقالي والعكبري: يك، وابن الشجري: فلم يك ... قطا قد. النبأة: الصوت. هومت: نامت. ريع: أفزع. الأجدل: الصقر.

(٣) القالي: يفعل. البرح: الشدة. كها: الكاف للتشبيه: أي ليس كمثل هذا.

(٤) ابن الشجري والعكبري: لعابه. الشعرى: الكوكب الذي يطلع بعد الجوزاء. وطلوعه في شدة الحر. لوابه: لعابه. ولعاب الشمس: أشعتها التي ترى في شدة الحر مثل نسج العنكبوت. الأفاعي: جمع أفعى، وهي الحية. رمضائه، والرمض: شدة وقع الشمس على الرمل. والأرض رمضاء إذا أصابها الرمض. التململ: التحرك على الفراش، إذا لم تستقر عليه من الوجع، كأنه على ملة؛ والملة الرماد الحار.

(٥) نصب، النصب: الإقامة: تقول: نصبت وجهي للحر أقمته. الكنّ: الستر، والجمع أكنان. الأتحمي: ضرب من البرود. المرعبل: الممزق.

(٦) ابن الشجري: من أعطافه، والعكبري: إذا طارت. ضاف: سابغ. اللبائد: جمع لبيدة، وهو ما تلبد من الشعر لأنه لا يرجل. الأعطاف: جمع عِطف، وعطفا الرجل: جانباه من لدن رأسه إلى وركيه. تُرجِّلُ: تُسَرِّح.

(٧) ابن الشجري: به عبس، العبس: ما يتعلق بأذناب الإبل، من أبوالها، وأبعارها، فيجف عليها. عاف: كثير. الغسل: ما يغسل به الرأس من الخطميّ، والخطميّ: نوع من النبات. المحول: الذي أتى عليه حَوْلٌ.

٤ ١- سيره في القفار، ومؤالفته الوعول:

وَخَـرْقٍ كَظَهْـرِ الـتُّرْسِ قَفْـرٍ قَطَعْتُـهُ ... بِعـامِلَتَيْنِ ظَهْـرُهُ لَيْـسَ يُعْمَـلُ [١]

وأَلْحَقْـتُ أُولاهُ بِـأُخْرَاهُ مُوفِيـاً ... علـى قُنَّـةٍ أُقْعِـي مِـراراً وأَمْثُـلُ [٢]

تَـرودُ الأَراوي الصُّحْـمُ حَـوْلي كأَنَّهـا ... عَـذَارى عَلَيْهِـنَّ الْمُـلاءُ الْمُذَيَّـلُ [٣]

وَيَرْكُـدْنَ بالآصـالِ حَـوْلي كَـأَنَّني ... مِنَ العُصْمِ أَدْفى يَنْتحـي الْكِيحَ أَعْقَلُ [٤]

(٢) عروة بن الورد

(أ) نسبه وأخباره:

هو عروة بن الورد بن زيد، وقيل ابن عمرو بن زيد بن عبد الله بن بغيض بن الريث بن غطفان بن سعد بن عيلان بن مضر بن نزار، شاعر من شعراء الجاهلية، وفارس من فرسانها، وصعلوك[٥] من صعاليكها المعدودين المقدمين الأجواد. وكان يلقب "عروة الصعاليك" لجمعه إياهم وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم ولم يكن لهم معاش ولا مغزى، وقيل: بل لقب "عروة الصعاليك" لقوله:

لَحـى اللَّـهُ صُعْلوكـاً إِذا جَـنَّ لَيْلُـهُ ... مُصـافي المُشـاشِ آلِفـاً كُـلَّ مَجْـزَرِ

يَعُـدُّ الغِنـى مِـنْ دَهْـرِهِ كُـلَّ لَيْلَـةٍ ... أَصـابَ قِراهـا مِـنْ صَديـقٍ مُيَسَّـرِ

---

[١] ابن طيفور: بطنه ليس. الخرق: الأرض الواسعة، تتخرق فيها الرياح، وجمعها خروق. كظهر الترس: يريد أنها مستوية. قفر: ليس بها أحد. العاملتان: رجلاه. ليس يعمل: أي غير مسلوك ظهر هذه الأرض الواسعة.

[٢] ابن طيفور، والقالي، والعكبري: فألحقت، وابن الشجري: فألحقت أخراه .... قنةٍ أعيا. ألحقت أولاه بأخراه: قطعته وجزته عَدْواً. موفياً: مشرفاً عليها. القنة: أعلى الجبل. أقعي، الإقعاء عند أهل اللغة: أن يلصق الرجل إليته بالأرض، وينصب ساقيه، ويتساند إلى ظهره. أمثل: أنتصب.

[٣] ترود: تذهب وتجيء. الأراوي: واحدها أروية، وهي الأنثى من الوعول. الصحم: جمع أصحم وصحماء؛ وهي الوعول السود. العذارى: جمع عذراء، وهي البكر. الملاء: ضرب من الثياب. المذيل: الطويل الذيل.

[٤] يركدن: يثبتن. الآصال: جمع أصيل؛ وهو الوقت من العصر إلى المغرب. العصم: جمع أعصم من الوعول؛ وهو الذي في ذراعيه بياض. وقيل الذي بإحدى يديه بياض. الأدفى من الوعول: الذي طال قرنه جداً، وذهب قِبَلَ أذنيه. ينتحي: يعتمد ويقصد. الكيح: عرض الجبل وسنده. الأعقل: الممتنع في الجبل العالي.

[٥] الأصفهاني: الأغاني، تحقيق وإشراف لجنة من الأدباء، الدار التونسية للنشر - تونس، دار الثقافة - بيروت، ١٩٨٣م: ٣/٧٠. الصعلوك: الفقير الذي لا مال له. وصعاليك العرب: لصوصها وفقراؤها.

وَلِلَّـــهِ صُعلـــوكٌ صَفيحـــةُ وَجْهـــهِ كَضَـــوْءِ شِـــهابِ القـــابِسِ المُتَنـــوِّرِ [١]

وقد عده صاحب جمهرة أشعار العرب من أصحاب المنتقيات، وهم المسيب بن علس، والمرقش، والمتلمس بن جرير، وعروة بن الورد، ومهلهل بن ربيعة، ودريد بن الصمة، والمتنخل بن عويمر [٢].

وقد ذكره أبو عبيدة في الطبقة الثالثة من الشعراء وهم: المرقش، وكعب بن زهير، والحطيئة، وخداش بن زهير، ودريد بن الصمة ، وعنترة، وعروة بن الورد، والنمر بن تولب، وعمرو بن أحمر، والشماخ [٣].

(ب) مكانته وشرفه وأقوال الثناء فيه:

قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– للحطيئة : "كيف كنتم في حربكم ؟ قال: كنا ألف حازم ، قال : وكيف؟ قال كان فينا قيس بن زهير وكان حازماً وكنا لا نعصيه، وكنا نقدم إقدام عنترة، ونأتم بشعر عروة بن الورد، وننقاد لأمر الربيع بن زياد".

وقال جعفر بن أبي طالب – رضي الله عنه– لمعلم ولده: "لا تُرَوِّهِمْ قصيدة عروة ابن الورد التي يقول فيها":

دَعيـــني للغِنَـــى أَسْـــعَى فـــإِنِّي رَأَيْـــتُ النَّـــاسَ شَـــرُّهُمُ الفقـــيرُ

---

[١] الأصفهاني: الأغاني: ٣/٧٠ وديوانه: ٧٠-٧٢. والأصمعي: الأصمعيات: ٤٨-٤٩. لحاه الله: قبّحه ولعنه. الصعلوك الذي عناه عروة هنا: الرجل الخامل. جَنّ ليله: أي ستره ظلام الليل. مصافي المشاش: مختار المشاش. والمشاش: رأس العظم اللين. المجزر: الموضع الذي يجزر فيه الإبل. الميسّر: الذي سهلت ولادة إبله وغنمه ولم يعطب منها شيء. أو الذي أقبل خير شائه، وقيل أيضاً: الذي قد نتج إبله فكثر خيره. صفيحة الوجه: بشرة جلده. الشهاب: شعلة من نار ساطعة. القابس: الذي يقبس النار، أي يأخذها. المتنوّر: المضيء.

[٢] أبو زيد القرشي : جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام : ٩٨.

[٣] المصدر نفسه : ٩٩.

وقال معاوية بن أبي سفيان عنه: "لو كان لعروة بن الورد ولد لأحببت أن أتزوج إليهم".

وقال عبد الملك بن مروان : ما يسرني أن أحداً من العرب ولدني ممن لم يلدني إلا عروة بن الورد لقوله:

إِنِّي امْرُؤٌ عافي إِنائيَ شِرْكَةٌ ... وأَنْتَ امْرُؤٌ عافي إِنائِكَ واحِدُ
أتهزأُ مِنِّي أنْ سَمِنْتَ وأنْ تَرى ... بِجِسْمِيَ مَسَّ الحقّ والحقُّ جاهِدُ
أُفَرِّقُ جِسْمي في جُسُومٍ كثيرةٍ ... وأَحْسُو قَراحَ الْمَاءِ والماءُ بارِدُ [1]

(ت) نماذج من شعره:

قال عروة لامرأته سلمى ابنة منذر، وكانت تلومه على الخطار بنفسه، وإدمانه الغزوات والغارات في أحياء العرب، فرد عليها قولها بأنه إنما يبغي بذلك المجد وجمع المال لها ليكفيها بعد موته.[2]

أَقِلِّي عليَّ اللومَ يا ابْنَةَ مُنْذِرٍ ... ونامي فإنْ لم تَشْتَهي النَّوْمَ فاسْهَري
ذَريني وَنَفْسِي أُمَّ حَسَّانَ إِنَّني ... بها قَبْلَ أنْ لا أَمْلِكَ البيعَ مُشْتَرِي
أحاديثُ تَبْقى والفتى غيرُ خالدٍ ... إذا هو أَمْسَى هامةً تحتَ صَيِّرِ
ذَريني أُطَوِّفْ في البلادِ لَعَلَّني ... أُخَلِّيكِ أَوْ أُغْنيكِ عَنْ سُوءِ مَحْضَرِ

---

[1] الأصفهاني: الأغاني: ٣/٧٠-٧٢. عافي إنائي: أي يأتيني من يشركني فيه. والحق جاهد: أي يجهد الناس. أقسم جسمي: المراد بالجسم طعامه. الماء القراح: الماء الذي لا يخالطه لبن ولا غيره. والماء بارد: أي في الشتاء وذلك أشد.

[2] الأصمعي: الأصمعيات: ٤٣، ٤٤. ابنة منذر: امرأته، وهي سلمى. أم حسان: كنية امرأته سلمى. البيع هنا: بمعنى الشراء. هامة: أسطورة جاهلية تزعم أن روح الذي لم يدرك بثأره تصير هامة فتصيح عند قبره قائلة: اسقوني، فإذا أدرك بثأره طارت. الصير: القبر. التخلية: الطلاق، كنى بها عن قتله، أي أقتل عنك فأفارقك فتخلي للأزواج. أغنيك: أي أصيب حاجتي فأغنيك عن أن تحضري محضراً سيئاً، يعني المسألة.

ثم يرسم سياسة للصعاليك، فهو لا يرضيه الصعلوك الخامل الذي لا يسعى لالتماس المال:[١]

لَحَــى اللهُ صُعلوكــاً إذا جَــنَّ لَيْلُــهُ ... مَضَــى في المُشَــاشِ آلِفــاً كُــلَّ مَجْــزَرِ
يَعُــدُّ الغِنَــى مِــنْ دَهْــرِهِ كُــلَّ ليلــةٍ ... أَصــابَ قِراهــا مِــنْ صَديــقٍ مُيَسَّــرِ
قليــلَ الْتمــاسِ المــالِ إلاَّ لنفسِــهِ ... إذا هــو أَضْحَــى كــالعَريشِ المُجَــوَّرِ
ينــامُ عِشــاءً ثُــمَّ يُصْبِــحُ قــاعِداً ... يَحُــتُّ الحَصَــى عَــنْ جَنْبــهِ المُتَعَفِّــرِ

ويرسم صورة أخرى للصعلوك الجريء، الذي يريده أن يكون غازياً جريئاً، يخشاه الناس في المحضر والمغيب:[٢]

وَ لِلّــهِ صُعْلــوكٌ صَفيحَــةُ وَجْهِــهِ ... كَضَــوْءِ شِــهابِ القــابِسِ المُتَنــوِّرِ
مُطِــلاًّ علــى أَعْدائــهِ يَزْجُرُونَــهُ ... بِســاحَتِهِمْ زَجْــرَ المَنيــحِ المُشَــهَّرِ
وإنْ بَعُــدُوا لا يَــأْمَنُونَ اقْترابَــهُ ... تَشَــوُّفَ أَهْــلِ الغــائِبِ المُتَنظِّــرِ
فذلــكَ إنْ يَلْــقَ المنيَّــةَ يَلْقَهــا ... حَميــداً وإنْ يَسْــتَغْنِ يَوْمــاً فَــأَجْدِرِ

وقال يذكر بني ناشب - قبيلة من عبس - ويرد على بني عوذ بن زيد الذين يدَّعون الانتماء إلى بني ناشب، حيث أغروا به سفهاءهم لقدحه والنيل منه كذباً وزوراً. وهو لشرفه وكريم أصله من عبس، التي يطاطئ الآخرون رؤوسهم عندما يذكر اسمها بين القبائل الأخرى. ويقول بأنه لا يسأم من عتاب ومحاربة أولئك الذين يُعرِّضون به:

أيــا راكبــاً إمَّــا عَرَضْــتَ فَبلِّغَــنْ ... بــني ناشــبٍ عَنِّــي ومَــنْ يَتنشَّــبُ
أَكُلُّكُــمُ مُختــارُ دارٍ يَحُلُّهــا ... وتــاركُ هَــدْمٍ ليــسَ عَنْهــا مُــدَنَّــبُ؟
وَأَبْلِــغْ بــني عُــوذِ بــنِ زيــدٍ رسالةً ... بآيــةِ مــا إنْ يَقْصِبُونــيَ يَكْذِبُــوا

---

[١] الأصمعي: الأصمعيات: ٤٥، ٤٦ وديوانه: ٧٠-٧١. العريش: ما يشبه الخيمة من خشب أو جريد. المجوّر: الساقط ومعنى البيت الرابع، قال ابن السكّيت: "لا يبرح الحي، وليس بصاحب إدلاج ولا غزو". وهذا وصف للصعلوك الخامل.

[٢] المصدر نفسه: ٤٦.

فـإنْ شِـئْتُمُ عَنِّـي نَهَيْتُـمْ سَـفِيهَكُمْ وقـالَ لَـهُ ذُو حِلْمِكُـمْ: أَيْـنَ تذهـبُ؟
وإنْ شِـئْتُمُ حـاربتُموني إلى مَـدَىً فَيَجْهـدَ كُـمْ شَـأْوُ الْكِظـاظِ المُغـرَّبُ
فَيَلْحَـقَ بالخـيراتِ مَـنْ كـانَ أَهْلَهـا وتَعْلَـمَ عَبْـسٌ رأسَ مَـنْ يَتَصَـوَّبُ[١]

وكان عروة يفضّل الموت على الفقر، فالموت للمرء أفضل من حياة مليئة بالشرور والأذى حتى من أقرب الناس إليه، ومن أبناء عمومته. ومذهبه في الحياة هو الجد والعمل، وأن يسعى في الأرض للحصول على الرزق والغنى، ليغنيه ذلك عن سؤال أقاربه. ويظهر في شعره نجدته وحمايته لجاره، وعفته وحياؤه، فهو يغضي حياء إن عصفت الرياح ببيت جارته، ولا ينظر إلى عورات بيتها:[٢]

إذا الْمَـرْءُ لَـمْ يَبْعَـثْ سَـواماً ولم يُـرَحْ عَلَيْـهِ وَلَـمْ تَعْطِـفْ عَلَيْـهِ أَقارِبُـهْ
فَلَلْمَـوْتُ خَـيْرٌ لِلْفَتَـى مِـنْ حياتِـهِ فَقـيراً وَمِـنْ مَوْلَـىً تَـدِبُّ عقارِبُـهْ[٣]
وسـائلةٍ أَيْـنَ الرَّحيـلُ؟ وَسَـائِلٍ وَمَـنْ يَسْـأَلُ الصُّعْلُـوكَ: أَيْـنَ مذاهِبُـهْ
مَذاهِبُـهُ أَنَّ الْفِجـاجَ عَريضَـةٌ إذا ضَـنَّ عَنْـهُ بالفَعـالِ أَقارِبُـهْ[٤]
فَـلا أَتْـرُكُ الإخْـوانَ مـا عِشْـتُ لـلرَّدى كَمَـا أَنَّـهُ لا يَـتْرُكُ المـاءَ شـارِبُهْ
وإنْ جـارتي أَلْـوَتْ رِيـاحٌ بِبَيْتِهـا تَغـافَلْتُ حَتَّـى يَسْـتُرَ الْبَيْـتَ جانِبُـهْ[٥]

ويدعو عروة إلى حفظ حقوق الجار، ورعاية جواره، فيقول[٦]:

أَفي نـابٍ مَنَحْناهـا فقـيراً لَـهُ بِطِنابِنَـا طُنُـبٌ مُصِيـتُ[٧]

---

[١] ديوان عروة بن الورد: ٢٥-٢٦. يتنشب: يدّعي النسب إلى بني ناشب. الهَدَمُ: ما تهدّم فسقط. ومعنى البيت الثاني: أكل واحد منكم يختار داراً له جديدة، ويترك دار أهله. يقصبوني: يشتموني. ذو: بمعنى صاحب. الحلم: العقل. الشأو: الشوط أو السَّبَقُ. الكظاظ: الشدة والتعب. المغرّب: البعيد. بالخيرات: بذوي الشرف.

[٢] المصدر نفسه: ٢٩-٣٠. السوام: ما يرعى من الإبل والماشية. يراح عليه: ترد إبله إلى المراح.

[٣] المولى: ابن العم.

[٤] الفجاج: جمع فج، وهو الطريق بين جبلين. ضنّ: بخل بخلاً شديداً.

[٥] ألوت رياح ببيتها: ذهبت به وألقته.

[٦] ديوانه: ٣٣ - ٣٦.

[٧] الناب: الناقة المسنة. مصيت: يسمع صوته في القرب.

وَفَضْلَـــةِ سَـــمْنَةٍ ذَهَبَـــتْ إِليـــهِ ... وأَكْـــثَرُ حَقِّـــهِ مـــا لا يَفُـــوتُ
تَبيـــتُ علـــى المَرافِـــقِ أُمُّ وَهْـــبٍ ... وَقَـــدْ نـــامَ الْعُيُـــونُ لهـــا كَتِيـــتُ (١)
فـــإِنَّ حَمِيتَنـــا أَبـــداً حَـــرامٌ ... وَلَيْـــسَ لجـــارِ مَنْزِلنـــا حَمِيـــتُ (٢)
ورُبَّـــتَ شُـــبْعَةٍ آثَـــرتُ فيهـــا ... يـــداً جـــاءَتْ تَعـــيرُ لهـــا هَتِيـــتُ (٣)
يقـــولُ: الحـــقُّ مَطْلَبُـــهُ جميـــلٌ ... وَقَـــدْ طَلَبُـــوا إِليـــكَ فَلَـــمْ يُقِيتـــوا (٤)
فقلـــتُ لَـــهُ: أَلا احْـــيَ وأَنـــتَ حُـــرٌّ ... سَتَشْـــبَعُ في حيـــاتِكَ أَوْ تَمـــوتُ
إِذا مـــا فـــاتني لَـــمْ أَسْـــتَقِلْهُ ... حيـــاتي والْمَلائِـــمُ لا تَفُـــوتُ (٥)
وقـــد عَلِمَـــتْ سُـــلَيْمى أَنَّ رَأْيـــي ... سَـــواءٌ إِنْ عَطِشْـــتُ وإِنْ رَويـــتُ
وأَنِّـــي حـــينَ تَشْـــتَجِرُ الْعَـــوالي ... حُـــوالي اللُّـــبِّ ذو رَأْيٍ زَمِيـــتُ (٦)
وَأُكْفَـــى مـــا عَلِمْـــتُ بِفَضْـــلِ عِلْـــمٍ ... وَأَسْـــأَلُ ذَا الْبَيـــانِ إِذا عَمِيـــتُ

* وخرج عروة في سنة مجدبة مع رهط من قومه يريد أرض قضاعة . وقصد قبل أرض بني القين، فمر بمالك بن حمار الفزاري ، وقد نفد ما معه، فقال له مالك: أين تنطلق بفتيانك هؤلاء تهلكهم ضيعة ؟ قال : إن الضيعة ما تأمرون به: أن أقيم حتى أهلك هزالاً . فقال : إن أطعتني رجعت على حرسين ، فكان طريقك حتى تأتي قومي، فتكون فيهم . قال : فما أصنع بمن كنت عودتهم إذا جاؤوني واعتروني؟ قال : تعتذر فيعذروك إذا لم يكن عندك شيء . قال: لكن أنا لا أعذر نفسي بترك الطلب ، فقال عروة يذكر شدة

---

(١) أم وهب: زوجته. كتيت: كت البعير والفصيل يكت كتيتاً: إذا صاح صياحاً ليناً، والفصيل: ولد الناقة.

(٢) حميت: السقاء يرب بالرب.

(٣) وربت شبعة: أي ليلة قريت فيها جائعاً. الشبعة من الطعام: قدر ما يشبع به مرة. تعير: من عار؛ وعار الفرس والكلب ذهب كأنه منفلت. هتيت: سريع.

(٤) لم يقيتوا: لم ينالوا قوتهم. أقاته وأقات عليه: أطاقه.

(٥) إذا ما فاتني: أي الحق. لم استقله: لا أقدر أن أرده. الملائم: الملامة.

(٦) تشتجر العوالي: اختلاط بعضها ببعض في الحرب. والعوالي: الرماح. حُوالي بالتشديد فخفف. قال اللحياني: يقال للمحتال من حُوالي الرجال إنه لَحوِلَة. اللب: العقل. الزميت: الوقور.

حال أهل "الكنيف" ومن "بماوان"، وقيامه بأمرهم حتى صلحوا، وندبه إياهم حتى خرجوا معه [١]:

قُلْتُ لِقَوْمٍ في الْكُنَيْفِ: تَرَوَّحُوا ... عَشِيَّةَ بِتْنَا عِنْدَ مَاوَانَ رُزَّحِ [٢]

تَنَالُوا الْغِنَى أَوْ تَبْلُغُوا بِنفُوسِكُمْ ... إِلى مُسْتَرَاحٍ مِنْ حِمَامٍ مُبَرِّحِ [٣]

وَمَنْ يَكُ مِثْلِي ذا عِيالٍ وَمُقِتِراً ... مِنَ الْمَالِ يَطْرَحْ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحِ [٤]

لِيَبْلُغَ عُذْراً أَوْ يُصِيبَ رَغِيبَةً ... وَمَبْلَغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلَ مَنْجَحِ

لَعَلَّكُمُ أَنْ تُصْلِحُوا بَعْدَمَا أَرى ... نَبَاتَ الْعِضَاهِ الثَّائِبِ الْمُتَرَوِّحِ [٥]

يَنُوؤونَ بِالأَيْدي وأَفْضَلُ زادِهِمْ ... بَقِيَّةُ لَحْمٍ مِنْ جَزُورٍ مُمَلَّحِ

(٣) تأبط شراً:

(أ) اسمه ونسبه:

هو ثابت بن جابر بن سفيان بن عدي بن كعب بن حرب بن تيم بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار[٦]. وفي الشعر والشعراء: هو ثابت بن عمسل إستناداً إلى قوله في شعره [٧]:

أَسافَ وأَفْنَى ما لَدَيْهِ ابنُ عَمْسَلِ .....

---

[١] ديوانه: ٢٠-٢١، ٣٩-٤١.

[٢] الكنيف: الحظيرة والمأوى. وكنف الله: حمايته. "بتنا" تروى: قلنا من القيلولة. ماوان: واد فيه ماء فيما بين النقرة والربذة فغلب عليه الماء فسمي ذلك الماء ماوان، وكانت منازل بني عبس فيما بين أبانين والنقرة وماوان والربذة. رزح: سقطوا من الإعياء.

[٣] تبلغوا بنفوسكم إلى مستراح: يريد أن تصيبوا مستراحاً من عنائكم الذي برح بكم. تروحوا المستراح: الراحة.

[٤] مقتر: مقل.

[٥] نبات العضاه الثائب: أي كما يؤوب العضاه ويثوب ورقه بعد الورق الذي سقط والعضاه: كل ما كان من شجر البر له شوك من طلح أو سدر. والمتروح: الذي استقبل البرد فوجد مسه يقطر ورقه من غير مطر.

[٦] المفضل الضبي : المفضليات: ٢٧.

[٧] ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ٣١٢/١. أساف الرجل: هلك ماله، فهو مسيف، وقد ساف المال نفسه يسوف: إذا هلك.

يعني نفسه، ولعله لقب [١]. وروى الأصمعي عن ابن طرفة الهذلي: هو ثابت بن جابر، وأنشد [٢]:

وَيْـــلُ امِّ طِـــرْفٍ قَتَلـــوا بِرَخْمَـــانْ بثـــابِتِ بـــنِ جـــابِرِ بـــنِ سُـــفْيَانْ

وهو من فهم؛ وفهم وعدوان أخوان. وكان شاعراً بئيساً يغزو على رجليه وحده[٣]. وفي خزانة البغدادي : اسمه ثابت، وكنيته أبو زهير ابن جابر بن سفيان بن عميثل بن عدي بن كعب بن حرب بن تيم ين سعد بن فهم بن عمرو بن قيس عيلان[٤] . وأمه امرأة يقال لها "أميمة" يقال: إنها من بني القين بطن من فهم، ولدت خمسة نفر: تأبط شراً، وريش لغب ، وريش نسر، وكعب جدر، ولا بواكي له، وقيل إنها ولدت سادساً اسمه عمرو [٥] . وتأبط شراً أحد الرآبيل؛ وهو جمع رئبال وهو الأسد. وشبّه به لإقدامه.

وريابيل (رآبيل) العرب الذين كانوا يغيرون على أرجلهم وحدهم . وقالوا: الرئبال: الذي تلده أمه وحده [٦] . وروى أبو عمرو الشيباني في الأغاني : أن تأبط شراً كان فاتكاً شديداً [٧] . وكان تأبط شراً أحد لصوص العرب[٨] . وكانت أمه تؤخذ (بوله) إذا غزا، فأخذت بوله وقد قتل بِحَيٍّ فعرفت أنه قد قتل، وهذيل تدعي قتله[٩] . وكان أحد العدائين، حيث روى أبو عمرو الشيباني أن تأبط شراً كان أعدى ذي رجلين وذي ساقين وذي عينين، وكان إذا جاع لم تقم له قائمة، فكان ينظر إلى الظباء فينتقي على نظره أسمنها، ثم

---

[١] ابن قتيبة: الشعر والشعراء: ٣١٢/١.

[٢] المصدر نفسه: ٣١٢/١. رخمان: بفتح الراء وسكون الخاء المعجمة: موضع في ديار هذيل.

[٣] المصدر نفسه : ٣١٢/١.

[٤] البغدادي: خزانة الأدب : ١٣٧/١.

[٥] الأصفهاني : الأغاني : ١٢٧/٢١.

[٦] التبريزي: شرح اختيارات المفضل: ٩٥/١.

[٧] الأصفهاني : الأغاني : ١٣٤/٢١.

[٨] البغدادي: خزانة الأدب: ١٣٨/١.

[٩] ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ٣١٢/١. تؤخذ : من التأخيذ، والأخذة بضم الهمزة : رقية تأخذ العين ونحوها كالسحر، أو خرزة يؤخذ بها النساء الرجال. الوله: الخوف، وشدة الحزن والجزع.

يجري خلفه فلا يفوته حتى يأخذه، فيذبحه بسيفه ثم يشويه فيأكله[١] ولقب تأبط شراً بهذا لأربعة أقوال[٢] :

أحدها: وهو المشهور، أنه تأبط سيفاً وخرج فقيل لأمه: أين هو؟ فقالت: لا أدري، تأبط شراً وخرج.

الثاني: أن أمه قالت له في زمن الكمأة: ألا ترى غلمان الحي يجتنون لأهلهم الكمأة فيروحون بها! فقال: أعطيني جرابك حتى أجتني لك فيه، فأعطته فملأه لها أفاعي من أكبر ما قدر عليه، وأتى بها متأبطاً له ، فألقاه بين يديها، ففتحته فسعين بين يديها في بيتها، فوثبت وخرجت منه، فقال لها نساء الحي: ماذا كان الذي تأبطه ثابت اليوم ؟ قالت: تأبط شراً.

الثالث: أنه رأى كبشاً في الصحراء فاحتمله تحت إبطه ، فجعل يقله ، فرمى به فإذا هو الغول، فقال قومه: بم تأبطت يا ثابت؟ فأخبرهم ، فقالوا : لقد تأبطت شراً.

الرابع : أنه أتى بالغول فألقاه بين يديها، فسئلت أمه عما كان متأبطاً ، فقالت ذلك، فلزمه. ومن ذكر أنه إنما جاءها بالغول يحتج بكثرة أشعاره في هذا المعنى ، فإنه يصف لقاءه إياها في شعره كثيراً، فمن ذلك قوله [٣] :

فَـــأَصْبَحَتِ الغُـــولُ لي جـــارةً فَيـــا جَارَتَـــا لَـــكِ مَـــا أَهْـــوَلا[٤]

وروى أبو عمرو الشيباني أنه سمي " تأبط شراً" لأنه لقي الغول في ليلة ظلماء في موضع يقال له "رحى بطان" في بلاد هذيل، فأخذت عليه الطريق فلم يزل بها، حتى قتلها، فلما أصبح حملها تحت إبطه وجاء بها إلى أصحابه، فقالوا له: لقد تأبطت شراً، فقال في ذلك[٥] :

---

[١] الأصفهاني : الأغاني : ١٢٨/٢١.

[٢] البغدادي : خزانة الأدب: ١٣٧/١-١٣٨.

[٣] الأصفهاني : الأغاني : ١٢٨/٢١.

[٤] المصدر نفسه والصفحة نفسها. وفي رواية " ما أغولا".

[٥] الأصفهاني : الأغاني: ١٢٨/٢١-١٢٩.

تَـأَبَّطَ شَـرّاً ثُـمَّ رَاحَ أَوْ اغْتَـدَى ... يُوائِـمُ غُنْمـاً أَوْ يُشِيفُ علـى ذَحْـلِ[١]

وقال أيضاً في ذلك[٢].

أَلاَ مَـنْ مُبْلِـغٌ فِتْيـانَ فَهْـمٍ ... بِمـا لاقَيْـتُ عِنْـدَ رَحـى بِطَـانِ[٣]

وأَنِّـي قَـدْ لَقِيـتُ الغُـولَ تَهْـوي ... بِسَـهْبٍ كالصَّحيفَـةِ صَحْصَحـانِ[٤]

فَقُلْـتُ لَهـا: كِلانـا نِضْـوُ أَيْـنٍ ... أَخُـو سَـفَرٍ فَخَلِّـي لي مَكَـاني[٥]

فَشَـدَّتْ شَـدَّةً نَحْـوي فَـأَهْوَى ... لَهَـا كَفِّـي بِمَصْقُـولٍ يَمَـاني

فَأَضْرِبُهـا بِـلاَ دَهَـشٍ فَخَـرَّتْ ... صَرِيعـاً لِلْيَدَيْـنِ وَلِلْجِـرَانِ[٦]

فقـالتْ: عُـدْ فَقُلْـتُ لَهَـا: رُوَيْـداً ... مَكـانَكِ إِنَّـني ثَبْـتُ الجَنَـانِ

فَلَـمْ أَنْفَـكَّ مُتَّكِئـاً عَلَيْهـا ... لِأَنْظُـرَ مُصْبِحـاً مـاذا أَتـاني

إِذا عَيْنَـانِ في رَأْسٍ قَبيـحٍ ... كَـرَأْسِ الْهِـرِّ مَشْـقُوقِ اللِّسـانِ

وَسَـاقَا مُخْـدَجٍ وَشَـوَاةُ كَلْـبٍ ... وَثَـوْبٌ مِـنْ عَبَـاءٍ أَوْ شِـنانِ[٧]

وذكر صاحب الأغاني، أنه قيل لتأبط شراً: هذه الرجال غلبتها فكيف لا تنهشك الحيات في سراك؟ فقال: إني لا أسري البردين؛ يعني أول الليل وآخره، لأنها تمور خارجة من حجرتها، وآخر الليل تمور مقبلة إليها[٨].

---

[١] الأصفهاني: الأغاني: ١٢٩/٢١. يوائم: يوافق: يشيف: يقتدر، يشرف، الأغاني: ١٦١/٢١. الذحل: الثأر.

[٢] المصدر نفسه: ١٢٩/٢١.

[٣] المصدر نفسه: ١٢٩/٢١. فهم: قبيلة الشاعر. رحى بطان: اسم موضع.

[٤] السهب: الفلاة. الصحصحان: ما استوى من الأرض.

[٥] الأغاني: ١٤٦/٢١. الأين: التعب والإعياء.

[٦] الأغاني: ١٤٧/٢١. الدهش: التحير. الجران: مقدم العنق.

[٧] الأغاني: ١٤٧/٢١. المخدج: الناقص الخلق والمولود قبل التمام. الشواة: قحف الرأس. الشنان: جمع شن؛ وهو القربة البالية.

[٨] الأصفهاني: الأغاني : ١٣٠/٢١ وديوانه: ٢٦٩.

(ب) صفاته:

تجمع كل الروايات التي وردت في الأغاني، وفي ديوان تأبط شراً على صفات كان يتمتع بها تأبط شراً منها:

أولاً: المكيدة والاحتيال، وسرعة العدو، وحدة السمع[١]، وفي ذلك يقول[٢] :

يـا عيـدُ مـالَكَ مِـنْ شَـوْقٍ وإيـراقِ ... ومَـرِّ طَيْـفٍ علـى الأهْـوالِ طَـرَّاقِ

ثانياً: حدة البصر وثباته في المعركة[٣] . يقول[٤] :

ألا تِلْكُمَـا عِرْسـي "مُنَيْعَـةُ" ضُمِّنَـتْ ... مِـنَ اللهِ إثْمـاً مُسْتَسِـرّاً وَعَالِنَـا

ثالثاً: كثرة غاراته على القبائل[٥]، يقول[٦] :

جَـزَى اللهُ فِتْيانـاً علـى العَـوْصِ أمْطَـرَتْ ... سَـمَاؤُهُمُ تَحْـتَ العَجاجَـةِ بـالدَّمِ

رابعاً: المخاتلة والاحتيال: كقصته مع "هذيل" عندما كان يشتار عسلاً.[٧] وفي ذلك يقول[٨] :

إذا الْمَـرْءُ لَـمْ يَحْتَـلْ وَقَـدْ جَـدَّ جِـدُّهُ ... أضَـاعَ وقاسـى أمْـرَهُ وَهْـوَ مُدْبِـرُ

---

[١] الأصفهاني: الأغاني: ٢١/١٣١-١٣٢، وديوان تأبط شراً: ٢٧١-٢٧٥.

[٢] الأغاني: ٢١/١٣٢ وديوانه: ٢٧٣ والمفضليات: ٢٧. العيد: ما اعتاد من حزن وشوق. مالك: ما أعظمك. الإيراق: الأرق. طراق: يقول يطرقنا ليلاً في موضع البعد والمخافة.

[٣] الأغاني: ٢١/ ١٣٥ وديوانه: ٢٧٥-٢٧٦.

[٤] الأغاني: ٢١/١٣٥ وديوانه: ٢٧٦. العرس: امرأة الرجل. السر: نقيض العلن.

[٥] الأغاني: ٢١/١٤١-١٤٢ وديوانه: ٢٨٥-٢٨٦.

[٦] الأغاني: ٢١/ ١٤٢ وديوانه: ٢٨٦. العوص: حي من بجيلة. العجاجة: الغبار.

[٧] الأغاني: ٢١/١٤٠ وديوانه: ٢٨٣.

[٨] الأغاني: ٢١/١٤١ وديوانه: ٢٨٥ والأخفش الأصغر: كتاب الاختيارين: ٢٩٥. وقد ورد هذا البيت مطلع القصيدة في حماسة أبي تمام: ١/١٦ وفي كتاب الاختيارين للأخفش الأصغر: ٢٩٥.

(ت) سمات البطولة عند تأبط شراً: وهي تلك التي نستقرؤها من كتاب الأغاني وديوانه مقرونة بشعره، ومنها:

أولاً: الثبات في المعركة: عندما كان يغير في عدة من فهم على العوص من بجيلة. حيث انتصر هو وصحبه عليهم بعد ثباتهم في المعركة[١] حيث يقول[٢]:

جَزَى اللهُ فِتْياناً على الْعَوْصِ أَمْطَرَتْ سَماؤُهُمُ تَحْتَ العَجاجَةِ بالدَّمِ

ثانياً: الشجاعة: حيث كان يغير على قبيلة "الأزد" وحده[٣]. وفي ذلك يقول[٤]:

تُرَجِّي نِساءُ الأَزْدِ طَلْعَةَ ثابِتٍ أَسيراً ولَمْ يَدْرِينَ كَيْفَ حَوِيلي

ثالثاً: قتله "تمراً" عندما خرج مع أصحابه، وتركوه في بطن واد وحده.[٥]

(ث) ومن الصفات المذمومة والسيئة عند تأبط شراً، وإن كانت مألوفة في حياة الصعاليك، وهي "الغيلة والغدر". ومنها قتله "البجلي" بعد نومه، والإستيلاء على زوجته وإبله[٦]، حيث قال[٧]:

بحَليلَةِ البَجَلِيِّ بِتْ مِنْ لَيْلِها بَيْنَ الإِزارِ وكَشْحِها ثُمَّ الصَّقِ

---

[١] الأصفهاني: الأغاني: ٢١/١٤١، ١٤٢.

[٢] المصدر نفسه: ٢١/١٤٢.

[٣] المصدر نفسه: ٢١/١٥٣.

[٤] المصدر نفسه: ٢١/١٥٣. ثابت: تأبط شراً، أي يعني نفسه. الحويل: الاحتيال والمهارة.

[٥] المصدر نفسه: ٢١/ ١٣٩.

[٦] المصدر نفسه: ٢١/ ١٤٩، ١٥٠.

[٧] المصدر نفسه: ٢١/١٥٠. الإزار: ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن. الكشح: ما بين الخاصرة والضلوع.

وخلاصة القول أن تأبط شراً هو من الشعراء الصعاليك، الذين اشتهروا باللصوصية والفتك والسلب والنهب والإغارة. وهو أحد العدائين الذين لا تلحقهم الخيل. ونلحظ في شخصية تأبط شراً جانبين هما:

أولاً: جانب التصعلك الذي يشرك فيه أقرانه الصعاليك.

ثانياً: جانب البطولة، الذي يتسم بسرعة العدو، وقوة الجسم، وحدة السمع والبصر، والشجاعة والثبات في المعركة، والفطنة والذكاء والمكيدة والحذر وشدة الانتباه. وكلها من سمات البطولة التي ينبغي أن يتحلى بها البطل، وتميزه عمن سواه.

كما أن تأبط شراً ورفاقه الصعاليك لم يكونوا موضوع دراسة البطولة، وإنما هم نماذج للشعراء الصعاليك. حيث أوردت مثالاً للبطولة التي تحققت في الشعراء الفرسان الذين مضى ذكرهم في الفصل الرابع.

الفصل السادس

دراسة في الخصائص الفنية

١- الشكل والبناء (وحدة الموضوع)

٢- اللغة الشعرية والأسلوب (الألفاظ والتراكيب والمعاني)

٣- الأخيلة والصور الشعرية

٤- الموسيقى الشعرية

٥- الأوزان والقوافي

الفصل السادس
دراسة في الخصائص الفنية

دراسة في الخصائص الفنية

(١) الشكل والبناء (وحدة الموضوع):

في الشعر الجاهلي ضربان من القصائد؛ الضرب الأول قصائد طويلة كاملة، تعالج – في غالبها– أكثر من موضوع واحد، أي إن فيها مجموعة تجارب مجزأة إلى مراحل وموضوعات، مرتبطة أحياناً ومفككة في أحيان أخرى، وهذا الضرب من الشعر هو الذي اعتنت به الدراسات قديماً وحديثاً، ويتمثل في القصائد الطوال المشهورة وأهمها المعلقات[١]. أما الضرب الثاني من الشعر فهو القصائد القصار والمقطعات، التي تتسم بصدق الصور والعواطف والأحاسيس، وتتمثل فيها وحدة الموضوع والتجربة الشعورية الصادقة على ما فيها من سرعة وإيجاز . وتتركز الدراسة حول شكل القصيدة أو بنيتها في القصائد الطوال "المعلقات"، التي تتعدد فيها الموضوعات، وتسير على نظام معين كان موروثاً منذ الجاهلية حتى العصور العباسية [٢]. ولم تك موضوعات القصيدة أو أجزاؤها مرتجلة على غير نظام، بل يمهد الشاعر للموضوع الذي يختاره، فيجعل له مقدمة طللية، ينتقل بعدها إلى ذكر أهل هذه الأطلال ، وأيام الصبا والهوى، ثم يفخر أمام حبيبته ببطولته وكثرة وقائعه وشدة بلائه. ويتداخل فخره بنفسه بفخره بقبيلته ، والتغني بأمجادها، ثم يتحدث عن تجشمه الأهوال وسعيه في سبيل المجد، وكثرة ترحاله وطول أسفاره، التي يصحب فيها الحيوان وبخاصة الناقة، وفي الرحلة مشاهد كثيرة، وأهوال جسام وليل مظلم. وفي هذه اللوحة من الطبيعة مشاهد من صراع الحيوان مع الصائدين، ويتمثل ذلك الصراع بين الطبيعة وسكانها من إنسان وحيوان. ووصف ذلك الصراع وتلك المعارك هو وصف للبطولة، وتعبير عن ذات الشاعر في انتصار الثور أو فوز الحمار بأتانه بعيداً

---

[١] يحيى الجبوري: الشعر الجاهلي : ٢٤١.

[٢] المصدر نفسه: ٢٤١، ٢٤٢.

عن أعين الرقباء وتربص الصيادين. وقد يكون ذلك رمزاً استعاره الشاعر لتحقيق أمانيه وأحلامه في أن ينتصر أو يخلو بحبيبته. وبعد ذلك يعود الشاعر إلى ذاته، ويستيقظ من أحلامه فيجدد القول في غرض آخر يريده أو يتعرض له، ثم يخلص بعد ذلك إلى الخاتمة فيلخص تجاربه في بعض الحكم. فهذا هو نسق القصيدة ونظامها الذي كان عرفاً متبعاً عندهم. ولكل جزء من أجزاء القصيدة نظام خاص عند الشعراء، يجدر بنا أن نقف عنده، ونفصله بعض الشيء[١] .

المطلع:

لقد انصرفت عناية الشعراء منذ القديم إلى الاهتمام بمطالع قصائدهم، لأنها أول ما تفاجيء السامع فلا بد أن يكون لها وقع حسن، ولذلك فقد حمد النقاد للشعراء مطالعهم الحسنة التي تكون واضحة سهلة المأخذ مع القوة والجزالة [٢] .

وقد مدحوا المطالع التي تناسب الحال والمقام، كقول أوس بن حجر في ابتداء مرثيته[٣] :

أَيُّتُهـــا النَّفْـــسُ أَجْمِلـــي جَزَعـــاً إِنَّ الـــذي تَحْذَريـــنَ قَـــدْ وَقَعَـــا

وكذلك قول النابغة الذبياني في قصيدة الاعتذار للنعمان التي بدأها بقوله[٤]:

كَلِيـــنِي لِهَـــمٍّ يـــا أُمَيْمَـــةَ نـــاصِبِ وَلَيْـــلٍ أُقاســـيهِ بَطـــيءِ الْكَواكِـــبِ

واذا استعرضنا القصائد الطويلة (المعلقات) نجدها تبدأ بالديار والوقوف على الأطلال ، فهذا هو أسلوب المعلقات في الاستهلال، كقول طرفة : "لخولة أطلال ببرقة

---

[١] يحيى الجبوري: الشعر الجاهلي: ٢٤٢.

[٢] ابن رشيق: العمدة : ٢١٨/١.

[٣] أبو هلال العسكري : الصناعتين، ت: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة البابي الحلبي، ١٩٧١م: ٤٣٣ وديوانه: ٥٣. الجزع: نقيض الصبر.

[٤] المصدر نفسه: ٤٣٣ وديوانه: ٥٤ ومصطفى السقا: مختار الشعر الجاهلي: ١٥٩/١. كليني: دعيني. أميمة بالفتح، والأحسن بالضم. قال الخليل: من عادة العرب أن تنادي المؤنث بالترخيم، فلما لم يرخم هنا (بسبب الوزن) أجراها على لفظها مرخمة، وأتى بها بالفتح. ناصب: متعب. بطيء الكواكب: أي لا تغور كواكبه.

ثهمد" وقول لبيد يصف الديار: "عفت الديار محلها فمقامها" وعنترة يتعرف على الديار بعد طول توهم : "هل غادر الشعراء من متردم"، ولم يشذ عن هذه السنة من أصحاب المعلقات إلا عمرو بن كلثوم ، الذي بدأها بذكر الخمر وشربها ليمهد إلى عتاب عمرو بن هند، فقال : "ألا هبي بصحنك فاصبحينا" [١].

هذا هو الأسلوب العام في ابتداء المطولات ، ولكن هذا لا يعني أن كل الشعر الجاهلي كان يفتتح بذكر الديار، كما شذت معلقة عمرو بن كلثوم، فقد نشزت قصائد كثيرة عن هذا النهج. فمن الشعراء من استبدل الديار بالغزل والحديث عن النفس كما فعل زهير ابن أبي سلمى في قصيدته التي يمدح بها حصن بن بدر الفزاري [٢] :

صَحَا الْقلبُ عَنْ سَلْمَى وأَقْصَرَ باطِلُهْ ... وَعُرِّيَ أَفْراسُ الصِّبا ورَوَاحِلُهْ

وأَقْصَرَ عَمَّا تَعْلَمِينَ وسُدِّدتْ ... عَلَيَّ سِوَى قَصْدِ السَّبيلِ مَعَادِلُهْ[٣]

وعلى هذه الشاكلة من الخروج على قاعدة المقدمة الطللية والوقوف بالديار شعر الصعاليك في أكثره، فهو يستعيض عن الديار بمحاورة النساء اللواتي يشفقن عليهم من خوض الغمرات والوقوع في المهالك ، كقول عمرو بن براقة [٤] :

تَقُولُ سُلَيْمى لا تَعَرَّضْ لِتَلْفَةٍ ... ولَيْلُكَ عَنْ لَيْلِ الصَّعاليكِ نائِمُ

وكَيْفَ ينامُ اللَّيْلَ مَنْ جُلُّ مالِهِ ... حُسامٌ كَلَوْنِ المِلْحِ أَبْيَضُ صارِمُ

---

[١] يحيى الجبوري: الشعر الجاهلي : ٢٤٥.

[٢] المصدر نفسه: ٢٤٥.

[٣] شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعة الإمام أبي العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني ثعلب، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، ١٣٦٣هـ - ١٩٤٤م، الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م: ١٢٤، ١٢٥. صحا القلب: انكشف عنه ما كان به من سكر الباطل. أقصر باطله: كف. "عري أفراس الصبا": مثل؛ يقول: ترك الصبا وترك الركوب فيه. أقصرت: كففت عما تعلمين من الباطل. معادله: طريقه ومذهبه.

[٤] القالي: الأمالي: ١٢٢/٢ والأصفهاني: الأغاني: ١٩٨/٢١. سليمى: تصغير (سلمى)، كانت بنت سيد قبيلة عمرو بن براق، وكانوا يستأنسون برأيها وعنه يصدرون. التلفة: الهلاك.

وكذلك يخاطب عروة امرأته سلمى ابنة منذر بأن تدعه وشأنه في حياة الصعلكة جريئاً غازياً يبيع نفسه لموت شريف [١] :

أَقِلِّي عليَّ اللَّوْمَ يا ابْنَةَ مُنْذِرِ ... ونامي فإنْ لَمْ تَشْتَهي النَّوْمَ فاسْهَري

ذَرِيني ونفسي أُمَّ حَسَّانَ إنَّني ... بها قَبْلَ أنْ لا أَمْلِكَ البيعَ مُشْتَري

أحاديثُ تَبْقى والفَتى غَيْرُ خالِدٍ ... إذا هو أمْسَى هامةً تَحْتَ صَيِّرِ

التخلص:

إن الشاعر المجيد هو الذي يحسن الانتقال ، فيغادر موضوعه الأول إلى الذي يليه دون خلل أو انقطاع، ويجعل معانيه تنساب إلى الموضوع الآخر انسياباً بحيث لا يشعر قارئه بالنقلة ، بل يجد نفسه في موضوع جديد هو استمرار للأول وامتداد له، وبين الموضوعين تمازج والتئام وانسجام [٢] . وقد مدحوا لزهير بعض انتقالاته إلى المديح في مثل قوله [٣] :

إنَّ البَخيلَ مَلُومٌ حَيْثُ كانَ وَلَـ ... ـكنَّ الْجَوادَ على عِلاَّتِهِ هَرِمُ

وقد يتخذ الانتقال شكل التساؤل، وبخاصة في سياق رحلة الأحبة كقول عنترة [٤] :

هَلْ تُبْلِغَنِّي دارَها شَدَنِيَّةٌ ... لُعِنَتْ بِمَحْرومِ الشَّرابِ مُصَرَّمِ

---

[١] الأصمعي : الأصمعيات: ٤٣.

[٢] ابن رشيق: العمدة : ٢٣٤/١.

[٣] ديوانه: ١٥٢. على علاته: على عسره ويسره.

[٤] ديوانه: ١٩٩. وابن الأنباري: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: ٣١٩، ٣٢٠. شدنية: ناقة نسبت إلى أرض أو حي باليمن. لعنت: دعي عليها في ضرعها لا تلقح ولا تحمل فهو أشد لها. بمحروم الشراب: لعنت في محروم الشراب. المصرم: الذي أصاب أخلافه شيء فقطعه، من صرار أو غيره.

وهناك أساليب كثيرة في التخلص والانتقال، وقد يستخدم الشاعر لذلك الاستفهام أو الإشارة أو بعض الحروف كالفاء والواو ورب وبل [١] ومن جميل ما قيل بالإشارة قول لبيد [٢]:

تِلْكَ ابْنَةُ السَّعْدِيِّ أَضْحَتْ تَشْتَكي ... لِتَخُونَ عَهْدي والْمَخانَةُ ذَامُ

أو الإشارة والاستفهام معاً كقوله [٣] :

أَفَتِلْكَ أَمْ وَحْشِيَّةٌ مَسْبُوعَةٌ ... خَذَلَتْ وهادِيَةُ الصِّوارِ قِوَامُها

وقد يتخذ الجاهليون الانتقال المفاجيء بالقطع، وذلك بأن يقول: "دع ذا" أو "فدعها" أو "عد عن ذا"، وهذه أساليب ليست مما تمدح في انتقالاتهم [٤]، كقول الأعشى بعد أن كان يتحدث عن صاحبته انتقل إلى الناقة فجأة [٥] :

فَدَعْها وَسَلِّ الْهَمَّ عَنْكَ بِجَسْرَةٍ ... تَزِيدُ في فَضْلِ الزِّمامِ وَتَغْتَلي

وقول المثقب العبدي [٦]:

فَسَلِّ الْهَمَّ عَنْكَ بِذَاتِ لَوْثٍ ... عُذَافِرَةٍ كَمِطْرَقَةِ الْقُيُونِ

---

[١] يحيى الجبوري: الشعر الجاهلي: ٢٥٥.

[٢] ديوان لبيد بن ربيعة العامري: ١٦١. المخانة: خون النصح والود. الذام: العيب.

[٣] ديوان لبيد بن ربيعة: ١٧١. أفتلك: أي أتلك الأتان هي التي تشبه ناقتي أم تشبهها بقرة وحشية مسبوعة. الوحشية: البقرة. المسبوعة: التي أكل السبع ولدها فهي مذعورة. خذلت: تأخرت عن القطيع. الهادية: التي تهدي الصوار، أي تكون في أوله. الصوار: القطيع من البقر. قوامها: يعني أنها تهتدي بأول الصوار.

[٤] يحيى الجبوري: الشعر الجاهلي: ٢٥٥،٢٥٦.

[٥] ديوانه: ٣٠٩. الجسرة: الناقة القوية الجريئة على الأسفار. تزيّد: تتزيد؛ تزيدت الناقة: مدت عنقها وسارت مسرعة. الزمام: الحبل الذي تقاد به. تغتلي: تسرع.

[٦] المفضل الضبي: المفضليات: ٢٩٠. اللوث: الشدة. العذافرة: الشديدة الرقة. القيون: الحدّادون، مفردها قَيْن.

الخاتمة:

لقد لاحظ النقاد أن لخاتمة القصيدة أثراً في النفس ووقعاً مهماً، لأنها آخر معنى يبقى في الأذهان. وفي الشعر الجاهلي نهايات جميلة أعجبت النقاد قديماً، من ذلك قول تأبط شراً [١]:

لَتَقْرَعَنْ عَلَيَّ السِّنَّ مِنْ نَدَمٍ ... إِذا تَذَكَّرْتَ يَوْماً بَعْضَ أَخْلاقي

وقد أعجبهم انتهاء الشنفرى في قوله [٢]:

وإِنِّي لَحُلْوٌ إِنْ أُرِيدَتْ حَلاوَتي ... وَمُرٌّ إِذا نَفْسُ الْعَزُوفِ اسْتَمَرَّتِ

أَبِيٌّ لِمَا آبى سَرِيعٌ مَبَاءَتي ... إِلى كُلِّ نَفْسٍ تَنْتَحي في مَسَرَّتي [٣]

وكثيراً ما يختم الجاهليون قصائدهم بالحكمة ؛ وهي خلاصة تجاربهم ونظرتهم إلى الحياة، حيث أوجز لبيد حكمته في إحدى قصائده [٤] ، فقال [٥]:

وإِنَّا وإِخْواناً لَنَا قَدْ تَتَابَعُوا ... لكَالْمُغْتَدي والرَّائِحِ الْمُتَهَجِّرِ

هَلِ النَّفْسُ إِلاَّ مُتْعَةٌ مُسْتَعارَةٌ ... تُعارُ فَتَأْتي رَبَّها فَرْطَ أَشْهُرِ

---

[١] أبو هلال العسكري : كتاب الصناعتين : ٤٤٤، والمفضليات: ٣١. لتقرعن، تذكرت: هما خطاب للرجل العاذلة، بكسر العين والتاء، أو بفتحهما على اللفظ أو على المعنى. وقرع سنّه: حرقه ندماً.

[٢] يحيى الجبوري: الشعر الجاهلي: ٢٥٩.

[٣] المفضل الضبي: المفضليات: ١١٢. البيتان "٣٥، ٣٦". المباءة: الرجوع. تنتحي في مسرتي: تقصد إلى ما يسرني.

[٤] يحيى الجبوري: الشعر الجاهلي: ٢٥٧، ٢٥٨.

[٥] ديوانه: ٧٢. يذكر الشاعر من فقد من قومه ومن سادات العرب. إذ تتابعوا في الموت فهم ثلاثة أصناف كما شبههم؛ صنف مات غدوّاً، وصنف مات في منتصف النهار، وصنف مات عشياً. فرط أشهر: بعد أشهر.

وتكون الوحدة الموضوعية (وحدة الموضوع) في :

(أ) بيت الشعر :

البيت في الشعر العربي يقوم بمعناه، وهو مستقل بنفسه لا يتعلق بما بعده، ذلك لأن العربي يؤثر الإيجاز ويفضل المثل السائر الذي تلتقطه الذاكرة ويجري على ألسنة الرواة. ويفضل القدامى البيت المكتمل على المحتاج إلى غيره، بل يرون البيت الذي حوى معنيين، أجود من الذي اكتفى بمعنى واحد[١] ، وفي ذلك يقول قدامة: "إن الشاعر إذا أتى بالمعنى الذي يريد أو المعنيين في بيت واحد كان أشعر منه إذا أتى بذلك في بيتين، فالذي يجمع المعنيين في بيت، أشعر من الذي يجمعهما في بيتين[٢] .

وقد عابوا الشعر الذي لا يستقل فيه بمعناه، بل يحتاج إلى سواه، وسموا ذلك البيت "مبتوراً"[٣] ، ومثل قدامة لذلك ببيت عروة بن الورد:

فَلَوْ كَالْيَوْمِ كَانَ عَلَيَّ أَمْرِي ... وَمَنْ لَكَ بِالتَّدَبُّرِ فِي الأُمُورِ

إِذاً لَمَلَكْتُ عِصْمَةَ أُمِّ وَهْبٍ ... عَلَى مَا كَانَ مِنْ حَسَكِ الصُّدُورِ[٤]

فالبيت الأول لا يستقيم معناه ولا يتم إلا بورود البيت الثاني. وقد يسمى مثل هذا "بالتضمين" ويكون أشد قبحاً إذا تعلقت القافية أو لفظة مما قبلها بما بعدها، واستشهد ابن رشيق بقول النابغة الذبياني: -

وهُمْ وَرَدُوا الجِفَارَ على تَميمٍ ... وهُمْ أَصْحابُ يَوْمِ عُكاظَ إِنِّي

---

[١] يحيى الجبوري : الشعر الجاهلي: ٢٥٩.

[٢] قدامة بن جعفر: نقد النثر، ت: طه حسين وعبد الحميد العبادي، القاهرة، ١٩٣٨م: ٨٩.

[٣] قدامة بن جعفر: نقد الشعر: ٢١٧ والمرزباني: الموشح، ت: علي محمد البجاوي، مطبعة البيان العربي، ١٩٦٥م: ١٢٩.

[٤] المصدران السابقان: ٢١٧، ١٢٩ وديوانه: ٥، ٥٩. وجاء البيت في ديوانه:

ألا وأبيكَ لو كاليوم أمري ... ومن لكَ بالتدبر في الأمور

أم وهب: كنية زوجته سلمى. قوله: ألا وأبيك لو كاليوم أمري: أي لو كنت يومئذ مثل اليوم أملك أمري لم أفارقها. يقال عصمة فلانة بيد فلان: أي ملك أمرها. والعصمة: المنع والقلادة. الحسك: الغل والحقد والعداوة.

(ب) في القصيدة [١]:

تقوم على أساس تنمية الشاعر لأقسام القصيدة تنمية عضوية بحيث ينشأ كل جزء من سابقه نشوءاً طبيعياً مقنعاً ويستدعي الجزء الذي يليه استدعاء حتمياً، حتى تتكامل أجزاء القصيدة وتشملها عاطفة موحدة، وتتحقق هذه الوحدة في القصائد ذات الموضوع الواحد ، وهي القصائد القصيرة والمقطوعات، أو القصائد الطويلة ذات الموضوعات القصصية، وتتحقق أيضاً في الطويلة ذات الموضوعات المتعددة كل جزء على انفراد، ولا يعني هذا أن يكون بين موضوعات القصيدة انسجام في طريقة التخلص أو الانتقال. والشعر الجاهلي بخاصة – والشعر القديم بعامة – لا تتوفر في قصائده الطوال هذه الوحدة إلا قليلاً، ومن الخطأ والتعسف الفاحش تطبيق المفاهيم الأوروبية الحديثة على الأدب القديم، مع اختلاف طبيعة كل أدب في النظرة والموضوع، فقد دخلت الأدب الحديث قيم ومفاهيم جديدة بحيث صارت الوحدة الموضوعية والعضوية ضرورة لا غنى عنها – على قلة توفرها في الشعر الحديث نفسه– وليس كذلك الأدب القديم ، فعلينا أن نتفهم الشعر القديم في حدوده وظروفه ومقاييسه في عصوره تلك[٢]. فالوحدة الموضوعية، أو الوحدة المعنوية كما يسميها الدكتور طه حسين [٣]، تتحقق في الشعر الجاهلي في أجزاء من القصائد الطويلة في الموضوع الواحد وتتحقق في الشعر القصصي أو ذلك الذي يصور أحداثاً بعينها، وتتحقق في كثير من القصائد القصار، وقصائد الغزل والرثاء، ومن تلك القصائد، قصيدة طرفة بن العبد [٤]:

---

[١] طه حسين: حديث الأربعاء، دار المعارف – القاهرة، ١٩٨٢م:١/٣٠ وما بعدها ما كتبه عن قصيدة لبيد. وفؤاد أفرام البستاني: الشعر الجاهلي (الروائع)، المطبعة الكاثوليكية – بيروت، ط٣ (منقحة ومزيدة)، ١٩٤٩م: ٣٠-٣٢. ومحمد النويهي: الشعر الجاهلي، منهج في دراسته وتقويمه، الدار القومية للطباعة والنشر – بيروت، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م: ٤٣٥. وعبد الجبار المطلبي: في الشعر العربي القديم ونقده، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، نيسان، ١٩٦٤م: ٣٠-٣٢.

[٢] يحيى الجبوري : الشعر الجاهلي: ٢٦٤.

[٣] طه حسين : حديث الأربعاء : ٣٠ ، وقد أسماها النويهي : الشعر الجاهلي : ٤٣٥/٢ " الوحدة الحيوية " وأسماها البستاني : الروائع (الشعر الجاهلي) : ٣٠ " الوحدة الشعورية".

[٤] يحيى الجبوري : الشعر الجاهلي: ٢٦٥.

أَتَعْـرِفُ رَسْـمَ الـدَّارِ قَفْـرَاً منازِلُـهْ كَجَفْنِ الْيماني زَخْرَفَ الْوَشْـيَ ماثِلُـهْ[١]

وقصيدة تأبط شراً [٢] :

إِنَّ بالشِّـعْبِ الـذي دُونَ سَـلْعٍ لَقَتِيـلاً دَمُـهُ مـا يُطَـلُّ

وقصيدة عروة بن الورد [٣] :

أَرَى أُمَّ حَسَّـانَ الغَـدَاةَ تَلُومُـني تُخَوِّفُـني الأَعْـداءَ والنَّفْـسُ أَخْـوَفُ

بل إن أكثر شعر الصعاليك تتوفر فيه الوحدة الموضوعية [٤] ، وليس هذا لأن شعر الصعاليك مقطوعات ولكن حتى القصائد الطويلة تجدها مترابطة متلازمة تتداعى أفكارها، وإن شئت فاقرأ رائية عروة بن الورد التي يستهلها بقوله [٥] :

أَقِلِّـي عَلَـيَّ اللَّـوْمَ يـا بِنْـتَ مُنْـذِرٍ ونامي وإِنْ لَمْ تَشْتَهِي النَّوْمَ فاسْهَري[٦]

فستجد فيها وحدة متناسقة، وترابطاً بين أبياتها وتلازماً في معانيها بحيث لا تستطيع أن تستغني عن بيت فيها في موضعه الذي حدده الشاعر[٧] .

وقد تحدث الدكتور طه حسين [٨] عن الوحدة المعنوية في القصيدة الطويلة وقال: إنها وحدة متقنة متمة إتماماً لا شك فيه ولا غبار عليه، وقال: إن أجزاء القصيدة جاءت ملتئمة الأجزاء قد نسقت أحسن تنسيق وأجمله وأشد ملائمة للموسيقى، وعزا الخلل

---

[١] شرح ديوان طرفة بن العبد، قدّم له وعلّق حواشيه: سيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتب، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت، د.ت: ٧٥. اليماني: سيف منسوب إلى اليمن. ماثله: صانعه.

[٢] أبو تمام : ديوان الحماسة، شرح التبريزي: ٣٤٢/١. الشعب: الطريق في الجبل، وسلع: موضع. طُلَّ دمه: ذهب هدراً لا يثأر به.

[٣] ديوانه: ١٠٧. كانت امرأته تنهاه عن الغزو.

[٤] يوسف خليف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف بمصر – القاهرة، ط٢، ١٩٦٦م: ٢٦٢–٢٦٣.

[٥] يحيى الجبوري : الشعر الجاهلي: ٢٦٦.

[٦] ديوانه: ٦٦. وفي الأصمعيات: ٤٣ "يا ابنة منذر"، ابنة منذر: امرأته، وهي سلمى، التي سباها من كنانة وأعتقها وأولدها أولاده.

[٧] يحيى الجبوري : الشعر الجاهلي: ٢٦٦.

[٨] حديث الأربعاء: ٣٠/١.

والتفكك والانقطاع في بعض القصائد إلى قصور ذاكرة الرواة، وما أحدثت من الإضاعة والخلط والإضطراب. وتناول معلقة لبيد فحللها وقال: إنها بناء متقن محكم لا تستطيع أن تقدم فيه وتؤخر أو تضع بيتاً مكان بيت دون أن تفسد القصيدة وتشوه جمالها، ودون أن تفسد البناء كله وتنقضه نقضاً [١] .

إن محاولة الدكتور طه حسين كانت منصبة على إبراز الترابط العضوي في الموضوع الواحد من القصيدة، وهي حقيقة قائمة في معلقة لبيد وفي كثير من القصائد الطوال، ولكن ليس معنى هذا أن هناك ترابطاً عضوياً في أجزاء القصيدة الواحدة ، ولو أنه لاحظ الانتقال أو التخلص من موضوع إلى آخر فيه يسر وعفوية وبراعة [٢] .

إن التئام أجزاء القصيدة لا يعني الوحدة الموضوعية أو العضوية ، إن الوحدة تتحقق في كل جزء من أجزاء القصيدة لدى لبيد أو غيره من شعراء الجاهلية المجيدين ، فإذا اعتبرنا كل قسم من أقسام القصيدة وحدة مستقلة، نستطيع أن نلتمس الوحدة الموضوعية في هذا الجزء أو ذاك [٣] .

وأقسام القصيدة هذه ، هل كانت تأتي عفوية وعلى غير نظام أم أن الشاعر كان يلمح فيها نظاماً، أو يريد ترابطاً في موضوعاتها ومعانيها لعل طبيعة الحياة هي التي أوجبت ذلك التسلسل في الموضوعات وجعلت بينها تداعياً في المعاني وتلازماً في الأفكار؟ وقد صار أسلوب الأوائل في نظام القصيدة تقليداً فنياً، وهو - في حقيقة الأمر- ليس بعيداً عن واقع الحياة في البادية العربية بما فيها من تنقل وترحال وأسفار[٤] . وهكذا نجد الصلة وثيقة بين موضوعات القصيدة الواحدة، فكل جزء فيها يذكر بجزء بعده ويستجيب لما قبله، فإذا المعاني موصولة يأخذ بعضها برقاب بعض، لأن الأفكار متداعية، هذا إذا أحسن الشاعر التخلص والربط بين الموضوعات ولائم بين الأجزاء، ولم يكن في القصيدة قطع أو بتر أو خلل واضطراب، والشاعر الجيد هو الذي يحسن وصل فكرة بأخرى بحيث تبدو امتداداً لها [٥] .

---

[١] يحيى الجبوري : الشعر الجاهلي: ٢٦٧.

[٢] المصدر نفسه: ٢٦٧.

[٣] المصدر نفسه : ٢٦٧.

[٤] المصدر نفسه: ٢٦٧.

[٥] المصدر نفسه : ٢٦٨.

(٢) اللغة الشعرية والأسلوب (الألفاظ والتراكيب والمعاني):

لكل كلمة جرس نغمي تؤديها الحروف المنطوقة، ولا شك أن بعض القبائل كانت تختلف عن الأخرى في طريقة أداء اللفظ ونبر الكلمة من حيث نطق الحروف، كالشدة، والتفخيم ، والإمالة، والإخفاء، والإظهار، والسرعة، والتأني، وغير ذلك. وهذا - لا شك- لا يؤثر على المعنى، لأن طريقة الأداء لا تغير من معنى الكلمة، كما أن هذه الحالة لا تنقل في الشعر، إذ إن كل راو يروي الشعر بنطقه هو فلا يترتب على ذلك خلل في الوزن أو تغيير في المعنى ... فاللهجات التي يتحدث عنها اللغويون بين القبائل وبخاصة عرب الشمال وعرب الجنوب لا تظهر في الشعر ولا تنقل في الرواية[١] .

وذهب مصطفى السحرتي إلى " أن اختيار الكلمة الواجبة المؤثرة هي أول خطوة للبناء الفني..."، ثم يقول :" وتلعب الألفاظ دوراً مهماً في الإيحاء برؤية الشاعر فلا تعتبر الألفاظ وسيلة للإبانة عن الرؤية ، بل تكون مادة من موادها" [٢] .

ويقول سعد إسماعيل شلبي : "وأول ما يجابهنا في الشعر صعوبة ألفاظه، واحتجاب معانيه وأحاسيسه خلف هذا المانع بحيث أصبح بيننا وبينها حاجز جعل هذا الشعر بغيضاً إلى نفوسنا ونفوس أبنائنا. وأصبحنا مطالبين بالبحث عن معاني الكلمات ودلالاتها في المعاجم اللغوية، وأمهات الكتب الأدبية " [٣]، ويقول الدكتور طه حسين في مقدمة كتابه حديث الأربعاء مصوراً الصعوبة التي تعترض القاريء، وبخاصة بعد أن تطورت الحياة وانقطعت الصلة، أو كادت تنقطع بيننا وبين الجاهليين : "ألفاظ ضخمة تنبو عنها أذنه وتستغلق معانيه عليه فإذا حاول فهمها لجأ إلى الشروح والمعاجم فإذا هذه الشروح والمعاجم مضطربة شديدة الاختلاط كثيرة الاستطراد... تختلط فيها الروايات والأقاويل ومسائل النحو ومذاهب اللغويين" [٤] .

---

[١] يحيى الجبوري: الشعر الجاهلي: ٢٦٩.

[٢] مصطفى عبداللطيف السحرتي: النقد الأدبي من خلال تجاربي ، مطبعة لجنة البيان العربي، ١٩٦٢م: ٨٠، ٨١.

[٣] سعد إسماعيل شلبي: الأصول الفنية للشعر الجاهلي، مكتبة غريب، الفجالة - القاهرة، ط٢، (مزيدة ومنقحة)، د. ت: ٥٧.

[٤] حديث الأربعاء: ١/١١.

والواقع أن هذه الصعوبة ليست طبيعية في هذا الشعر العريق، وهذه الغرابة التي تصادفنا عندما نحاول تفهم ألفاظه وأساليبه، منشؤها البعد الزماني والمكاني والاجتماعي والثقافي بيننا وبين الجاهليين، أما بالنسبة لهم فليست الألفاظ بالغريبة ولا بالغامضة بل هي لغتهم التي يتحدثون بها، والشعر الذي يصاغ منها هو فنهم المفضل الذي كانوا ينشدونه بالبديهة أو شبهها، ومن هنا كانت الأبيات التي تحفل بأسماء الديار والجبال والربوع والوديان والوهاد وغيرها من الأمكنة، أصعب الأبيات على الإطلاق في مفتتح القصائد، فتصدف نفوسنا عنها وننصرف وقد أعطينا القصيدة ظهورنا، ولو أخذنا أنفسنا بالصبر والأناة، وهما من سمات المتخصصين ألفينا لهذا الشعر جمالاً ووجدنا لذة في قراءته[١].

وعلل الدكتور شوقي ضيف إغراب بعض شعراء الجاهلية بتغطية معانيه القريبة وأفكاره العادية، فظن أن شاعراً كزهير بن أبي سلمى كان يحجب معانيه خلف ستار كثيف من الألفاظ إذا وصف الناقة والعير وما أشبه ذلك على حين يأتي بالسهل الشائع إذا مدح أو قال الحكمة [٢]. وفاته أن شاعر الجاهلية لا يلجأ إلى مثل هذه الحيل التي تتوقعها من البحتري وأبي تمام وأضرابهما من شعراء العصر العباسي، أما شاعر العصر الجاهلي فليس في حاجة إلى التفاصح وخاصة إذا لم يكن من المتكسبين الذين يحرصون كل الحرص على استرضاء الممدوحين [٣]. فشاعر العصر الجاهلي إذا تحدث عن المعنويات في مجال المديح والفخر والحكمة نجده قريباً إلى نفوسنا، يكاد يستعمل لغتنا، لأنه يحدثنا عما نألفه ولا زلنا نعبر عنه أذهاننا وأكثرها غرابة عن مداركنا، فيستعصي علينا فهمها، وربما كانت هذه ونعايشه، وعلى النقيض من ذلك إذا وصف فإنه يغرب إغراباً كبيراً، لأنه يصف مالا نعرف ولا نشاهد، ولا تتوارد ألفاظه على ألسنتنا، وليس معجمه من معجم حياتنا [٤].

ويقول النويهي حول تدبر الشعر الجاهلي وتذوقه: "ولا نزال ندعي أن شعرنا العربي الصادق كان قريباً من لغة الكلام الحي ، وأننا إذا أحسنا الاستماع إليه، وأحسنا قراءته

---

[١] سعد إسماعيل شلبي: الأصول الفنية للشعر الجاهلي: ٥٧-٥٨.

[٢] شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف بمصر، ط٧، ١٩٦٩م: ٣٢.

[٣] سعد إسماعيل شلبي: الأصول الفنية للشعر الجاهلي: ٥٨.

[٤] المصدر السابق: ٥٨.

والنطق به تجلى لنا الكثير من آيات صدقه الإيقاعي والتنغيمي، وإن كان يضيع علينا بطبيعة الحال كثير من أسراره من أثر تطاول القرون واختلاف اللغة والنبرة ، لكن لا يزال فيه ما يشهد باهتزاز نغمه بهزات الحياة الزاخرة، وتدفقه بدمها الحار والتهاب أنفاسه بسخونة الحديث الآدمي الصادق الذي يتصعد من واقع التجربة البشرية" [١] .

وإذا قرأنا بعض الشعر الجاهلي وقعنا في أكثره على كلمات غريبة غير مألوفة في مخاطباتنا وكتاباتنا في عصرنا هذا . غير أنها كانت يوم ذاك " فصيحة" مأنوسة مألوفة، يمارسها الجاهلي في حياته بين الخيام وعلى الإبل. ولكن لما انقطع ما بيننا وبين هذا النوع من الحياة انقطعت الصلة بيننا وبين الكلمات الدالة عليها على ما ترى في وصف طرفة للناقة في معلقته مثلاً. على أن الكلمة الغريبة قد تكون جميلة في اللفظ نحو "رئال" أي "نعام" وقد تكون وحشية أو حوشية مستكرهة في اللفظ، نحو "بعاق" بمعنى "مطر". والكلمة الجزلة هي الكلمة الفخمة التي تقع موقعها من الاستعمال[٢] .

وجاء شعرهم بلغة سليمة فيها قوة وجزالة ، عبارته متينة وألفاظه رصينة، والشعر الجاهلي بعامة يبدو- لأول وهلة- صعباً غريباً مغرقاً في البداوة ، وخاصة في وصف الصحراء وحيوانها ، وليس مرد هذه الصعوبة إلى المعاني والأخيلة، بل مرجعها إلى اللغة التي يكثر فيها الغريب وتشيع فيها ألفاظ البادية وأسماء مواضعها وصفات حيوانها. ولا ننسى أن أكثرية الشعراء الجاهليين كانوا من البادية، وحتى الذين سكنوا الحاضرة كانت حياتهم أقرب إلى البادية وعلى صلة دائمة بها. على أن لغة الشعر الجاهلي، كلما تأخر زمنها زادت صقلاً وإتقاناً. ورسخت على أسس سليمة ونزر فيها الشاذ [٣] .

وهناك صلة وثيقة بين الموضوع الذي يتناوله الشاعر وبين اللغة، فموضوعات الوصف التي تتحدث عن البادية ومشاهدها، يكثر فيها الوحشي والغريب، ويعبر الشاعر عنها بأسلوب قوي متين، ويختار الألفاظ الجزلة التي تقوم بتأدية المعاني التي تمثلها قسوة الصحراء وخشونة عيشها، وبخاصة في موضوعات الحماسة والفخر والوصف. وفي

---

[١] محمد النويهي: الشعر الجاهلي: ٧٨٥/٢.

[٢] عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين - بيروت، ط٥، ١٩٨٤م: ٧٩/١.

[٣] يحيى الجبوري: الشعر الجاهلي: ٢٧٤.

الموضوعات العاطفية، فالشاعر يرق ويتخير ألفاظاً عذبة هادئة سلسلة "سهلة"، تعبر عن الحب والحنان والعطف والرقة [١] .

ويقول الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي: "استعرضنا بعض صور الشعر الجاهلي لكبار الشعراء الذين وصفوا (الفوق والخيل والبرق والمطر والقوس) ونحو ذلك، فرأينا البادية في خشونتها وصلابتها، وجدبها وقفرها ،ووعورة مسالكها، ووعوثة صحرائها، تنعكس في ألفاظ هذه الصور وأساليبها، وما يزال طرفة يقول في الجدب" [٢] :

وإِنَّـــا إذا مـــا الْغَيْـــمُ أَمْســـى كَأَنَّـــهُ ... سَـمَاحِيقُ ثَـرْبٍ وهـي حَمْـرَاءُ حَرْجَـفُ

وجـــاءَتْ بِصُـــرَّادٍ كَـــأَنَّ صَقِيعَـــهُ ... خِـلالَ الْبُيـــوتِ والمنـــازِلِ كُرْسُـــفُ

تَبيـــتُ إِمـــاءُ الحـــيِّ تَطْهـــي قُدورَنَـــا ... ويـــأْوي إِلَيْنـــا الأَشْـــعَثُ الْمُتَجَـــرِّفُ[٣]

ويقول طرفة أيضاً في وصف ناقته:

صُهَابِيَّـــةُ الْعُثْنُـــونِ مُوجَـــدَةُ الْقَـــرَا ... بَعِيـــدةُ وَخْـــدِ الرِّجْـــلِ مَـــوَّارةُ اليـــدِ

جَنُـــوحٌ دُفَـــاقٌ عَنْـــدَلٌ ثُـــمَّ أُفْرِعَـــتْ ... لَهَـــا كَتِفَاهـــا في مُعَـــالىً مُصَعَّـــدِ

كَـــأَنَّ عُلُـــوبَ النِّسْـــعِ في دَأَيَاتِهَـــا ... مَـوَارِدُ مِـنْ خَلْقَـاءَ في ظَهْـرِ قَـرْدَدِ[٤]

وإذا تأملنا الأبيات السابقة فإننا نلاحظ اتسام الألفاظ الجاهلية بسمة الغرابة والوعورة والجزالة، وقد بدت عليها عنجهية البداوة، ووعوثة الصحراء، وخشونة العيش، لتأثر هؤلاء الشعراء بمظاهر الغلظة والقوة البادية في طباعهم ونظام اجتماعهم[٥] .

---

[١] يحيى الجبوري: الشعر الجاهلي: ٢٧٥.

[٢] محمد عبدالمنعم خفاجي : الشعر الجاهلي : ٣٠٣.

[٣] شرح ديوان طرفة بن العبد: ٦٥. السماحيق: الرقيق من الغيم، أو الشحم الرقيق. الثرب: شحم رقيق مبسوط على الكرش والأمعاء. الحرجف: الريح الباردة. الصراد: سحاب لا ماء فيه. الكرسف: القطن. المتجرف: المعدم.

[٤] ابن الأنباري : شرح القصائد السبع الطوال : ١٦٦، ١٦٨، ١٦٩. صهابية: صهباء اللون؛ وهو بياض شيب بحمرة . العثنون : شعر تحت الحنك. موجدة: قوية. القرا: الظهر . الوخد : ضرب من السير. موارة: سريعة الحركة . جنوح: مائلة من سرعتها. دفاق: متدفقة. عندل : عظيمة الرأس. أفرعت: رفعت. معالى: مرتفع. العلوب: الآثار . النسع: حزام الرحل . الدأيات : مآخير الأضلاع . موارد : طرق ماء. الخلقاء: الصخرة الملساء. القردد: الأرض الصلبة.

[٥] محمد عبدالمنعم خفاجي: الشعر الجاهلي: ٣٠٦.

وليس من شك في أن استعمال الوحشي الغليظ من الألفاظ في موضع له ما يماثله من اللفظ مأخذ على الفحول من الشعراء، ويرى ابن الأثير أن العرب لا تلام على استعمال الغريب الحسن من الألفاظ، وإنما تلام على الغريب القبيح ، وأما الحضري فإنه يلام على استعمال القسمين معاً، وهو في أحدهما أشد ملامة من الآخر[١] .

وفرَّق ابن رشيق بين جزالة اللفظ وحوشيه بقول : ((ليست الجزالة والفصاحة أن يكون حوشياً خشناً ولا أعرابياً جافياً، ولكن حال بين الجانبين)) [٢]. ويمثل ابن الأثير للوحشي الذي يحسن استعماله في سياق التعبير، لموقعه الحسن بين الألفاظ، قال: "وأما القبيح من الألفاظ الذي يعاب استعماله فلا يسمى (وحشياً) فقط بل يسمى "الوحشي الغليظ" وذلك لعلتين في اللفظ تعيبانه: أحدهما: أنه غريب الاستعمال، والآخر أنه ثقيل على السمع، كريه على الذوق، ويسمى أيضاً "المتوعر". ومثل لذلك بقول تأبط شراً [٣] :

يَظَلُّ بِمَوْماةٍ وَيُمْسِي بِغَيْرِهَا جَحِيشاً وَيَعْرَوْرِي ظُهُورَ الْمَهَالِكِ

فإن لفظة (جحيش) من الألفاظ المنكرة القبيحة، ويالله العجب!، أليس إنها بمعنى "فريد"، وفريد لفظة حسنة رائعة، ولو وضعت في هذا البيت موضع (جحيش) لما اختل شيء من وزنه" [٤] .

ومن الألفاظ الغريبة الوعرة في شعر الشعراء الفرسان ، قول المهلهل بعد مقتل كليب، حيث أمرهم أن يردوا كليباً، وأعلمهم أنه لا يرضى بشيء غير ذلك [٥] :

قُلْ لِبَنِي حِصْنٍ يَرُدُّونَهُ أَوْ يَصْبِرُوا لِلصَّيْلَمِ الْخَنْفَقِيقْ

---

[١] ابن الأثير : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ٢٣٧.

[٢] العمدة : ٩٣/١.

[٣] أبو تمام: ديوان الحماسة، شرح التبريزي: ٢٢/١. المومأة: المفازة التي لا ماء فيها. الجحيش: المنفرد. يعروري: يرتكب المهالك.

[٤] ابن الأثير: المثل السائر: ٢٣٤-٢٣٥.

[٥] ابن قتيبة: الشعر والشعراء: ١٨٢ وفي جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي: ٤٦٢ "لبني ذهل". الصيلم: الداهية، من الاصطلام. والخنفقيق: الداهية. حيث وردت عبارة (الصيلم الخنفقيق) وهي بمعنى: الداهية الشديدة. والخنفقيق من الألفاظ الوحشية الموغلة في الغرابة.

ومن ألفاظهم الغريبة قول عنترة في وصف ناقته حيث يقول [١] :

هَـــلْ تُبْلِغَنِّـــي دارَهـــا شَـــدَنِيَّةٌ لُعِنَـــتْ بِمَحْـــرُومِ الشَّـــرابِ مُصَـــرَّمِ
خَطَّـــارَةٌ غِـــبَّ السُّـــرَى زَيَّافَـــةٌ تَطِـــسُ الإِكَـــامَ بِـــذاتِ خُـــفٍّ مِيثَـــمِ

وإلى جانب هذه الصورة الجافية المتوعرة تطالعك في البادية أحياناً صور شفافة رقيقة، تسيل ألفاظها رقة وعذوبة وسهولة ووضوحاً كأنما يرى بها نسيم من الصبا رقيق. حيث يقابل الجزالة وغرابة الألفاظ في القيمة الفنية للتعبير "السلاسة"؛ وهو نعت للفظ أحدثته ملازمة الشعراء للحاضرة. وفي شأن هذا يقول القاضي الجرجاني: "ولذلك نجد شعر عدي بن زيد- وهو جاهلي- أسلس من شعر الفرزدق ورجز رؤبة، وهما آهلان، لملازمة عدي الحاضرة، وإيطانه الريف وبعده عن جلافة البدو وجفاء الأعراب" [٢] .

على أن السهولة التي يشير إليها القاضي الجرجاني ، وابن رشيق لا يراد بها الإسفاف والركاكة، وإنما أريد بها النمط الأوسط الذي "ارتفع عن الساقط السوقي، وانحط عن البدوي الوحشي" [٣] . وعلل القاضي الجرجاني ما زعمه الأصمعي في طبيعة ألفاظ عدي بن زيد، فقد زعم الأصمعي أن العرب لا تروي شعر أبي دؤاد وعدي بن زيد لأن ألفاظهما ليست بنجدية [٤].

ويذهب الدكتور طه حسين، فيما ذهب إليه الجرجاني وأغلب النقاد، بأن الألفاظ التي يأتلف منها الشعر الجاهلي متينة رصينة كثيرة الغريب... ويذكر أن النابغة والمنخل قد

---

[١] ابن الأنباري : شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩. وجمهرة أشعار العرب: ٣٥٦. دار العرب: مكانها الذي تنزله. شدنية: منسوبة إلى شدن، والتقدير "ناقة شدنية". ويجوز أن يكون غير دعاء. واللعن في كلام العرب البعد. محروم الشراب: أي ممنوع؛ أي بضرع محروم الشراب، لا لبن فيه. مصرم: مقطع. يقول: هل تبلغني دار الحبيبة ناقة شدنية دعي عليها بأن تحرم اللبن فاستجيب ذلك الدعاء؛ فهي أقوى وأسمن وأصبر على معاناة شدائد الأسفار. خطارة: تخطر بذنبها: تحركه، وترفعه وتضرب به عجزها. وتفعل ذلك لنشاطها. غِبّ: بَعْدَ. السرى: سير الليل. زيافة: تسرع. الوطس: الضرب الشديد بالخف. ويروى: "تقص الإكام": أي تدقها. الإكام: جمع أكمة؛ وهي رابية مرتفعة عن وجه الأرض. بذات خف: بقوائم ذوات أخفاف. خف ميثم: شديد الوطء؛ فكأنه يثم الأرض، أي يدقها. فالألفاظ: "شدنية، وزيافة، وتطس، وميثم" كلها ألفاظ غريبة.

[٢] القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة، ١٣٧٠هـ-١٩٥١م: ١٨.

[٣] المصدر نفسه: ٢٤ والعمدة: ١/١٢٤.

[٤] الوساطة : ٥١.

اتصلا بالنعمان، فظل شعر النابغة على شدة ولكن المنخل - وهو بدوي النشأة - لم يتصل بالنعمان إلا بعد أن تقدمت به السن، والرواة يروون له قصيدة ما نظن أن شعراء بغداد في العصر العباسي قد استطاعوا أن يقولوا شعراً أقرب منها إلى السهولة والليان، وهي[1] :

إِنْ كُنْتِ عاذِلَتي فَسِيرِي ... نَحْوَ العِرَاقِ ولا تَحُوري

وَلَقَدْ دَخَلْتُ على الفَتَا ... ةِ الخِدْرَ في اليَوْمِ المَطيرِ

الْكَاعِبِ الْحَسْنَاءِ تَرْ ... فُلُ في الدِّمَقْسِ وفي الْحَرِيرِ

فَدَفَعْتُهَا فَتَدَافَعَتْ ... مَشْيَ الْقَطَاةِ إِلى الْغَدِيرِ

وَلَثَمْتُهَا فَتَنَفَّسَتْ ... كَتَنَفُّسِ الظَّبْيِ الْبَهِيرِ

فَدَنَتْ وَقَالَتْ: يَا مُنَ ... خِّلُ مَا بِجِسْمِكَ مِنْ حَرُورِ

مَا شَفَّ جِسْمي غَيْرُ حُ ... بِّكِ فَاهْدَئي عَنِّي وَسِيرِي

وَأُحِبُّهَا وَتُحِبُّنِي ... وَيُحِبُّ ناقَتَهَا بَعِيري

يَا رُبَّ يَوْمٍ لِلْمُنَ ... خِّلِ قَدْ لَهَا فيهِ قَصِيرِ

فَإِذا انْتَشَيْتُ فَإِنَّني ... رَبُّ الْخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ

وإِذا صَحَوْتُ فَإِنَّني ... رَبُّ الشُّوَيْهَةِ والْبَعِيرِ

يَا هِنْدُ مَنْ لِمُتَيَّمٍ ... يَا هِنْدُ لِلْعَاني الأَسِيرِ[2]

---

[1] طه حسين: في الأدب الجاهلي، دار المعارف بمصر، ط٩، ١٩٦٨م: ٢٥٩.

[2] الأصمعي: الأصمعيات: ٥٨-٦١ وديوان الحماسة، شرح التبريزي: ٢٠٢/١، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦. عاذلتي، عنله: لامه. لا تحوري: لا ترجعي. الخدر: سِتْرٌ يُعدُّ للجارية في ناحية البيت، ويطلق على البيت إن كان فيه امرأة. اليوم المطير: وخص اليوم الماطر لأنه يوم المؤانسة وفراغ البال ولا يصلح للصيد، واللهو فيه أطيب لخلو البال فيه. الكاعب: البادي ثديها للنهود. ترفل: تختال. الدمقس: الحرير الأبيض. القطاة: مفرد (القطا)، نوع من الطيور. الغدير: قطعة من الماء يغادرها السيل. لثم: قَبَّلَ. الغرير: ولد الظبي وهو صغير. البهير: من (البهر)، وهو ما يعتري الإنسان عند السعي الشديد والعَدْوِ من اللهج وتتابع النفس. دنت: قربت. الحرور: حَرُّ الشمس. شفَّ: نَحُلَ وضَعُفَ. اهدئي عني: الزمي السكون. ويحب ناقتها بعيري: هذه جملة يريد بها توكيد المحبة وطول الألفة بينهما. انتشيت: سكرت. رب: السَّيِّد. الخورنق: قصر النعمان بن المنذر. السدير: نهر بناحية الحيرة. الشويهة: تصغير الشاة. هند: هي هند بنت النعمان بن المنذر بن ماء السماء. المتيم: من استعبده الحب. العاني: المقيّد، الأسير، أي أسير الحب.

ويتساءل الدكتور طه حسين كيف رق شعر المنخل ولان إلى هذا الحد، وهو كالنابغة بدوي النشأة حديث عهد بالحضارة[١] ؟

وقد قيل : إن المنخل هوى المتجردة زوجة النعمان وشبب بها، ولعل هذا الهوى قد أثر في طبعه وأسلس قياده، ويقول القاضي الجرجاني: "وترى رقة الشعر أكثر ما تأتيك من قبل العاشق المتيم، والغزل المتهالك، فإن اتفقت لك الدماثة والصبابة، وانضاف الطبع إلى الغزل فقد جمعت لك الرقة من أطرافها" [٢] .

وينعت ابن سلام الشاعر لبيد بن ربيعة بالقول: "وكان عذب المنطق ، رقيق حواشي الكلام"[٣] وهو لا يعني هنا غير ألفاظه. كما أثنى ابن سلام على شعر النمر بن تولب بقوله: "وكان النمر بن تولب شاعراً فصيحاً جريئاً على المنطق، وكان أبو عمرو بن العلاء يسميه (الكيّس) لحسن شعره" [٤].

وانظر إلى طرفة كيف يلين جانبه الوعر، فيقول إن حبيبته تبسم عن ثغر أسمر اللثات، كأن فيه أقحواناً ظهر نوره، وهذا الأقحوان قد نبت في كثيب من نقي الرمل ، في أسفله الندى من الماء والري. فأسنانها تشبه في بياضها نور الأقاحي الندية [٥] :

وتَبْسِمُ عَنْ أَلْمَى كَأَنَّ مُنَوَّراً ... تَخَلَّلَ حُرَّ الرَّمْلِ دِعْصٌ لَهُ نَدِ

وَوَجْهٍ كَأَنَّ الشَّمْسَ أَلْقَتْ رِداءَهَا ... عَلَيْهِ نَقِيُّ اللَّوْنِ لَمْ يَتَخَدَّدِ[٦]

---

[١] طه حسين: في الأدب الجاهلي: ٢٦٠

[٢] الوساطة : ١٨.

[٣] طبقات فحول الشعراء: ١٣٤، ١٥٤.

[٤] المصدر نفسه: ١٣٤، ١٥٤.

[٥] محمد عبد المنعم خفاجي: الشعر الجاهلي: ٣٠٧.

[٦] الزوزني : شرح المعلقات السبع: ٦٤، ٦٥ وابن الأنباري: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: ١٤٣، ١٤٦. الألمى: الذي يضرب لون شفتيه إلى السواد. المنور: الأقحوان الذي قد ظهر نوره. تخلل: دخل في خلله. حر الرمل: خالصه. الدعص: الكثيب من الرمل. الرداء: هنا الحسن. نقي اللون: صافي اللون. التخدد: اضطراب الجلد واسترخاء اللحم.

واقرأ قول المهلهل بن ربيعة في رثاء أخيه كليب[١]:

دَعَوْتُكَ يا كُلَيْبُ فَلَمْ تُجِبْني ... وكَيْفَ يُجِيبُني البَلَدُ القَفَارُ ؟
أَجِبْني يا كُلَيْبُ خَلاكَ ذَمٌّ ... لَقَدْ فُجِعَتْ بِفَارِسِهَا نِزارُ !
سَقَاكَ الْغَيْثُ إِنَّكَ كُنْتَ غَيْثاً ... ويُسْراً حِينَ يُلْتَمَسُ الْيَسارُ

وانظر كيف يرق شعر لبيد ويعذب في رثاء أخيه أربد [٢] :

وَقَدْ كُنْتُ في أَكْنافِ جارٍ مَضِنَّةٍ ... ففارَقَني جارٌ بِأَرْبَدَ نافِعُ
فلا جَزِعٌ إِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنا ... وكُلُّ فَتًى يَوْماً بِهِ الدَّهْرُ فاجِعُ
ومَا الْمَالُ والأَهْلُونَ إِلاَّ وَدِيعَةٌ ... ولا بُدَّ يَوْماً أَنْ تُرَدَّ الْوَدَائِعُ

ونخلص من هذا كله إلى أن الألفاظ الجاهلية كانت تتسم في الغالب بسمة الغرابة والوعورة والجزالة، وأنها كانت في بعض الأحيان تبدو رقيقة سهلة واضحة لينة، عندما تصدر عن عاطفة رقيقة، كالغزل أو إحساس مرهف صقله الحزن وشفه الألم، كالرثاء[٣] . وجملة القول أن العرب قد قبلوا من الألفاظ والأساليب ما ارتقى باللغة، وتركوا منها ما عاق تقدمها واكتمالها[٤] .

---

[١] حسن السندوبي : أخبار المراقسة وأشعارهم في الجاهلية وصدر الإسلام: ٢٧٢. البلد القفار: الخالي من السكان. خلاك ذم: برئت مما تذم عليه من قول أو فعل. فجعت: من الفجيعة؛ وهي الرزيّة، أو المصيبة. نزار: اسم جَدّهم الأعلى. الغيث: المطر. ولفظة (الغيث) الثانية كناية عن الجود. اليسار: سعة العيش.

[٢] ديوان لبيد بن ربيعة العامري: ٨٨، ٨٩. أكناف: جوانب. جار مضنة: جار يضن به. ففارقني بأربد: فارقني منه جار نافع، يعني أنه هو المفارق. جزع: خوار عند المصيبة. فاجع به: فاجع له، أي يرميه بالفجائع.

[٣] محمد عبد المنعم خفاجي: الشعر الجاهلي: ٣٠٨.

[٤] سعد إسماعيل شلبي: الأصول الفنية للشعر الجاهلي: ٨٠.

ولم يخل الشعر الجاهلي من الغلو والمبالغة والتهويل، فهي سمات عامة تشيع فيه، وتظهر في معظمه [١]. وهو أمر شاذ لا يمنع أن نجد له شذوذاً يخالف ما عليه جمهرة الشعراء، وهذا القليل الشاذ لا يحفلون به ولا يقدرونه بل كانوا يعدونه من سقطاتهم [٢]. ومن المآخذ التي أخذها ابن قتيبة على عنترة إفراطه في الغلو والمبالغة في قوله [٣]:

وأنا الْمَنِيَّةُ في الْمَواطِنِ كُلِّها ... والطَّعْنُ مِنِّي سابِقُ الآجالِ

فعد التهويل إفراطاً لا يحمد منه ولا يرضى عنه.

قال ابن طباطبا العلوي: من التشبيهات البعيدة التي لم يلطف أصحابها ولم يخرج كلامهم في العبارة سلساً سهلاً قول النابغة الذبياني [٤]:

تَمْشِي بِهِمْ أُدْمٌ كَأَنَّ رِحَالَها ... عَلَقٌ هُرِيقَ على مُتُونِ صُوَارِ

وقول امريء القيس [٥] :

مِنَ الْقاصِراتِ الطَّرْفِ لَوْ دَبَّ مُحْوِلٌ ... مِنَ الذَّرِّ فَوْقَ الإِتْبِ مِنْها لأَثَّرَا

فيصف امرؤ القيس محبوبته بالنعومة والبضاضة، حتى إن النمل الصغير لو مشى فوق ثوبها لأثر في جسمها.

---

[١] محمد عبدالمنعم خفاجي : الشعر الجاهلي : ٣١٥.

[٢] سعد إسماعيل شلبي : الأصول الفنية للشعر الجاهلي : ٨٠.

[٣] ابن قتيبة: الشعر والشعراء: ١٤٥ والمرزباني: الموشح: ١٢٩ وابن طباطبا العلوي: عيار الشعر، ت: طه الحاجري ومحمد زغلول سلام، شركة فن الطباعة – القاهرة، ١٩٥٦م: ٨٩. وأبو هلال العسكري: الصناعتين: ٣٤٨ (طبعة محمد علي صبيح).

[٤] مصطفى السقا: مختار الشعر الجاهلي ١٦٧/١. الأدم: الإبل العتاق. العلق: الدم. هريق: صب. الصوار: قطيع بقر الوحش.

[٥] المصدر نفسه: ٥٩/١. القاصرات الطرف: يعني أنها ممن قصرت أعينهن عن النظر إلى الرجال إلا الأزواج. المحول: الصغير من الذر. الإتب: ثوب رقيق غير مخيط الجانبين له جيب وليس له كُمّان؛ وهو البقيرة. أي لو مشى الذر الصغير على القميص الذي كانت تلبسه لأثّر في جسمها. وهذا نهاية في الرقة واللطف، أي رقة بشرتها. وهو دليل على أنها نشأت في نعمة ورفاهية.

وقوله أيضاً [١] :

تَنَوَّرْتُهـــا مِـــنْ أَذْرِعـــاتَ وأَهْلُهـــا بِيَـــثْرِبَ أَدْنـــى دارِهَـــا نَظَـــرٌ عـــالِ

حيث نظر إلى نارها أو إلى ناحية نارها فخيلت إليه نارها مرفوعة توقد، حيث كان في أذرعات وهي بلد بالشام ومنازل أهلها في يثرب، التي أصبحت فيما بعد مدينة الرسول – صلى الله عليه وسلم –. وهذا على التخيل والمبالغة والتهويل، لأنه لم ير بعين رأسه شيئاً، وإنما رأى بعين قلبه، لأن بين المكانين مسيرة أيام .

وقول المتلمس [٢] :

أَحـــارِثُ إِنَّـــا لَـــوْ تُسَـــاطُ دِماؤُنـــا تَزَايَلْـــنَ حَتَّـــى لا يَمَـــسَّ دمٌ دَمـــا

يزعم أن دماء الأعداء تتمايز لا يختلط بعضها ببعض.

وقول زهير بن أبي سلمى [٣] :

فَـــزَلَّ عَنْهـــا ووَافَـــى رَأْسَ مَرْقَبَـــةٍ كَمَنْصِـــبِ العِـــتْرِ دَمَّـــى رَأْسَـــهُ النُّسُـــكُ

وقد بالغ النابغة الذبياني حين ذهب إلى أن سيوفه تقطع الدرع المضاعف والفارس والفرس، ثم تذهب في الحجارة فتقدح فيها الشرر، يقول [٤] :

تَقُـــدُّ السَّـــلُوقيُّ المُضَـــاعَفَ نَسْـــجُهُ وتُوقِـــدُ بالصُّفَّـــاحِ نـــارَ الحُبَـــاحِبِ

---

[١] مصطفى السقا: مختار الشعر الجاهلي: ٣٧/١. تنورتها: نظرت إلى نارها أو إلى ناحية نارها، وإنما أراد بقلبه لا بعينه. أذرعات: بلد بالشام. يثرب: اسم مدينة الرسول – صلى الله عليه وسلم – في الجاهلية.

[٢] الأصمعي : الأصمعيات: ٢٤٥. تساط: تخلط. تزايلن: تفرقن.

[٣] ديوانه: ١٧٨. زل عنها: أي زل الصقر عن القطاة وأشرف على رأس مرقبة. والمرقبة: المكان المرتفع على رأس مرقبة؛ أي أشرف على رأس مرقبة ثم سقط عليها من الإعياء لمطاردته تلك القطاة. المنصب: الحَجَرُ. دَمّى: فكأنه لما به من الدم مثل ما بالحجر الذي يُعتَرُ عليه. العتر: الذي يذبح في رجب. وفي اللسان: "والعتر: العتيرة؛ وهي شاة كانوا يذبحونها في رجب لآلهتهم". ثم قال: "والعتر: ما عتر كالذبح. والعتر: الصنم يعتر له ...". النسك: الذبيحة، أو الدم.

[٤] مصطفى السقا: مختار الشعر الجاهلي: ١٦١/١. تقد: تشق. السلوقي: درع ينسب إلى سلوق، وهي مدينة بالروم. المضاعف: الذي نسج حلقتين حلقتين. الصفاح: حجارة عراض. الحباحب: ذباب له شعاع يرى ليلاً.

وتنسب بعض المبالغات إلى الأعشى والمهلهل، فهم يزعمون أن أكذب بيت قالته العرب في الجاهلية قول أعشى بني قيس [١] :

لَـــوْ أَسْـــنَدَتْ مَيْتـــاً إِلى نَحْرِهـــا عـــاشَ وَلَـــمْ يُنْقَـــلْ إِلى قَـــابِرِ

وكان المهلهل يتزيد في شعره: "وزعمت العرب أنه كان يدعي في شعره، ويتكثر في قوله أكثر من فعله" [٢] . وعندهم أن " أكذب الأبيات قول مهلهل بن ربيعة":

فَلَـــوْلا الرِّيـــحُ أُسْـــمِعَ مَـــنْ بِحُجْـــرٍ صَلِيـــلَ الْبَيْـــضِ تُقْـــرَعُ بِـــالذُّكورِ

قال دعبل: "وكان منزله على شاطيء الفرات من أرض الشام، وحجر هي اليمامة". "وقالوا : هو خطأ وكذب من أجل أن بين موضع الوقعة التي ذكرها وبين حجر مسافة بعيدة جداً"[٣] .

وكذلك أنكروا على أبي الطمحان القيني قوله [٤]:

أَضـاءَتْ لَهُـمْ أَحْسَـابُهُمْ ووجُوهُهُـمْ دُجَـى اللَّيْـلِ حَتَّـى نَظَّـمَ الجِـزْعَ ثاقِبُـهْ

ومن مآخذهم على النمر بن تولب غلوه ومبالغته في قوله [٥] :

أَبْقَـى الْحَـوادِثُ والأَيَّـامُ مِـنْ نَمِـرٍ أَسْـبابَ سَـيْفٍ قَديـمٍ إِثْـرُهُ بـادِي
تَظَـلُّ تَحْفِـرُ عَنْـهُ إِنْ ضَرَبْـتَ بِـهِ بَعْـدَ الذِّراعَيْـنِ والسَّـاقَيْنِ والْهَـادي

---

[١] المرزباني : الموشح: ٦٧ وديوانه: ١٧٩. النحر: أعلى الصدر. وقيل: موضع القلادة.

[٢] المصدر نفسه: ٧٤. والعمدة: ٦٢/٢. وقد قيل: إنه أكذب بيت قالته العرب.

[٣] المصدران السابقان: ٧٨، ٦٢/٢. بين حجر - وهي قصبة اليمامة - وبين مكان الوقعة عشرة أيام.

[٤] الموشح: ٧٤. وديوان الحماسة، شرح التبريزي: ٢٧٢/٢. نظم الجزع: حمل ناظمه على نظمه. الجزع: خرز فيه بياض وسواد تشبه به العيون.

[٥] الموشح: ٧٨. وأبو تمام: كتاب الوحشيات "الحماسة الصغرى"، ت: عبد العزيز الميمني الراجكوتي وزاد في حواشيه محمود محمد شاكر، دار المعارف، ١٩٦٣م: ١٣. وفي كتاب الوحشيات "أسباد". والأسباد: جمع سبد، وهو بقية الشيء. وأسباب: جمع سبب، وهو هنا أثر السيف من جراحات. الهادي: نصل السهم. ورد البيت الثاني في العمدة: ٦١/٢.

ولم يعفه من مؤاخذتهم إياه على قوله هذا أنه كان من فرسان العرب، ومشاهير أبطالهم [١] ، ولا أنه كان في السيوف فعلاً ما يحدث هذا الأثر كما تصوره قصة قصوها[٢].

ولكن هذه النزعة تعد من الشاذ لا يقاس عليه فلا يؤلف اتجاهاً عاماً تبني عليه حكماً، ولكن الإتجاه العام هو الصدق والاعتدال والتزام الحقيقة، وعلى الرغم من ذلك ما كانوا يعجبون بمثل هذه التهاويل [٣].

وتمتاز الألفاظ الجاهلية بوضعها في مواضعها التي تتطلبها، دون استكراه أو اجتلاب أو قلق، كما تمتاز بكثرة استعمالها في معانيها الحقيقية الموضوعة لها، وذلك راجع إلى بساطة حياة الجاهليين، وميلهم إلى الصراحة والصدق فهي لذلك قليلة المجاز[٤] .

وتتسم الأساليب الجاهلية بجودة السبك، وشدة الأسر، وروعة الأداء، ومتانة التراكيب، وفخامة النسج، تظهر فيها طبيعة جوهم ، وسذاجة حياتهم، فلا نجد فيها كلفاً بالزخرف، أو تكلفاً في الأداء، ولا تصنعاً في الجمال، ولهذا شاع الإيجاز في أساليبهم، لأن طبيعتهم تكره الاستقصاء والتحليل والإطناب والحشو [٥] ، لأنهم يرون أن تكثيف المعاني في عبارات موجزة كفيل بسيرورتها وجريانها على الألسن واستقرارها في القلوب على مدى الأزمان، فتكون ألصق بالذهن لسهولة حملها على الذاكرة. والعنصر السامي حاد الخاطر، ذكي القلب يكتفي في تناول المعنى بالإشارة العابرة واللمحة الخاطفة، اعتماداً على ذكائه وسرعة خاطره، ولذلك ندر في شعرهم استعمال المحسن البديعي، لأنه يقوم على الزخرف والزينة [٦] . وتلك طبيعة الشعر الغنائي فهو شعر موجز تكثر فيه المقطوعات ولا تزيد عن المائة بيت إلا نادراً، وأكثرها حول الثلاثين أو الأربعين[٧] .

---

[١] الأصفهاني: الأغاني : ١٩/١٥٧.

[٢] المصدر نفسه : ١٩/١٦١.

[٣] سعد إسماعيل شلبي : الأصول الفنية للشعر الجاهلي : ٨٢.

[٤] محمد عبدالمنعم خفاجي : الشعر الجاهلي : ٣١٠.

[٥] المصدر نفسه : ٣١٠، ٣١١.

[٦] المصدر نفسه : ٣١١.

[٧] سعد إسماعيل شلبي : الأصول الفنية للشعر الجاهلي : ٧١.

ونلاحظ في المعاني الجاهلية ضعف التماسك ، وقلة العناية بسياق الفكر، وعلائق المعاني واهية، فإذا حذفت أو قدمت أو أخرت لم تشوه القصيدة، ولم يختل المعنى، ولم يضع الغرض [١] .

وهم يكثرون من الاستطراد في قصائدهم ، والانتقال من معنى إلى آخر دون تمهيد أو مناسبة، إلا مثل قولهم: "قدع ذا وسل الهم عنك بجسرة" أو " فعد عما ترى" ونحو ذلك[٢] .

وعدم معرفتهم بالترتيب المنطقي أو النظر الفلسفي جعلهم لا يرون الأشياء إلا مجردة لا تجمعها علاقة، ولا ينظمها سلك، فليست هناك وحدة فنية في القصيدة الجاهلية، ولا وحدة في الغرض، لأن كل قصيدة تشتمل على عدة أغراض؛ كالنسيب ووصف الناقة أو الفرس أو حمر الوحش أو المطر، أو المدح أو الهجاء إلى غير ذلك ، على نحو ما ترى في المعلقات. ولهذا كانت وحدة النقد في الشعر الجاهلي البيت لا القصيدة. وربما كانت هناك بعض القصائد التي تتمثل فيها وحدة ارتباط المعاني، أو وحدة الغرض ، كما أسلفنا في قصائد الشعراء والعدائين "الصعاليك" [٣] .

على أنه يمكن القول بأن القصيدة الجاهلية تربطها وحدة عامة ومنهج محدود من بدايتها إلى نهايتها [٤] .

وتسلمنا قراءة الشعر الجاهلي في نماذجه الجيدة إلى ملاحظة صفتين غالبتين على لغته هما: الاقتصاد في استخدام المفردات اللغوية في لغة شعرية مباشرة، أو التعبير عنها في صور شعرية. وإيثار اللغة المجازية على اللغة المباشرة [٥] .

---

[١] محمد عبدالمنعم خفاجي : الشعر الجاهلي : ٣١٦.

[٢] المصدر نفسه : ٣١٧.

[٣] المصدر نفسه : ٣١٨.

[٤] المصدر نفسه : ٣١٨.

[٥] إبراهيم عبدالرحمن محمد: الشعر الجاهلي -قضاياه الفنية والموضوعية - دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م : ١٨٧.

ونستطيع أن ندخل إلى دراسة الشعر الجاهلي خاصة، ببعض الملاحظات العامة على طبيعة الأسلوب التصويري [١] :

١. إن قاريء الشعر الجاهلي في نماذجه المختلفة ، يلاحظ غلبة الأسلوب التصويري على موضوعات بعينها تتردد في قصائده على اختلاف أغراضها التي تقدم ذكرها، وغير ذلك من الموضوعات النمطية التي لا تخلو منها قصيدة في الشعر القديم.

٢. إن صور هذا الشعر على كثرتها وتنوعها، تتردد وتتكرر فيها عناصر لغوية وموضوعية وروحية واحدة، كانت كأنها لدى شعراء الجاهلية جميعاً بمثابة "الشعائر المقدسة" التي لا يمكن انتهاكها أو تخطيها أو إغفالها.

٣. إن هذه الصور متداخلة فيما بينها تداخلاً شديداً؛ فقد درج الشعراء الجاهليون على أن ينقلوا صفات الأشياء بعضها إلى بعض، وذلك بما أحدثوه فيها من تحوير وتحريف، وما خلقوه بين أطرافها المتنافرة من علاقات: فهم يجمعون بين المرأة والبدر والبقرة الوحشية والغزالة والمهاة والظبية والرئم والنخلة والحبال والخمر، كما يجمعون بين الأطلال والوشم والسحاب والكتابة والصحائف، وبين الثور والسيف والثوب المخطط، وبين الخيل والأسود والسهام وقرون البقر والرماح وشوك النخل، إلى غير ذلك من الصور.

(٣) الأخيلة والصور الشعرية:

الخيال: هو الفعل النفساني المكلف بصياغة الصور وتنسيقها في أنظومة أحادية البنية [٢] . وهو ملكة خصبة تقدر على تخيل الأشياء وتصوير العواطف تخيلاً وتصويراً يوضح لنا نواحيها الغامضة ويعرض علينا ما فيها من الروعة والجمال عرضاً مؤثراً نحسبه حقيقة أو كالحقيقة الملموسة، حيث يتناول الشاعر الأشياء المألوفة التي يراها الناس جميعاً. فيعمل فيها خياله فيخرجها في صورة جديدة لم نكن نتوهمها. وليس الخيال دائماً مجافاة للحقائق، وإنما هو مرآة تنطبع فيها الصور فيعكسها خالصة من كل شائبة، وهو

---

[١] إبراهيم عبد الرحمن محمد: الشعر الجاهلي: ١٩٣-١٩٤.

[٢] يوسف اليوسف: مقالات في الشعر الجاهلي: ٢٩٧.

خادم للحقيقة وغايته تصوير ما حجب عنا من حقائق الوجود. فالشاعر يشعر بما حوله ويعتاد الملاحظة الدقيقة في الحياة المحيطة به مما يتصل بالاحساس والشعور والعاطفة والتفكير، ويلاحظ ذلك جملة وتفصيلاً فتسجله ذاكرته ثم تنشره في فن جميل وآية سحر من القريض، فمادة الشعر الأولى في العواطف الإنسانية من حب وحزن وأمل ويأس وغير ذلك مما يشعر به الشاعر ويحس به الإنسان، وهذه العواطف هي الينابيع الصادقة للشعر [١].

والخيال عنصر من عناصر الأدب، ولاشك أن للخيال دخلاً في إثارة العواطف [٢].

إن تعريفه ككل المعاني عسير، ذلك أن الكلمة تستعمل في أنواع مختلفة من العمليات العقلية، وكما قال رسكين: "إن ملكة الخيال غامضة لا يمكن تعريفها إنما يمكن معرفتها بأثرها" [٣].

وبعض أنواع الأدب أحوج إلى الخيال من بعضها الآخر، فالشاعر والروائي يحتاجان إلى قدر من الخيال أكبر مما يحتاجه قائل الحكم والأمثال [٤] .

وللخيال الأدبي كما أشرنا، ارتباط كبير بالعواطف ، وكلما كانت العاطفة قوية احتاجت إلى خيال قوي يعين عليها، وضعف أحدهما يؤثر أثراً كبيراً في ضعف الآخر، فإذا كانت العواطف مسرفة مبالغة ذهب الخيال كل مذهب وكان وهماً [٥] .

وليس الشعر صوراً وعبارات إنما هو عواطف الشاعر وشعوره يركبها خيال خلاق وملكات قادرة ومقدرة فنية موهوبة في صور من الألفاظ والأساليب، وجمال الشعر وروعته موقوفان على مدى إحساس العاطفة وقدرة الخيال على تصويرها، وقوة الخيال مرتبطة بقوة العاطفة، فإذا كانت صادقة قوية خلقت خيالاً رائعاً، والخيال أنفع المواهب

---

[١] الجاحظ : الحيوان : ٣/٤٠ وقدامة بن جعفر: نقد الشعر: ١٤ والآمدي: الموازنة بين الطائيين، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة – مصر، ط٣، ١٣٧٨هـ – ١٩٥٩م: ١٨٣ وابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ت: عبد الواحد وافي، لجنة البيان العربي، ط ٢، د.ت: ٥٧٧.

[٢] أحمد أمين : النقد الأدبي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٤، ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م: ١/٥٤.

[٣] المصدر نفسه : ١/٥٤.

[٤] المصدر نفسه: ١/٥٥.

[٥] المصدر نفسه : ١/٦٢.

والملكات في فن الشعر، لأنه المعبر عن العاطفة واللغة الطبيعية لأداء الانفعالات والعواطف الإنسانية [١].

والخيال في الجاهلية كان لا يزال يعتمد على التشابيه والاستعارات أكثر من اعتماده على انتزاع الصور من الطبيعة[٢].

إن من يقرأ النصوص الشعرية خاصة ما ينتسب منها إلى مراحل هذا الشعر المبكرة، يلاحظ أن الشعراء لا يكادون يعبرون عن معنى ما تعبيراً لغوياً مباشراً، وإنما ينتقلون من تشبيه إلى استعارة إلى كناية ... إلى صورة شعرية ، تحيل هذا الشعر إلى لوحة فنية للصور المجازية التي يدخل التشبيه خاصة في بنائها أكثر من أية وسيلة مجازية أخرى ، ونستطيع أن نميز في هذه الصور بين نوعين منها:

الأولى : صور جزئية متنوعة يبنيها الشاعر غالباً بناء تشبيهياً، ويحشدها حشداً في قصائده، ليعبر من خلال هذا الحشد من الصور التشبيهية عن معنى بعينه يتكرر في أبيات هذا الجزء أو ذاك من أجزاء القصيدة . ويرد هذا النوع من الصور التشبيهية ويتراكم في تلك الأغراض التقليدية التي يتألف منها بناء القصيدة الجاهلية، وهي: الوقوف على الأطلال، والغزل، ووصف الناقة والرحلة، كما أنه يغلب على نصوص الشعر القديمة على نحو ما نجد في شعر امريء القيس وغيره من شعراء طبقته.

والأخرى : صور كلية عامة تؤدي فيها هذه الصور التشبيهية الجزئية وظيفة بنائية بعينها. إذ تتحول إلى لبنات في هذا البناء التصويري المتكامل، يبنيها الشعراء عادة من خلال قص الأحداث وحكايات المواقف، وهو ما يعرف اصطلاحاً بـ "صورة الحدث" أو "صورة الموقف". وهو ضرب من التصوير يغلب على شعر المتأخرين من شعراء الجاهلية من أمثال زهير والأعشى وغيرهما من شعراء المرحلة القريبة من ظهور الإسلام، وقد انتقل هذا اللون من التصوير القصصي إلى شعراء الغزل في العصر الأموي[٣] .

---

[١] محمد عبدالمنعم خفاجي : الحياة الأدبية في العصر الجاهلي: ٣٥٤.

[٢] عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي: ٧٨/١.

[٣] إبراهيم عبدالرحمن محمد : الشعر الجاهلي : ١٩٧، ١٩٨.

ومن ألوان التصوير والسرد القصصي قصة المنخل اليشكري مع المتجردة زوج النعمان والتي تقدمت في هذا البحث بصدد سهولة الألفاظ وعذوبتها، وكذلك قصة المرأة (الحبيبة) التي سردها الشنفرى، والتي تقدمت أبياتها، وهي قصة "أم عمرو"، يقول[١] :

أَلا أُمُّ عَمْـــرٍو أَجْمَعَـــتْ فاســـتَقَلَّتِ ... ومـــا ودَّعَـــتْ جِيرانَهـــا إِذْ تَوَلَّـــتِ

ومن الصور المتحركة وصف الشنفرى للذئاب الجائعة [٢] :

فَضَـــجٌ وَضَجَّـــتْ بـــالبَراحِ كأَنَّهـــا ... وإِيَّـــاهُ نُـــوحٌ فَـــوْقَ عَلْيـــاءَ ثُكَّـــلُ
وأَغْضَى وأَغضَتْ واتَّسى واتَّسَتْ بِـهِ ... أَرامِـــلُ عَزَّاهـــا وعَزَّتْـــهُ أَرْمَـــلُ
شكى وشَكَتْ ثُمَّ ارْعَوَى بَعْدُ وارْعَـوَتْ ... وَلِلصَّـبْرُ إِنْ لَـمْ يَنْفَـعِ الشَّـكْوُ أَجْمَـلُ
وَفَـــاءَ وفـــاءَتْ بـــادِراتٍ وكُلُّهـــا ... علـــى نَكَـــظٍ مِمَّـــا يُكـــاتِمُ مُجْمِـــلُ

وكذلك قوله في وصف القطا [٣] :

وتَشْـرَبُ أَسْـآرِي الْقَطـا الْكُـدْرُ بَعْدَمـا ... سَـــرَتْ قَرَبـــاً أَحْشـــاؤُها تَتَصَلْصَـــلُ
هَمَمْـتُ وهَمَّـتْ وابْتَدَرْنـا وأَسْـدَلَتْ ... وشَـــمَّرَ مِنِّـــي فـــارِطٌ مُتَمَهِّـــلُ

وبالنظر إلى أبيات الشنفرى نرى الصور المتحركة المتوالية لوصف حيوان الطبيعة وطيرها.

ومن الصور التشبيهية وصف عنترة صاحبته "عبلة" بجمال العينين، فيختار لذلك صورة فيها من الحركة الرشيقة، حركة الشادن؛ ولد الغزال، حين ينظر إلى أمه في حب ودلال [٤] :

وكَأَنَّمَـــا نَظَـــرَتْ بِعَيْنَـــيْ شـــادِنٍ ... رَشَـــإٍ مِـــنَ الْغِـــزْلانِ لَيْـــسَ بِتَـــوْأَمِ

---

[١] المفضل الضبي : المفضليات : ١٠٨.

[٢] القالي : ذيل الأمالي والنوادر: ٢٠٥.

[٣] المصدر السابق: ٢٠٥.

[٤] مصطفى السقا: مختار الشعر الجاهلي : ٣٧١/١. شادن: ولد الغزال الذي قد شدن، أي قوي على المشي مع أمه. رشأ: حسن قوي. ليس بتوأم: لم يولد مع غيره.

وهو حين يصف طيب رائحتها، يعبر عن ذلك من خلال صورة ، تتألف من عناصر عديدة فيها حياة وحركة، فيقول [١] :

وكَـــأنَّ فـــارةَ تـــاجرٍ بقســـيمةٍ ... سَـبَقَتْ عوارِضَهـا إلَيْـكَ مِـنَ الفَـمِ
أوْ رَوْضَـــةً أُنُفـــاً تَضَمَّـــنَ نَبْتَهـــا ... غَيْـثٌ قَليـلُ الدَّمْـنِ لَيْـسَ بِمَعْلَـمِ
جـــادَتْ عَلَيْـــهِ كُـــلُّ بِكْـــرٍ ثَـــرَّةٍ ... فَـتَرَكْـنَ كُـلَّ حَديقَـةٍ كـالدِّرْهَمِ

والشعراء الجاهليون يستعينون بالألفاظ والأساليب المصورة التي تجعل المنظر بارزاً ناطقاً، فتؤازر هذه الظاهرة ما يذكرونه من ألوان المجاز والتصوير ، فتبرز الصور وتؤدي غرضها من التوضيح والتأثير في آن واحد، كقول الفند الزماني في حرب البسوس [٢] :

مَشَـــيْنا مِشْـــيَةَ اللَّيْـــثِ ... غَـــدَا واللَّيْـــثُ غَضْبَـــانُ
بِضَـــرْبٍ فيـــهِ تَوْهـــينٌ ... وتَخْضِيـــعٌ وإِقْـــرَانُ
وَطَعْـــنٍ كَفَـــمِ الـــزِّقّ ... غَـــدَا والـــزِّقُّ مَـــلآنُ
وبَعْـــضُ الْحِلْـــمِ عِنْـــدَ الْجَهْـــ ... ـــلِ لِلذِّلَّـــةِ إِذْعَـــانُ[٣]

---

[١] ابن الأنباري: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٢. فارة: سميت فارة المسك (فارة) لأن الروائح الطيبة تفور منها، والأصل (فأرة) فخففت فقيل فارة. انظر الزوزني: شرح المعلقات السبع: ١٩٥. التاجر: العطار. قسيمة: حسنة. العوارض: ما خلف الرباعية من الأسنان، وقيل: ما خلف الضواحك من الأسنان. الروضة: المكان المطمئن يجتمع إليه الماء فيكثر نبته. أنفاً: لم يَرْعَها أحد فهو أطيب لريحها. الدمن: السّرجين والْبَعَر. الغيث: المطر. ليس بمعلم: ليست مباحة للدواب، وقيل: ليس بمكان معروف، إنما هي (فَيافٍ)، فهو أطيب لرائحتها. جادت عليه: أصابته بالْجَوْدِ، أي بالمطر الجود. والْجَوْدُ من المطر: الذي يروي كل شيء ويرضي أهله. عليه: على المكان. كل بكر: من أول المطر. ثرّة: كثيرة المطر دائمته. الحدائق: الحيطان التي فيها الشجر والنخل. كالدرهم: أي امتلأت كلها، فكأن استدارتها بالماء استدارة الدرهم.

[٢] ابراهيم عبدالرحمن محمد : الشعر الجاهلي : ١٩٧، ١٩٨.

[٣] أبو تمام: ديوان الحماسة، شرح التبريزي: ١/٥، ٦، ٧. الطعن: الضرب والوخز بالرمح. الزق: السقاء، أو جلد يُجزّ ولا ينتف يستعمل للشراب وغيره. غدا: سال. شبّه الطعن في اتساعه وخروج الدم منه بفم الزق إذا سال بما فيه وهو مملوء.

وفي الشعر الجاهلي الكثير من التشبيهات والاستعارات والكنايات والجناس والأمثال، وهي امتداد للخيال في التعبير والتصوير. ومن استعاراتهم قول تأبط شراً [١] :

إذا حاصَ عَيْنَيْهِ كَرَى النَّوْمِ لَمْ يَزَلْ ... لَهُ كالِيءٌ مِنْ قَلْبِ شَيْحانَ فاتِكِ

وقوله أيضاً [٢] :

أَقُولُ لِلَحْيَانِ وقَدْ صَفِرَتْ لَهُمْ ... وِطابي ويَوْمي ضَيِّقُ الْجُحْرِ مُعْوِرُ

وقوله في النجاة من الموت [٣] :

فَخالَطَ سَهْلَ الأَرْضِ لَمْ يَكْدَحِ الصَّفَا ... بِهِ كَدْحَةٌ والْمَوْتُ خَزْيانُ يَنْظُرُ

ونجد التشبيه عند عنترة في صورته المشهورة لذباب الروضة:

وخَلا الذُّبابُ بِها فَلَيْسَ بِبارِحٍ ... غَرِداً كَفِعْلِ الشَّارِبِ الْمُتَرَنِّمِ

هَزِجاً يَحُكُّ ذِراعَهُ بِذراعِهِ ... قَدْحَ الْمُكِبِّ على الزِّنادِ الأَجْذَمِ[٤]

ويتحدث المهلهل عن طول الليل، فيشبه النجم في بطئه بالفصال الصغيرة التي تجول في المطر، فتخشى الزلق فلا تسرع:

كَأَنَّ النَّجْمَ إِذْ وَلَّى سُحَيْراً ... فِصَالٌ جُلْنَ في يَوْمٍ مَطِيرِ[٥]

---

[١] أبو تمام: ديوان الحماسة: ٢٣/١. حاص: خاط. الكرى: النوم الخفيف. الكالىء: الحافظ. الشيحان: الحازم. الفاتك: الذي يفاجيء غيره بالمكروه.

[٢] الأصفهاني: الأغاني ١٤٠/٢١. والأخفش الأصغر: كتاب الاختيارين: ٢٩٥، ٢٩٦. صفرت: خلت. أي خلا قلبه من ودّهم، أو أشرفت نفسه على الهلاك. الوطاب: جمع وطب، وهو سقاء يتخذ من الجلد. ضيّق الجحر: مَثَلٌ ضربه لضيق منفذه، وتخوّف ظفر الأعداء به. معور: أي بيّن العور، ويريد أنه يوم عصيب.

[٣] المصدر نفسه: ١٤١/٢١. كدح: خدش.

[٤] ابن الأنباري: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: ٣١٤-٣١٥. خلا الذباب: أي خلا هذا المكان له، أو خلا بهذا المكان. ببارح: بزائل. التغريد: التطريب. هزجاً: سريع الصوت متداركه. الأجذم: المقطوع اليد.

[٥] حسن السندوبي: أخبار المراقسة وأشعارهم في الجاهلية وصدر الإسلام: ٢٧٤. النجم: الثريا. وشبهها بالفصال في يوم مطير لبطئها، لأن الفصيل يخاف الزلق فلا يسرع. والفصيل: ولد الناقة إذا فصل عن أمه.

وكذلك تشبيه الرماح لطولها بأشطان " حبال" بئر:

كَـــأنَّ رِمَـــاحَهُمْ أشْـــطَانُ بِـــئْرٍ بَعيـــدٍ بَيْـــنَ جَانَيْهـــا جَـــرُورِ[1]

وكذلك تشبيهه بني الشقيقة؛ وهم حي من بني ذهل بن شيبان بأسد الغاب شجاعة وضراوة:

فِـدًى لِبَـنِي الشَّـقِيقَةِ يَـوْمَ جَـاءُوا كَأُسْـدِ الْغَـابِ لَجَّـتْ فِي زَئِـيرِ[2]

ومنه أيضاً تشبيهه أحياء من وائل وهم يقتتلون ويفني بعضهم بعضاً - وهم من أصل واحد- بالرحيين اللتين تؤثر إحداهما في الأخرى:

كَأنَّـــا غُـــدْوَةً وَبَـــنِي أبِينَـــا بِجَنْـــبِ عُنَـــيْزَةٍ رَحَيَـــا مُديـــرِ[3]

وشبه عمرو بن كلثوم سيوف قومه وسيوف أعدائهم بالمخاريق بأيدي صبيان لكثرتها وسرعتها:

كَـــأنَّ سُـــيوفَنَا فِينَـــا وَفِيهِـــمْ مَخَـــارِيقٌ بِـــأيْدِي لاعِبِينَـــا[4]

وكذلك وصفه للمعركة وتشبيهه كثرة الدماء على ثياب قومه وثياب أعدائهم بصبغ أحمر :

كَـــأنَّ ثِيابَنَـــا مِنَّـــا وَمِنْهُـــمْ خُضِبْـــنَ بِـــأرْجُوانٍ أوْ طُلِينَـــا[5]

---

[1] حسن السندوبي: أخبار المراقسة وأشعارهم في الجاهلية وصدر الإسلام: ٢٧٦. الأشطان: الحبال. والبئر ها هنا: الهواء الذي من الجال إلى الجال. والبين: الوصل والقطع، وهو من الأضداد. جرور: بئر بعيدة القعر.

[2] المصدر نفسه: ٢٧٦. بنو الشقيقة: حي من ذهل بن شيبان. وهم الذين قال فيهم قريط بن أنيف:

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي بنو الشقيقة من ذهل بن شيبانا

انظر: ديوان الحماسة، شرح التبريزي: ٤/١. اللَّجَّة: الأصوات والجلبة. الزئير: صوت الأسد من صدره.

[3] المصدر نفسه: ٢٧٧ والأصمعيات: ١٥٥.

[4] ابن الأنباري: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: ٣٩٧.

[5] المصدر السابق: ٣٩٨. الأرجوان: صبغ أحمر. فشبّه كثرة الدماء على الثياب بصبغ أحمر.

ومن كناياتهم قول الشنفرى يصف امرأة بالعفة:

تَحُــلُّ بِمَنْجــاةٍ مِــنَ اللَّــوْمِ بَيْتَهــا إِذا مــا بُيُــوتٌ بِالْمَذَمَّــةِ حُلَّــتِ[1]

ومن الصور البيانيـة التـي وردت فـي أشـعارهم أيضـاً الجنـاس الحرفـي، أو التشـبيه بالتجنيس، أو ما يسمى بالجناس السجعي؛ وهو تكـرار حـرف واحـد أو حرفيـن مـن غـير تعمد وذلك من أجل الجرس الشعري[2] ، ومن ذلك قول عنترة [3] :

جــادَتْ عَلَيْــهِ كُــلُّ بِكْــرٍ ثَــرَّةٍ فَــتَرَكْنَ كُــلَّ حَديقــةٍ كــالدِّرْهَمِ

فالسامع لا يملك إلا أن يربط بين جرس الراءات وصورة المطر المنهمل من المزنة البكرة الثرة[4] .

(٤) الموسيقى الشعرية:

يشكل التلاؤم الصوتي بين الالفاظ ضرباً من التناغم أحسه القدماء في بحثهم لتركيب الحروف فميزوا ما يتآلف من الحروف وما يتنافر، ووجدوا لهذا التناغم بين الألفاظ [5] "إيقاعاً يطرب الفهم لصوابه وما يرد عليه من حسن تركيبـه واعتدال أجزائـه" [6] . وهذا الإيقاع في الشعر يماثل اللحن في الموسيقى "ومما يفضل به الشعر أن الألحان... لا تتهيأ صنعتها إلا على منظوم من الشعر" [7] ونـزوع الشـاعر إلـى هـذا الإيقـاع المتنـاغم سـابق

---

[1] المفضل الضبي: المفضليات ١٠٩.

[2] عبدالله الطيب المجذوب : المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، الدار السودانية – الخرطوم، ط٢، ١٩٧٠م: ٦٠٣/٢.

[3] ابن الانباري : شرح القصائد السبع: ٣١٢.

[4] عبدالله الطيب المجذوب : المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها: ٥٧٩/٢.

[5] ماهر مهدي جلال : جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، دار الرشيد للنشر، سلسلة دراسات (١٩٥)، الجمهورية العراقية ، وزارة الثقافة والإعلام ، ١٩٨٠م: ٢٢٣.

[6] ابن طباطبا العلوي : عيار الشعر: ١٥.

[7] أبو هلال العسكري: الصناعتين: ١٤٤.

لوعيه علم العروض والقوافي المدون، وإن جميع الشعر الجيد المستشهد به إنما هو سابق لوضع هذه الكتب كما يقول قدامة [١] . وهذا التلاؤم النغمي الذي يقع بين الألفاظ تلقائياً لا يمكن تعليله، يقول القرطاجني: "وليس ذلك إلا لنسبة وتشاكل يعرض في التأليف لا يعبر عن حقيقته ولا يعلم ما كنهه إنما ذلك مثل ما يقع بين بعض الألحان[٢].

وهذه النسبة والتشاكل في التأليف مردها إلى ما يصطلح عليه بالانسجام : "وهو أن يأتي الكلام متحدراً كتحدر الماء المنسجم، بسهولة سبك، وعذوبة ألفاظ، وسلامة تأليف، حتى يكون للجملة وللبيت من الموزون وقع في النفوس، وتأثير في القلوب، ما ليس لغيره" [٣] . وليس مصادفة بعد هذا أن يورد ابن رشيق القول: "إن الذ الملاذ كلها اللحن ..." وإن "الأوزان قواعد الألحان، والأشعار معايير الأوتار"[٤] ولعل قدامة في استدراكه بالمعنى على الوزن والقافية في الشعر أراد أن يميزه عن هذه الألحان الصوتية المحضة بأن الحالة دالة على معنى[٥] ، فليس أدل على موسيقى الألفاظ في تلاؤمها وانسجامها من صلاحها للغناء، والإنشاد، قال ابن رشيق: "وقيل : مقود الشعر الغناء"[٦].

والإنسان بفطرته، وبما وهبه الله من كمال، ميال إلى الإحساس بالجمال وحبه [٧] ، يقول ابن خلدون: "ولما كان أنسب الأشياء إلى الإنسان ، وأقربها إلى أن يدرك الكمال... هو شكله الإنساني... في تخاطيطه وأصواته ... التي هي أقرب إلى فطرته، فليلهج كل إنسان بالحسن من المرئي أو المسموع بمقتضى الفطرة، والحسن في المسموع أن تكون الأصوات متناسبة لا متنافرة" [٨].

---

[١] نقد الشعر : ١٠.

[٢] منهاج البلغاء : ٢٢٣.

[٣] ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ت: حفني محمد شرف، مطبعة الرسالة – مصر، ط١، ١٣٧٧هـ-١٩٥٧م: ١٦٦.

[٤] العمدة : ٢٦/١.

[٥] نقد الشعر : ١١.

[٦] المصدر نفسه : ٢١١.

[٧] سعد إسماعيل شلبي : الأصول الفنية للشعر الجاهلي: ١٠٩.

[٨] مقدمة ابن خلدون : ٤٢٥.

وقد ارتبط الشعر في نشأته الأولى بالغناء ارتباطاً وثيقاً، لأنهما معاً يصدران عن العاطفة ويعبران عنها، فبواعثهما واحدة، ففي الغناء موسيقى النغمات والألحان، وفي الشعر موسيقى الألفاظ والأوزان [١] .

لقد كان البدو – في الجاهلية – "يغنون وراء إبلهم وظهر منهم بعد ذلك مغنون مشهورون في يثرب والطائف وخيبر، ووجدت لديهم بعض الآلات الموسيقية كالدف والمزمار" [٢] . ومن دلائل وجود الموسيقى والغناء عند العرب في العصر الجاهلي، ما انتهى إلينا من شواهد عينية، وفي القرآن الكريم[٣] : ﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية﴾ [٤] . والمكاء: الصفير، والتصدية: التصفيق بالأكف. فالموسيقى والغناء كانا ملازمين للصلاة الوثنية حول الكعبة عند الجاهليين[٥] .

ويذكر مؤرخو العصر الجاهلي أن بعض الشعراء الجاهليين قد غنوا شعرهم. أمثال المهلهل والسليك بن السلكة والأعشى[٦] .

ويقول جرجي زيدان عن اقتران الشعر بالغناء عند الأمم القديمة: "ولعل العرب كانوا كذلك، في أقدم أحوالهم. فنبغ منهم جماعة يغنون شعرهم كما فعل الأعشى قبل الإسلام، فقد كان ينظم الشعر ويغنيه [٧] . ولذلك سمي "صناجة العرب" [٨] .

والشعر العربي منذ العصر الجاهلي تسيطر عليه الموسيقى، وأبياته مقسمة إلى مقاطع موسيقية متوالية متناسقة [٩] ، ويقول النويهي: "نريد أن نؤكد أن في استماعنا إلى الشعر يجب أن ننصت لا إلى الإيقاع العام وحده الذي يظهر في بحور العروض وصحة اتباع الناظم لها بل ننصت أيضاً إلى الإيقاع الخاص لكل كلمة لغوية، وإلى الجرس الذي

---

[١] سعد إسماعيل شلبي : الأصول الفنية للشعر الجاهلي: ١٠٩.

[٢] عبدالكريم العلاف: الطرب عند العرب ، مطبعة أسعد – بغداد ، ط٢، ١٩٦٣م، المقدمة ، ص: ط.

[٣] سعد إسماعيل شلبي : الأصول الفنية للشعر الجاهلي: ١١٠.

[٤] الأنفال ، الآية : ٣٥.

[٥] سعد إسماعيل شلبي : الأصول الفنية للشعر الجاهلي: ١١٠.

[٦] المصدر نفسه: ١١١.

[٧] تاريخ آداب اللغة العربية : ٥٦/١.

[٨] ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ٢٥٨/١.

[٩] سعد إسماعيل شلبي : الأصول الفنية للشعر الجاهلي: ١٢٠.

تصدره الحروف وإلى انسجام الإيقاع والجرس في النغم الشعري للبيت الكامل ثم للأبيات المتعاقبة" [١] .

وظاهرة تكرار الألفاظ في الشعر الجاهلي ظاهرة بارزة ، تحدث انسجاماً موسيقياً خارجاً كل الخروج عن الوزن والمعنى. وللألفاظ - من حيث هي أصوات- أثر موسيقي خاص يوحي إلى السمع بتأثيرات مستقلة تمام الاستقلال عن تأثيرات المعنى[٢] .

وإذا كان تكرار اللفظة في البيت قد أفاد تقوية النغم في أداء الغرض المراد، فإن الشعراء قد تغنوا في هذا التكرار وجعلوه تنافساً يربط الألفاظ ويوصلها ببعضها بصيغة هي أشبه بالصيغ الخطابية [٣] ، كقول تأبط شراً :

لَكِنَّما عِوَلي إنْ كُنْتُ ذا عِوَلٍ ... على بَصيرٍ بِكَسْبِ الْحَمْدِ سَبَّاقِ
سَبَّاقِ غاياتِ مَجْدٍ في عَشِيرتِهِ ... مُرَجِّعِ الصَّوْتِ هَدَّاً بَيْنَ أَرْفاقِ
إنِي زَعيمٌ لَئِنْ لَمْ تَتْرُكُوا عَذَلي ... أَنْ يَسْأَلَ الحيُّ عَنِّي أَهْلَ آفاقِ
أَنْ يَسْأَلَ الْقَوْمُ عَنِّي أَهْلَ مَعْرِفَةٍ ... فَلا يُخَبِّرُهُمْ عَنْ ثابِتٍ لاقِ[٤]

فتكرار لفظة "سباق" في القافية وأول البيت، وتكرار جزء من عجز البيت في صدر البيت الذي يليه يؤكد نغم القافية ويصله بنغم البيت الثاني[٥] ، يقول الدكتور عبدالله الطيب: "ولا شك أن الطريقة التي كان يلقى بها الشعر كانت لها صلة قوية بهذا النوع من

---

[١] النويهي : الشعر الجاهلي : ١/٤٠، ٤١.

[٢] طه حسين وصحبه : التوجيه الأدبي، المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٩٥٢م : ١٣٧-١٣٨.

[٣] ماهر مهدي جلال : جرس الألفاظ : ٢٤٤.

[٤] المفضل الضبي: المفضليات: ٢٩، ٣٠. زعيم: كفيل وضمين. العَذْلُ والتعذيل: الملامة. والعَذَلُ: قبول الملامة. الآفاق: جمع أُفُق، الناحية من الأرض ومن السماء. ثابت: هو تأبط شراً.

[٥] ماهر مهدي جلال : جرس الألفاظ : ٢٤٤.

التكرار" [١] . ونظير هذه الأبيات قول الشنفرى [٢] :

فَبِتْنَا كَأَنَّ الْبَيْتَ حُجِّرَ فَوْقَنَا بِرَيْحَانَةٍ رِيحَتْ عِشَاءً وَطُلَّتِ
بِرَيْحَانَةٍ مِنْ بَطْنِ حَلْيَةَ نَوَّرَتْ لَهَا أَرَجٌ مَا حَوْلَهَا غَيْرُ مُسْنِتِ

فتكرار لفظة " ريحانة" في بيتي الشنفرى توافق نغمي بين عجز البيت السابق وصدر البيت اللاحق ، وأكثر ما نلاحظه هو تكرار القافية في صدر البيت التالي أو كلمة من العجز قوية المدلول[٣] . وهذا التكرار يفيد في إيصال قوة النغمة واستمراريتها إلى السامع [٤] .

ومن خلال المثالين السابقين يمكن أن نميز بين نوعين من التكرار المراد به تقوية النغم، الأول: تكرار لفظة في سياق النظم بين عجز بيت سابق وصدر بيت لاحق، والثاني: تكرار عبارة من العجز في صدر بيت تال، ومثاله ما رواه أبو علي القالي من رائية المهلهل [٥] :

أَلَيْلَتَنَا بِذِي حُسُمٍ أَنِيرِي إِذَا أَنْتِ انْقَضَيْتِ فَلَا تَحُورِي[٦]

وقد كرر فيها " على أن ليس عدلاً من كليب" في صدر عدة أبيات منها قوله[٧] :

عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلاً مِنْ كُلَيْبٍ إِذَا طُرِدَ الْيَتِيمُ عَنِ الْجَزُورِ
عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلاً مِنْ كُلَيْبٍ إِذَا رَجَفَ الْعِضَاهُ مِنَ الدَّبُورِ

---

[١] عبد الله الطيب المجذوب: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها: ٤٩٨/٢.

[٢] المفضل الضبي: المفضليات: ١١٠. حُجِّر: أُحيطَ. ريحت: أصابتها ريح فجاءت بنسيمها. طلت: أصابها الطل، وهو الندى. وإنما قال "عشاء" لأنه أظهر لرائحة الرياحين. حلية: واد بتهامة، أعلاه لهذيل وأسفله لكنانة. الأرج: توهج الريح وتفرقها في كل جانب. المسنت: المجدب.

[٣] عبدالله الطيب المجذوب: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها: ٤٩٨/٢.

[٤] ماهر مهدي جلال : جرس الألفاظ : ٢٤٥.

[٥] المصدر نفسه : ٢٤٦.

[٦] القالي: الأمالي: ١٢٩/٢. ذو حسم: موضع. أنيري: أسفري عن صبحك. لا تحوري: لا ترجعي.

[٧] المصدر نفسه: ١٢٩/٢. العَدْل: المِثْل والنظير. الجزور: البعير، أو خاص بالناقة المجزورة، أو ما يذبح من الشاء. رجف: تحرك، أو اضطرب شديداً. العضاه: أعظم الشجر، أو كل ذات شوك كالطلح والعوسج، مفردها (عِضَةٌ). الدبور: ريح تهب من جهة المغرب تقابل (الصبا)، ويقال تقبل من جهة الجنوب ذاهبة نحو المشرق. والصبا: ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش.

فتعمد الشاعر إعادة قوله: "على أن ليس عدلاً ..."إنما هي تقوية الرنة اللفظية ليصل الشاعر بها الكلام ، ويبالغ في جرسه [١] . ويرى بعض المعاصرين أن هذا النوع من التكرار في شعر المهلهل، ما يدلل على أنه صناعة شعرية يحذقها الشعراء لتقوية جرس الألفاظ في تعبيرهم [٢] . ونجدها مبثوثة في تضاعيف قصائدهم. يقول عمرو بن كلثوم في معلقته [٣] :

إذا عَضَّ الثِّقافُ بها اشْمأزَّتْ ... ووَلَّتْهُ عَشَوْزَنَةً زَبُونا

عَشَوْزَنَةً إذا غُمِزَتْ أَرَنَّتْ ... تَشُجُّ قَفَا الْمُثَقِّفِ والْجَبِينَا

فاستقطب لفظة "عشوزنة" من عجز البيت الأول، وجاء بها في صدر البيت الثاني، قصداً في الاعتماد على قوة جرس اللفظة ذاتها، حتى إذا قال "أرنت" أحس القاريء حقاً بقيمة هذه الرماح "العشوزنة"، أي الرماح الصلبة التي إذا غمزت صوتت وسمعت لها رنيناً [٤] .

وانظر هذا الإيقاع والترنم بتكرار لفظة "أنا" وتتابع صيغ الجموع في قوله:

بأنَّا الْعَاصِمُونَ إذا أُطِعْنَا ... وأنَّا العارِمُونَ إذا عُصِينا

وأنَّا المُنْعِمُونَ إذا قَدَرْنا ... وأنَّا الْمُهْلِكُونَ إذا أُتِينَا

وأنَّا الحاكِمُونَ بِمَا أَرَدْنَا ... وأنَّا النَّازِلُونَ بحيثُ شِينَا

وأنَّا الطَّالِبُونَ إذا انْتَقَمْنَا ... وأنَّا الضَّارِبُونَ إذا ابْتُلِينَا

وأنَّا التَّارِكُونَ لِمَا سَخِطْنَا ... وأنَّا الآخِذُونَ لِمَا رَضِينَا

وأنَّا النَّازِلُونَ بِكُلِّ ثَغْرٍ ... يَخافُ النَّازِلُونَ بِهِ الْمَنُونَا [٥]

---

[١] ماهر مهدي جلال : جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب: ٢٤٧.

[٢] عبد الله الطيب المجذوب: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها: ٥٠١/٢.

[٣] أبو زيد القرشي: جمهرة أشعار العرب: ٢٨٨. وابن الأنباري: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: ٤٠٤. الثقاف: خشبة تُقَوِّمُ بها الرماح. اشمأزت: انقلبت. وفي ابن الأنباري: شرح القصائد السبع: اشمأزت: نفرت. عشوزنة: صلبة. زبون: دفّاعة. زبنته: إذا دفعته، ومنه سميت الزبانية. والزبانية عند العرب: الأشداء. غمزت: لينت. أرنت: صوتت، من الرنين. المثقف: الذي يُقوّم الرماح. تشج: تجرح.

[٤] ماهر مهدي جلال : جرس الألفاظ: ٢٤٧.

[٥] أبو زيد القرشي: جمهرة أشعار العرب: ٢٩٤، ٢٩٥. العاصم: المانع.العارمون: الأشداء. ومعنى البيت الثاني، يقول: إنا نعفو عند الاقتدار على من طلب العفو منا. شينا: شئنا.

حتى إذا حلّق بنغم "أنا" هذه إلى الذروة من الفخر، وبتناوب النغم في صيغة الجمع المتوالية في كل الأبيات هذه، جاء تقريره في قوله[١] :

وَنَشْرَبُ إِنْ وَرَدْنَا الْمَاءَ صَفْواً وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدِراً وَطِينَا[٢]

وكأنه رسوخ لذلك التناغم في ذهن السامع، وحسبك روعة في إبداع هذا الشاعر أنه ختم ضجة الجرس الخطابية الطاغية في ألفاظ معلقته بتخلص يعد من جماليات الأسلوب حقاً، حيث قال[٣] :

أَلا لا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجاهِلينا[٤]

ولعل غرض الفخر المعتاد في لغة الشعر الجاهلي قد أكسب لفظة "أنا" جرساً موحياً بمعان كثيرة، يدركها السامع بفطرته [٥] .

وهذا ما دعا بعض الباحثين المعاصرين إلى وصف موسيقى القصيدة الجاهلية بأنها ذات جلجلة تتناسب مع جلجلة الحرب، إنها موسيقى القوة اللازمة للجاهلي، والتي تلائم موضوعات الإعتزاز والتحمس. ولعل الشعر بدأ أول ما بدأ شعر فخر أملته الظروف القتالية.[٦]

غير أن الجلجلة الموسيقية للقصيدة الجاهلية لا تؤكد على اليقين ، أن الشعر ولد ليخدم ظروف القتال، بل يبقى في طوقنا الذهاب إلى أنه ربما ولد نتيجة الإحساس بموسيقى الطبيعة في العصور المشاعية أو الرعوية. لقد جاءت موسيقى القصيدة الجاهلية المتسمة بالقوة صورة عن الروح الجاهلية التي كانت تنزع دائماً إلى القوة. ففي موسيقى القصيدة يثبت ويؤكد الشاعر ذاته، لأنها تحمل من العنف ما يكفي لتعبير الشاعر عن عنفه وعنجهيته . إنها أشبه بإيقاعات طبول الحرب، وأهم ما يميزها هو أنها حازمة وصارمة

---

[١] ماهر مهدي جلال: جرس الألفاظ: ٢٤٨.

[٢] أبو زيد القرشي: جمهرة أشعار العرب: ٢٩٥. يقول: ونأخذ من كل شيء أفضله وندع لغيرنا أرذله، يريد أنهم السادة والقادة وغيرهم أتباع لهم.

[٣] ماهر مهدي جلال: جرس الألفاظ: ٢٤٨.

[٤] أبو زيد القرشي: جمهرة أشعار العرب: ٣٠٠.

[٥] ماهر مهدي جلال : جرس الألفاظ : ٢٤٨، ٢٤٩.

[٦] يوسف اليوسف: مقالات في الشعر الجاهلي: ٧٣.

لا تهن ولا تتباطأ، بل هي تدق وتتتابع باستمرار. وثمة سببان لهذا العنف، **الأول**: السبب النفسي، وهو أن الجاهلي جلف عنيف. **والثاني**: السبب الاجتماعي، وهو ضرورة تواؤمها مع حالة الحرب الدائرة دائماً في المجتمع الجاهلي [١].

ونلاحظ " الاستفهام" المتكرر في صدر أبيات عمرو بن كلثوم [٢]:

بأيِّ مَشيئةٍ عَمْرَو بنَ هِنْدٍ تُطيعُ بِنَا الوُشاةَ وتَزْدَرِينا
بأيِّ مَشيئةٍ عَمرَو بنَ هِنْدٍ تَرَى أنَّا نكونُ الأرْذَلِينا
بأيِّ مَشيئةٍ عَمْرَو بنَ هِنْدٍ تَقَدَّمْنَا ونحنُ السَّابِقُونا

وليس بخاف على القاريء ، أو السامع أن تكرار الشاعر "بأي مشيئة عمرو بن هند" لم يفد المعنى شيئاً وإنما هو قوة لجرس الألفاظ وتقرير لإرادة التعبير، وهو أسلوب عرفه الشاعر القديم، وتؤكده شواهد الحارث والمهلهل وعمرو بن هند [٣].

إن تكرار اللفظة في القصيدة الجاهلية يكسبها معنى جمالياً وجرساً موسيقياً، ولا يمكن أن يستعاض عن لفظة مكان أخرى، حيث لا تؤدي اللفظة البديلة الغرض الذي تؤديه تلك اللفظة الأصلية، ولا يدرك سر الجمال بغير تلك اللفظة الأولى، ومثال ذلك قول الفند الزماني [٤]:

مَشَيْنَا مِشْيَةَ اللَّيْثِ غَدَا واللَّيْثُ غَضْبَانُ[٥]

فليس من شك أن لتكرار لفظة "الليث" نغمة وجرساً لا تتوفر في قولنا "وهو غضبان"[٦].

---

[١] يوسف اليوسف: مقالات في الشعر الجاهلي: ٧٣، ٧٤.
[٢] أبو زيد القرشي: جمهرة أشعار العرب: ٢٨٧.
[٣] ماهر مهدي جلال : جرس الألفاظ : ٢٥١.
[٤] ماهر مهدي جلال: جرس الألفاظ: ٣٠٩.
[٥] ديوان الحماسة، شرح التبريزي: ٦/١.
[٦] ماهر مهدي جلال : جرس الألفاظ : ٣٠٩.

ويشعر المرء أن القصيدة الجاهلية بنية موسيقية متناسقة ومتكاملة، وصورة إيقاعية تعين القاريء على ترتيب وعيه لمحتوياتها. ولعل سر نجاح هذه القصيدة إنما يمكن أن يعزى إلى قدرتها على تنسيق مشاعرنا في إطار عاطفي ذي ثقل في النفس. ولما كانت الموسيقى في القصيدة محسوسة، بحيث تشعر أن لها كافة خصائص المادة المجسمة، أو بحيث تشعر أنها جسم له ثقل ولون ورائحة، ويشغل حيزاً في المكان، فإن بوسعنا أن نستمتع بالقصيدة الجاهلية التي قد لا نفقه معانيها بسبب من الحاجز اللغوي، نظراً لنجاح كليتها الموسيقية[١] .

إن فروع الشعر الجاهلي قلما تختلف فيها الموسيقى بعضها عن بعض ، إلا إذا اختلفت البحور بطبيعة الحال. فنحن نجد أن موسيقى الرثاء، التي ينبغي أن تكون حزينة ، لا تختلف كثيراً عن موسيقى الفخر مثلاً، وما ذلك إلا لأن الرثاء نفسه لا يختلف كثيراً عن الفخر أو المديح[٢] .

ورغم تباين المواضيع في القصيدة الواحدة، فإن في مقدور المرء أن يتحسس وحدة القصيدة عبر موسيقاها وإيقاعاتها، فكأنما الشاعر يعوض عن تفكك أجزاء القصيدة بهذه الكلية الموسيقية التي تلم شتاتها في وحدة عضوية، وبسبب من قدرتها التوحيدية تمتعت الموسيقى الجاهلية بجمالية، رغم ما فيها من قوة تنفر منها الأذن المتحضرة[٣] .

والشعر العربي منذ العصر الجاهلي تسيطر عليه الموسيقى، وأبياته مقسمة إلى مقاطع متوالية متناسقة[٤] .

لقد نجح القدماء في ضبط القواعد الصوتية التي تحكمها ضبطاً دقيقاً. ولكنا نريد أن نقف عند جانب صوتي في هذا البناء الموسيقي لم يتأت للقدماء القدرة على الكشف عنه وضبطه، على نحو ما عملوا في وصفهم الموسيقى الخارجية لهذا الشعر. نعني به ما يصح أن نسميه "الموسيقى الداخلية" وهي الإنسجام الصوتي الداخلي الذي ينبع من التوافق الموسيقي بين الكلمات ودلالاتها حيناً، أو بين الكلمات بعضها وبعض حيناً آخر، وهذا

---

[١] يوسف اليوسف : مقالات في الشعر الجاهلي : ٧٣.

[٢] المصدر نفسه: ٧٤.

[٣] المصدر نفسه ٧٤.

[٤] سعد إسماعيل شلبي : الأصول الفنية للشعر الجاهلي: ١٢٠.

الإنسجام الصوتي يحققه الأسلوب الشعري من خلال "النظم وجودة الرصف". فقاريء الشعر القديم عامة والجاهلي خاصة ، يحس هذا الإنسجام الموسيقي ولكنه لا يكاد يتنبه، أولا يقدر على قياسه وضبطه بوسائل العروض المألوفة ، فهذه الوسائل تتساوى فيها المدات والوقفات الموسيقية على اختلاف زمنها، طولاً أو قصراً، وعلى اختلاف نغمها حدة أو رهافة، فقد دعت الشاعر الجاهلي ظروف نفسية متقلبة، وطبيعة الحياة المتغيرة من حوله، إلى أن يوائم بين عواطفه وبين هذه الموسيقى الداخلية. وقد استطاع هذا الشاعر أن يخرج من هذه البحور أنغاماً موسيقية مختلفة تتنوع بتنوع عواطفه وأحاسيسه. وإذن فالموسيقى التي تنبعث من البحر "الطويل" أو غيره من البحور في قصيدة ما تختلف عنها في قصيدة أخرى. بل إن موسيقى هذا البحر أو ذاك في القصيدة الواحدة تختلف من بيت إلى بيت، أو من موقف نفسي إلى آخر، طبقاً لما يطرأ على عواطف الشاعر وأحاسيسه من تغير. فالطويل يمتاز – كما يدل عليه اسمه– بطول مداته ونغماته الموسيقية، كما يمتاز القصير والسريع والخفيف والوافر والرمل بالخفة والرشاقة.[١]

إن الشعراء القدامى كانوا يعولون على المزج بين ظاهرتين تغلبان على نماذج هذا الشعر وتشيعان في أساليبه منذ أقدم شعرائه، هما: **"التكرار"** و **"التقطيع اللغوي"**. ومعنى ذلك أن الشاعر الجاهلي كان يعتمد على اختيار الحروف والكلمات والصور اعتماداً واسعاً في تشكيل البناء الموسيقي لقصائده، أكثر من اعتماده على أية وسيلة أخرى. فكان ينتقي كلمات يحقق عن طريقها أصواتاً وإيقاعات معينة متخذاً "الصورة الشعرية " الموحية وسيلة فنية إلى صياغة هذه المعاني الواسعة في هذه التركيبة اللغوية الموجزة . ومغزى ذلك كله أن الأساس الموسيقي للقصيدة القديمة إنما يكمن في اللغة والأسلوب والصورة الشعرية بحيث يستحيل على المرء أن يكشف عن أسرار هذا الجانب الصوتي الذي كان يخلقه الشاعر من خلال التأليف بين هذه العناصر اللغوية خلقاً[٢] .

وفيما يتصل بظاهرة "التكرار الصوتي" فقد كان الشاعر الجاهلي يسعى إلى تحقيقه من طريقين متقابلين، أحدهما : نمطي يتصل بنظام القصيدة القديمة ، وهو الالتزام بقافية واحدة وبحر واحد، يحدث بهما الشاعر إيقاعاً صوتياً واحداً في القصيدة جميعاً. والثاني:

---

[١] إبراهيم عبد الرحمن محمد: الشعر الجاهلي، قضاياه الفنية والموضوعية: ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦.

[٢] المصدر نفسه :٢٩١-٢٩٢.

إبداعي يكشف فيه الشاعر عن قدراته الخاصة في إحداث أصوات بعينها تتكرر في كل بيت على حدة، فتخلق في داخله "جناساً صوتياً"، وتختلف من بيت إلى آخر، فتخلق بين هذا البيت وغيره من أبيات القصيدة الأخرى، وقوافيها الثابتة، ما يسمى "طباقاً صوتياً". ومعنى ذلك أن الشاعر القديم قد استطاع أن يقيم من هذا "التكرار الصوتي" بناء موسيقياً متنوعاً، وهكذا أخرج الشاعر الجاهلي في موسيقاه بين المخالفة والمماثلة اللتين تنبعان من أصل واحد هو ما أسميناه بـ " التكرار الصوتي". وقد حقق الشاعر القديم هذا "التكرار الصوتي" بوسائل عديدة منها: تكرار حروف بعينها في كل بيت شعري على حدة، يحدث تكرارها أصواتاً وإيقاعات موسيقية معينة. وتكرار كلمات يتخيرها الشاعر تخيراً موسيقياً خاصاً، لتؤدي بجانب دورها في بناء الصورة الشعرية، إلى توفير إيقاع موسيقي خاص بكل بيت على حدة، وتوالي حركات تتفق أو تختلف مع حركة القافية والروي. وقد كان الشاعر الجاهلي كثيراً ما يجمع بين شكل أو أكثر من أشكال هذا التكرار الصوتي في البيت الشعري الواحد[١] .

يقول **سبنسر**: "إن خير الموسيقا ماتتمشى مع الأفكار وتتساوق مع المعاني وتتجاوب نغماتها ونبراتها مع حالات النفس، فالشاعر في اهتياجه وغضبه وغيظه يكون تعبيره الموسيقي عالي النغمة، وفي حزنه يكون منخفضاً وفي تعجبه، وفرحه وهدوئه واطمئنانه تكون مسافاته الصوتية قصيرة، وأما في بثه وألمه فتكون مسافاته الصوتية طويلة، وهكذا تساير النغمات حالات النفس كما تساير موضوع القصيدة وفكرتها" [٢] .

(٥) الأوزان والقوافي:

والمظنون أن العرب خطوا من المرسل إلى السجع ومن السجع إلى الرجز، ثم تدرجوا من الرجز إلى القصيد. فلما ارتقى فيهم ذوق الغناء ، وانتقل الشعر من المعابد إلى الصحراء، ومن الدعاء إلى الحداء، اجتمع الوزن والقافية فكان الرجز، ثم تعددت الألحان، فكان للحماسة وزن، وللغزل وزن، وللهزج وزن، وهكذا إلى سائر الأوزان التي

---

[١] إبراهيم عبد الرحمن محمد: الشعر الجاهلي: ٢٩٢-٢٩٣.

[٢] سعد إسماعيل شلبي: الأصول الفنية للشعر الجاهلي : ١١٥. نقلاً عن سبنسر.

حصرها الخليل بن أحمد في خمسة عشر وزناً سماها بحوراً، وزاد الأخفش عليه بحراً بعد ذلك سماه المتدارك [١] .

وقد وجد الشعر الجاهلي، وفيه جميع الأوزان المعروفة التي استخلصها الخليل جميعاً من الشعر القديم إلا واحداً تداركه الأخفش كما تقدم [٢] . ويقول إبراهيم أنيس: "وكان القدماء من العلماء لا يرون في الشعر أمراً جديداً يميزه من النثر إلا ما اشتمل عليه من الأوزان والقوافي" [٣] .

ولم يعرف الجاهليون موازين الشعر بتعلم قوانين معينة أو أصول موضوعية ، إنما كان ينظم بطبعه على ما يهيء له الإنشاد أو الغناء أو الحداء، وقد هدتهم هذه إلى أوزان الخليل بن أحمد الفراهيدي، النحوي اللغوي مخترع علم العروض، وقد أكثروا النظم على بعضها دون بعض، بل إن بعضهم كان يكثر من النظم على بحر دون بحر[٤] .

وقد كان للشعر كله عندهم إسمان: الرجز والقصيد. فكل مالم يكن رجزاً سموه قصيداً من أي بحر كان. فالشعر عندهم ؛ إما رجز، وإما قصيد ولا ثالث لهما. والسجع حلقة اتصال بين النثر والنظم ، وأن الوزن متولد من السجع وأن أول ما وجد من أوزان الشعر هو الرجز[٥] . وأنه أسهلها إيقاعاً وأكثرها بداوة، وأبعده بعض الشعراء والعلماء عن أوزان الشعر، وَعُدَّ الرجز منفصلاً عن الشعر، وَعُدَّ الرجاز غير الشعراء، ولسهولة الرجز، نظمت فيه المقطوعات السهلة والمقطوعات العلمية والوعظية[٦] .

والأوزان في الشعر الجاهلي كثيرة منوعة معقدة ، بين القصير والطويل، والقدر الأوسط، وفيما يضطرب بين هذه جميعاً، حتى إنه لما جاء الخليل بن أحمد ووضع قواعد

---

[١] أحمد حسن الزيات : تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة – القاهرة ، ط٢٤ "مزيدة ومنقحة": ٢٨-٢٩.

[٢] نجيب محمد البهبيتي : تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري: ٨٩.

[٣] إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط١٣، ١٩٦٥م : ١٤.

[٤] سعد إسماعيل شلبي: الأصول الفنية للشعر الجاهلي: ١١٦.

[٥] محمد عبدالمنعم خفاجي : الحياة الأدبية في العصر الجاهلي : ٢١٢.

[٦] محمد زغلول سلام : مدخل إلى الشعر الجاهلي، دراسة في البيئة والشعر، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٠م: ١٢٨، ١٢٩.

علم العروض، فدار في دوائره الخمس في خطوات تحدها مقاييس "الأسباب والأوتاد" التي تؤلف العناصر الجوهرية لموسيقى الشعر نفسها، واستعرض جميع الاحتمالات لدورانه ذاك ، لم يخرج من هذه العملية بوزن واحد، لم يصنع فيه الجاهليون شعراً. بل إنه خرج منها بالأوزان الخمسة عشر التي ظل الشعر العربي يجري فيها عملياً حتى عصر ابن قتيبة[١] .

والشعر العربي القديم رجزه وقصيده مهما طال يبنى على وزن واحد[٢] ، حيث اشترط جمهور الأدباء الوزن والقافية في الشعر، ويقتصر بعضهم على الوزن مع الخيال والعاطفة والشعور بالإحساس والإلهام الفني الخاص. ويرى النقاد أن الشعر ليس فقط وزناً وقافية فحسب، بل لا بد أن يشتمل على معنى لطيف؛ حكمة بارعة أو تشبيه جميل أو خيال بارع، فالمعنى عنصر من أهم عناصره، ولو كان الشعر مجرد ألفاظ موزونة مقفاة فحسب لكان لغواً من الكلام والشعور بالإحساس [٣] .

يقول **الإمام محمد عبده:** "لو سألوا الحقيقة أن تختار لها مكاناً تشرف منه على الكون لما اختارت غير بيت من الشعر، وقديماً قال كعب الأحبار: الشعراء أناجيلهم في صدورهم تنطق ألسنتهم بالحكمة" [٤] .

وقد أحس القدماء كما يحس المحدثون بالقدرة على تذكر الكلام الموزون وترديده دون إرهاق للذاكرة. وعلل مؤرخو الأدب العربي كثرة ما روي لنا من أشعار القدماء، إذا قيس بما روي من نثرهم، بأن حفظ الشعر وتذكره أيسر وأهون. ولعل السر في هذا هو ما في الشعر من انسجام المقاطع وتواليها بحيث تخضع لنظام خاص في هذا التوالي. والكلام الموزون ذو النغم الموسيقي يثير فينا انتباهاً عجيباً ، وذلك لما فيه من توقع لمقاطع خاصة تنسجم مع ما نسمع من مقاطع لتتكون منها جميعاً تلك السلسلة المتصلة

---

[١] ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ٣٦.

[٢] سعد إسماعيل شلبي: الأصول الفنية للشعر الجاهلي : ١١٦.

[٣] محمد عبدالمنعم خفاجي : الحياة الأدبية في العصر الجاهلي: ٢٠٦، ٢٩٨، ٢٠٩.

[٤] المصدر نفسه : ٢٠٩.

الحلقات التي لا تنبو إحدى حلقاتها عن مقاييس الأخرى، والتي تنتهي بعدد معين من المقاطع بأصوات بعينها نسميها القافية[١] .

والقافية لازمة النغم في الشعر فقد قالوا[٢] : "إن لاتفاق القافية وقعاً حسناً في السمع، ولما كانت موسيقى اللفظ عنصراً أساسياً في الشعر كان للقافية شأن لا يستهان به في إكمال هذه الموسيقى" [٣] .

والقافية على العموم هي أواخر بيت الشعر، يقول أبو العلاء المعري[٤] :

وأَعْمارُنا أَبْيَاتُ شِعْرٍ كَأَنَّمَا أَواخِرُهَا لِلْمُنْشِدِينَ قَوَافي

ويقول باحث معاصر: "وأحسب أن هذه الموسيقى التي يشيعها اللفظ في النثر والشعر هي التي جعلتهم يرون الحسن في الكلام ما "قامت صورته بين نظم كأنه نثر ونثر كأنه نظم، يطمع مشهوده بالسمع ويمتنع مقصوده على الطبع" [٥] . وعلى هذا ذهب ابن جني إلى القول : "ألا ترى أن العناية في الشعر إنما هي بالقوافي لأنها المقاطع، وفي السجع كمثل ذلك، نغم، وآخر السجعة والقافية أشرف عندهم من أولها والعناية بها أمس، والحشد عليها أوفى وأهم ، وكذلك كلما تطرف الحرف في القافية ازدادوا عناية به ومحافظة على حكمه..."[٦] .

وقوافي الشعر مستقرة في مكانها محوطة بسياج من الشروط تركها لنا العروضيون، جوهرها أن تكون متحدة في القصيدة كلها من حيث الحركات والسكنات[٧] .

---

[١] إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر : ١٢،١٣.

[٢] ماهر مهدي جلال : جرس الألفاظ : ٢٣٣.

[٣] طه حسين وصحبه : التوجيه الأدبي: ١٤٣.

[٤] أبو العلاء المعري : لزوم مالا يلزم، عني بتصحيحه أمين عبد العزيز، المطبعة الجمالية – مصر، ط١، ١٣٣٣هـ – ١٩١٥م: ٩٤.

[٥] ماهر مهدي جلال : جرس الألفاظ : ٢٣٣، ٢٣٤.

[٦] أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة، صحّحه وضبطه وشرح غريبه: أحمد أمين وأحمد الزين، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت. د.ت: ١٤٥/٢.

[٧] سعد إسماعيل شلبي : الأصول الفنية للشعر الجاهلي : ١٢٠، ١٢١.

والروي ينبغي ألا يتبدل مهما طالت القصيدة، والذي يصل إليه الباحث من هذا كله أن الشعر العربي يهتم بإرضاء الأذن فلا يلقي إليها إلا ما تستريح إليه، فإذا تهاون الشاعر فأخل الوزن، أو تهاون فلم يعط القافية حقها لم يغتفر السامعون ولا النقاد له ذلك، وإذا لم يكن الوزن مؤتلفاً مع اللفظ أو إذا كان منافراً للمعنى بحيث لا تتوافق الموسيقى الداخلية أو ما يمكن أن نطلق عليه الموسيقى النفسية، اعتبروا ذلك من عيوبه، وحذروا من التورط في أمثاله[١] .

"وينبغي أن يأتلف **اللفظ** مع **الوزن**، فإن لم يأتلف اضطربت الموسيقى الداخلية فلم يرض الأذن ، ولن تقبل عليه النفس..." [٢] .

ولم يتهاونوا في شأن القافية، ولعل ذلك لأن طنينها يمتد في الأذن أكثر من أي كلمة أخرى في البيت، وهذا هو السبب في أن قوماً سمعوا قول النابغة:

أَمِنْ آلِ مَيَّةَ رائِحٌ أَوْ مُغْتَدِ ... عَجْلانَ ذا زادٍ وغَيْرَ مُزَوَّدِ

زَعَمَ الْبَوَارِحُ أَنَّ رحلَتَنا غَداً ... وبِذاكَ خَبَّرَنا الغُرابُ الأَسْوَدُ

وقوله:

سَقَطَ النَّصِيفُ ولَمْ تُرِدْ إِسْقاطَهُ ... فَتَناوَلَتْهُ واتَّقَتْنا بِالْيَدِ

بِمُخَضَّبٍ رَخْصٍ كَأَنَّ بَنانَهُ ... عَنَمٌ يَكادُ مِنَ اللَّطافَةِ يُعْقَدُ

فلم يغتفروا له، وكبر عليهم أن يجمع بين الكسر والضم في الروي، واحتالوا للأمر فأوحوا إلى قَيْنَةٍ بغناء الأبيات في حضرته على النحو السابق ففطن إلى خطئه فلم يعد إليه وقال:

---

[١] سعد إسماعيل شلبي: الأصول الفنية للشعر الجاهلي : ١٢١. اعتبروا صوابها (عَدُوا).

[٢] المصدر نفسه: ١١٢.

" قدمت الحجاز وفي شعري صنعة، ورحلت عنها وأنا أشعر الناس" [١] .

وليس النابغة وحده هو الذي تورط في هذا العيب، فهناك آخرون منهم بشر بن أبي خازم الأسدي "قيل لأبي عمرو بن العلاء : هل أقوى من فحول شعراء الجاهلية كما أقوى النابغة ؟ قال: نعم، بشر بن أبي خازم، قال :

أَلَمْ تَرَ أنَّ طُولَ الدَّهْرِ يُبْلِي ... وَيُنْسِي مِثْلَ مَا نُسِيَتْ جُذَامُ

وكانوا قَوْمَنَا فَبَغَوْا عَلَيْنَا ... فَسُقْنَاهُمْ إِلى الْبَلَدِ الشَّآمي

وزاد أبو عبيدة في حديثه: فقال له أخوه سوادة: أكفأت وأسأت، قال: وماذاك؟ قال: قلت "كما نسيت جذام"، ثم قلت: "إلى البلد الشآمي".[٢] وقال الأصمعي: "لما قال بشر هذا البيت قال له سوادة ابن أخيه: أقويت، ففهم فلم يعد"[٣]

---

[١] المرزباني: الموشح : ٤٦. ومصطفى السقا: مختار الشعر الجاهلي: ١/١٨٣، ١٨٥. ميّة: محبوبة الشاعر. يقول لنفسه: أتروح اليوم أم تغتدي غداً؟ أي أتمضي في حال عجلتك زُوِّدتَ أم لم تُزوَّدْ. وأراد بالزاد نظره إلى محبوبته ميّة؛ وقيل: هو التسليم وردُّ التحية والتوديع. البوارح: يريد بها الطيور التي تمر من اليمين إلى اليسار، والعرب تتشاءم بذلك، ومفردها بارح. النصيف: الخمار. بمخضب: يريد بكف مخضب. والخضاب: الحناء ونحوه. البنان: الأصابع، وقيل أطرافها الواحدة (بنانة). العنم: نبات أملس دائم الخضرة يتخذ من أزهاره الخضاب. اللطافة: الرقة. القَيْنَةُ: الأَمَةُ المغنِّيَةُ.

[٢] المصدر نفسه: ٨٠ وابن قتيبة: الشعر والشعراء : ٢٢٧. والمفضل الضبي: المفضليات: ٣٣٧. جذام: قبيلة.

[٣] المفضل الضبي: المفضليات: ٣٣٧. الإقواء: اختلاف الإعراب في القوافي، وهو من عيوب الشعر. انظر ماهر جلال: جرس الألفاظ: ٢٣٤.

الخاتمة

الخاتمة

لقد اجتمعت عوامل عدة لدى عرب الجاهلية، جعلتهم يعيشون في حروب دائبة مستمرة. ومن تلك العوامل تنافسهم على الماء والكلأ، وحياة الفقر والبؤس التي كانوا يعيشونها، وقسوة الصحراء وعنفها وشدتها، والعصبية القبلية والأنفة والحميَّة والإباء، كل هذه العوامل مجتمعةٍ وغيرها أدَّت بهم إلى صراع مرير وحروب دامية، ووقائع عُرفت بأيام العرب مثل حرب (البسوس)، وحرب (داحس والغبراء) وغيرهما.

لقد كان الشاعر الجاهلي لسان حال قبيلته، يذبُّ عنها بلسانه وشعره. كذلك كان الفارس عماد القبيلة وحامل لوائها، للذود عن حماها، أو الأخذ بثأر من قتل منها في ساحات المعارك. مما أدى إلى ظهور الفروسيَّة والفرسان، والبطولة والأبطال، والفتوَّة والفتيان. الذين تدرَّبوا على فنون القتال، وأُشربوا مكارم الأخلاق.

وبينما كان عرب الجاهلية يعيشون في خِضَمِّ معارك ضارية. تغنَّى الشعراء – وخاصة الفرسان منهم – فخراً وحماسة بأمجادهم وبطولاتهم، وبأمجاد وبطولات قبائلهم، وما أحرزوا من انتصارات.

وكان المجتمع القبلي في العصر الجاهلي يقسم إلى ثلاث فئات أو طبقات اجتماعية؛ طبقة السادة الأشراف (الملوك وسراة القوم)، وطبقة العبيد من أبناء الإماء، وطبقة المخلوعين (الصعاليك) الذين خلعتهم قبائلهم بفعل الجرائر والجنايات التي ارتكبوها.

فكان من الشعراء الفرسان، والسادة الأشراف المهلهل بن ربيعة وعمرو بن كلثوم التغلبيَّان. وكان من فرسان الشعراء السود والعبيد عنترة بن شدَّاد العبسيُّ. الذي جعل لنفسه مكانة مرموقة، يشار إليه بالبنان. فأظهر رجولات وبطولات فذَّة لا نزال نقرؤها في بطون الكتب ودواوين الشعر.

أما طبقة المخلوعين (الصَّعاليك)، فقد نبذهم مجتمعهم، أو نبذوا هم مجتمعهم، ولجأوا إلى الصحراء ووحوشها، فوجدوا فيها خير أنيس ومصاحبين يَفْضُلونَ أبناء جلدتهم. واتخذوا الإغارة والقتل والسلب والنهب ديدنهم، لتحقيق العدالة الاجتماعية بين الناس. واشتهروا بالشجاعة وسرعة العَدْوِ والحذر والفطنة والذكاء.

وكان من الشعراء الصعاليك عروة بن الورد الذي يُعَدُّ من أشراف بني عبس. أما الشنفرى وتأبط شراً فهما أيضاً من الشعراء الصعاليك، ولكن الشنفرى يُعَدُّ من أولئك الذين ينتمون إلى طبقة أبناء الإماء.

لقد عُرِفَ عرب الجاهلية بالفصاحة والبلاغة. وكان الشعر أحد فنونها الأدبية، وديوانها الذي سجَّل وقائعها وأمجادها.

ويشير بعض الباحثين والدارسين إلى أن بدايات الشعر الجاهلي وأوليَّته بدأت بسجع الكهان، ثم تطوَّر من السجع إلى الرجز فالقصيد. فكانت هناك المقطَّعات الشعرية القصيرة، وكانت هناك القصائد المستجادة التي عرفت بـ (المعلَّقات) التي استأثرت باهتمام العلماء والباحثين. وكانت القصيدة العربية منذ العصر الجاهلي حتى العصور العباسية تسير على نمط تراثي موروث في شكلها وبنيتها. أما لغتها الشعرية وأسلوبها وألفاظها وتراكيبها ومعانيها، فكانت تراوح بين الوحشية الغريبة وبين الجزالة والسهولة تبعاً للغرض الذي يطرقه الشاعر. أما أخيلتها وصورها الشعرية من كنايات واستعارات وتشابيه وغيرها، فهي تتفاوت من شاعر لآخر، ومن موضوع لآخر أيضاً. والشعر العربي عامة والجاهلي خاصة تحكمه الموسيقى الشعرية (الداخلية والخارجية)، وقواعد الأوزان والقوافي.

فكان شعراء الجاهلية ينظمون قصائدهم على نسق موزون دون معرفة بـ (علم العروض)، إلى أن جاء (الخليل بن أحمد الفراهيدي) وتلميذه (الأخفش) فاستنبطا (علم العروض) وبحوره الستة عشر. حيث وجد (الخليل بن أحمد الفراهيدي) أن الشعراء منذ عصر الجاهلية، كانوا قد نظموا قصائدهم على أوزان هذه البحور، وأنها كانت تدور في فلكها، ولم تشذَّ عنها. [٢]

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

١- القرآن الكريم.

٢- البحتري: أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي (ت ٢٨٤ هـ): الحماسة، ت: لويس شيخو، دار الكتاب العربي - بيروت، (طبعة منقّحة مزيدة)، ط٢، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

٣- البغدادي: عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣هـ): خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة، مطبعة المدني، د.ت.

٤- البكري: أبو عبيدة عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت ٤٨٧هـ): التنبيه على أوهام أبي علي القالي في أماليه (ذيل الأمالي والنوادر)، دار الآفاق الجديدة - بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٥- التبريزي: الإمام الخطيب، أبو زكريا يحيى بن علي بن موسى الشيباني (ت ٥٣٨هـ):

أ- شرح القصائد العشر، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده - ميدان الأزهر بمصر، ط١، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م.

ب- شرح اختيارات المفضل الضبي، ت: فخر الدين قباوه، دار الكتب العلمية - بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٦- الثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت ٤٢٩هـ): ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر للطبع والنشر، مطبعة المدني بالقاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م.

٧- الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (ت ٢٥٥ هـ):

أ- الحيوان، ت: عبد السلام هارون، مطبعة الحلبي بمصر، ط٢، ١٣٦٤هـ.

ب- البيان والتبيين، ت: عبد السلام هارون، دار الجيل - بيروت، د.ت.

٨- الجوهري الفارابي: أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت ٤٠٠هـ): الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية). ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي، ١٩٥٦م.

٩- الأخفش الأصغر: علي بن سليمان النحوي (ت ٣١٥هـ): كتاب الإختيارين، ت: فخر الدين قباوة، مطبعة محمد هاشم الكتبي - دمشق، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

١٠- الخنساء: تماضر بنت عمرو بن الحرث بن الشريد (ت ٢٤هـ):
أ- شعر الخنساء، ت: كرم البستاني، دار المسيرة - بيروت، ط٢، ١٩٨٢م.
ب- ديوان الخنساء، دار صادر - بيروت، د.ت.
١١- الزمخشري: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ):
أ- أساس البلاغة، دار مطابع الشعب - القاهرة، ١٩٦٠م.
ب- أعجب العجب في شرح لامية العرب، ت: محمد إبراهيم حوّر، مكتبة سعد الدين - دمشق، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
ت- أعجب العجب في شرح لامية العرب، دار الورّاقة، ط١، ١٩٦٣م.
١٢- الزوزني: أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين (ت ٤٨٦هـ): شرح المعلقات السبع، دار الجيل - بيروت، ط٢، ١٩٧٢م.
١٣- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن سابق الخضيري (ت ٩١١هـ): المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ت: محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب العربية، ط٤، ١٩٥٨م.
١٤- الشنفرى: ديوان الشنفرى، ت: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
١٥- الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الأموي (ت ٣٥٦هـ).
أ- الأغاني، مصور عن طبعة دار الكتب، مؤسسة جمال للطباعة والنشر - بيروت، د.ت.
ب- الأغاني، شرحه وكتب هوامشه: سمير جابر، دار الكتب العلمية - بيروت، (طبعة جديدة مصحّحة ومنقّحة)، ط٢، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
ت- الأغاني، تحقيق وإشراف لجنة من الأدباء، الدار التونسية للنشر - تونس، دار الثقافة - بيروت، ١٩٨٣م.
١٦- الأصمعي: أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي (ت ٢١٦هـ):
أ - الأصمعيات، ت: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٦٤م.
ب- فحولة الشعراء، ت: محمد عبد المنعم خفاجي وطه محمد الزيني، المطبعة المنيرية بالأزهر - القاهرة، ط١، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م.
١٧- الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ): تاريخ الأمم والملوك، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ١٩٦١م.
١٨- الطفيل بن عوف الغنوي: شعر الطفيل الغنوي، ت: كرنكو، لندن، ١٩٢٧م.

١٩- الأعشى الكبير (ميمون بن قيس): شرح ديوان الأعشى الكبير، ت: حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٤م.

٢٠- الأعلم الشنتمري: يوسف بن سليمان بن عيسى (ت ٤٧٦هـ): أشعار الشعراء الستة الجاهليين، اختيارات من الشعر الجاهلي، دار الآفاق الجديدة - بيروت، ط١، ١٩٧٩م.

٢١- الأفوه الأودي: ديوان الأفوه الأودي (الطرائف الأدبية)، ت: عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية - بيروت، د.ت.

٢٢- الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي (٨١٧هـ):

أ- القاموس المحيط، طبع المكتبة التجارية، د. ت.

ب- القاموس المحيط، ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، (طبعة فنيَّة منقَّحة مفهرسة)، ط٦، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٢٣- القاضي الجرجاني: علي بن عبد العزيز بن الحسن (ت ٣٩٢ هـ): الوساطة بين المتنبي وخصومه، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة، ط٢، ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م.

٢٤- القالي: أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي (ت ٣٥٦هـ):

أ- ذيل الأمالي والنوادر، دار الآفاق الجديدة - بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

ب- الأمالي، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، المكتب التجاري للطباعة والنشر - بيروت، د.ت.

٢٥- الألوسي: محمود شكري الألوسي البغدادي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ت: محمد بهجة الأثري، دار الشرق العربي - بيروت، د.ت.

٢٦- الآمدي البصري: أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى (ت ٣٧٠هـ): الموازنة بين الطائيين، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة - مصر، ط٣، ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م.

٢٧- المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي (ت ٢٨٥هـ): الكامل في اللغة والأدب، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاتة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، د.ت.

٢٨- المرزباني: أبو عبيد الله بن عمران بن موسى (ت ٣٨٤هـ):

أ- معجم الشعراء، ت: د. كرنكو، دار الكتب العلمية - بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٥٩م.

ب- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، ت: علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.

٢٩- المفضل الضبي: أبو العباس المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر (ت ١٦٨هـ): المفضليات، ت: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف المصرية، ط٣، ١٩٦٤م.

٣٠- الميداني: أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري (ت ٥١٨هـ): مجمع الأمثال، مكتبة دار الحياة - بيروت، ١٩٦١م.

٣١- النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، مطابع كوستاتوماس - القاهرة، د.ت.

٣٢- أوس بن حجر: ديوان أوس بن حجر، ت: محمد يوسف نجم، دار صادر - بيروت، ط٣، ١٩٧٩م.

٣٣- إبن أبي الإصبع المصري: عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر (ت ٦٥٤هـ): بديع القرآن، ت: حفني محمد شرف، مطبعة الرسالة - مصر، ط١، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م.

٣٤- إبن الأثير: ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد الموصلي (ت ٦٣٧هـ): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ت: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، مطبعة نهضة مصر - القاهرة، ط ١، ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م.

٣٤- إبن الأثير: أبو الحسن عز الدين علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ): الكامل في التاريخ، دار صادر - دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

٣٥- إبن حبيب: أبو جعفر البغدادي محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي (ت ٢٤٥هـ - ٨٦٠م): المحبر، ت: إيلزة ستير (شتيتر)، مطبعة المعارف العثمانية - حيدر آباد - الدكن - الهند، ١٣٦١هـ - ١٩٤٢م.

٣٦- إبن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ): مقدمة إبن خلدون، ت: عبد الواحد وافي، لجنة البيان العربي، ط٢، د.ت.

٣٧- إبن دريد: أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢١هـ):

أ- جمهرة اللغة، مطبعة دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد، الدكن، ط١، ١٣٤٥هـ.

ب- الإشتقاق، ت: عبد السلام هارون، مؤسسة الخانجي بمصر، ١٣٧٨ - ١٩٥٨م.

٣٨- إبن رشيق: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت ٤٥٦هـ): العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده.

أ- ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل - بيروت، ط٤، ١٩٧٢م.

ب- دار الجيل - بيروت، ط٥، ١٩٨١م.

٣٩- إبن سلام الجمحي: أبو عبد الله محمد بن سلام (ت ٢٣١هـ):
أ- طبقات فحول الشعراء، ت: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني - القاهرة، ط٢، د.ت.
ب- طبقات الشعراء مع مقدمة تحليلية للكتاب، ودراسة نقدية منذ الجاهلية إلى عصر إبن سلام، إعداد: اللجنة الجامعية للتراث العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت، د.ت.

٤٠- إبن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ - ٨٩٩م):
أ- الشعر والشعراء، ت: مفيد قميحة ونعيم زرزور، دار الكتب العلمية - بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
ب- الشعر والشعراء، ت: أحمد محمد شاكر، دار المعارف - القاهرة، د.ت.
ت- الشعر والشعراء، ت: الشيخ حسن تميم والشيخ محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم - بيروت، ط٥، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
ث- عيون الأخبار، المؤسسة المصرية للطباعة، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.

٤١- إبن طباطبا العلوي: أبو الحسن محمد بن أحمد (ت ٣٢٢هـ): عيار الشعر، ت: طه الحاجري ومحمد زغلول سلام، شركة فن الطباعة - القاهرة، ١٩٥٦م.

٤٢- إبن طيفور: أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور (ت ٢٨٠هـ): المنثور والمنظوم (القصائد المفردات التي لا مثل لها)، ت: محسن غياض وتراث عويدات، بيروت، ١٩٧٧م.

٤٣- إبن عبد ربه الأندلسي: أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد القرطبي (ت ٣٢٨هـ): العقد الفريد.
أ- ت: أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة، ١٩٤٦م.
ب- ت: عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، د.ت.

٤٤- إبن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت ٧١١هـ): لسان العرب:
أ- دار صادر - بيروت، ط١، د.ت.
ب- طبعة بولاق، ١٣٠١هـ.

٤٥- إبن الأنباري: أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨هـ): شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ت: عبد السلام هارون، دار المعارف - القاهرة، ١٩٦٣م.

٤٦- أبو تمام: حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٣١هـ):

أ- كتاب الوحشيات (الحماسة الصغرى)، ت: عبد العزيز الميمني الراجكوتي، وزاد في حواشيه: محمود محمد شاكر، دار المعارف، ١٩٦٣م.

ب- ديوان الحماسة، شرح التبريزي، دار القلم - بيروت، د.ت.

ت- ديوان الحماسة، شرح المرزوقي: أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن (ت ٤٢١هـ)، ت: أحمد أمين وعبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة، ط٢، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

٤٧- أبو حيان التوحيدي: علي بن محمد بن العباس (ت ٤٠٠هـ): الإمتاع والمؤانسة، صحّحه وضبطه وشرح غريبه: أحمد أمين وأحمد الزين، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت، د. ت.

٤٨- أبو الحسن علي بن محمد بن المطهر العدوي "الشمشاطي" (القرن الرابع الهجري): الأنوار ومحاسن الأشعار، ت: محمد يوسف، ١٩٧٧م.

٤٩- أبو زيد القرشي: محمد بن أبي الخطاب (ت ٦٢٦هـ): جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، ت: علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة - القاهرة، د.ت.

٥٠- أبو عبيدة: معمر بن المثنى التيمي (ت ٢٠٩):

أ- النقائض، طبعة أوروبا، نسخة مصورة عنها، مكتبة المثنى - بغداد، د.ت.

ب- كتاب أيام العرب قبل الإسلام لأبي عبيدة، دراسة مقارنة لملاحم الأيام العربية، جمع وتحقيق ودراسة: عادل جاسم البياتي، مكتبة النهضة العربية - بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

ت- كتاب أيام العرب قبل الإسلام، ت: عادل جاسم البياتي، دار الجاحظ للطباعة والنشر - بغداد، ١٩٧٦م.

٥١- أبو العلاء المعري: أحمد بن عبد الله (ت ٤٤٩هـ): لزوم ما لا يلزم، عني بتصحيحه: أمين عبد العزيز، المطبعة الجمالية - مصر، ط١، ١٣٣٣هـ - ١٩١٥م.

٥٢- أبو هلال العسكري: الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥هـ): الصناعتين، ت: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة البابي الحلبي، ١٩٧١م.

٥٣- بشر بن أبي خازم: ديوان بشر بن أبي خازم، ت: عزة حسن، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم - دمشق، ١٣٧٩هـ -١٩٦٠م.

٥٤- تأبط شراً: ديوان تأبط شراً وأخباره، ت: علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٩٨٤م.

٥٥- تميم بن أبي مقبل: ديوان تميم بن أبي مقبل، شرح: مجيد طراد، دال الجيل - بيروت، ١٩٩٨م.

٥٦- حاتم الطائي: ديوان حاتم الطائي، ت: كرم البستاني، مكتبة دار صادر - بيروت، ١٩٥٣م.

٥٧- حازم القرطاجي: أبو الحسن حازم بن محمد بن حسن (ت ٦٨٤هـ): منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط٢، ١٩٨١م.

٥٨- خير الدين الزركلي: الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، مصر، ط٥، ١٩٥٤-١٩٥٩م.

٥٩- زهير بن أبي سلمى: ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعة أبي العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني (ثعلب)، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، ١٣٦٣هـ- ١٩٤٤م.

٦٠ زيد الخيل الطائي: شعر زيد الخيل الطائي، جمع ودراسة وتحقيق: أحمد مختار البزرة، دار المأمون للتراث - دمشق، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٦١- سلامة بن جندل: ديوان سلامة بن جندل، ت: فخر الدين قباوة، المكتبة العربية - حلب، ١٩٦٨م.

٦٢- صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري (ت ٦٥٩هـ): الحماسة البصرية- ت: مختار الدين أحمد، عالم الكتب - بيروت، ط٣، ١٩٨٣م.

٦٣- طرفة بن العبد: شرح ديوان طرفة بن العبد، قدّم له وعلّق حواشيه: سيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتب، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت، د.ت.

٦٤- عامر بن الطفيل: ديوان عامر بن الطفيل، برواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، ت: كرم البستاني، دار صادر - بيروت، ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م.

٦٥- عروة بن الورد: ديوان عروة بن الورد، شرح ابن السِّكِّيت أبي يوسف، يعقوب بن اسحق (ت ٢٤٤هـ)، ت: عبد المعين الملوحي، مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي - دمشق، د.ت.

٦٦- علقمة الفحل: ديوان علقمة الفحل، ت: لطفي الصَّقّال ودريّة الخطيب، وراجعه: الدكتور فخر الدين قباوة، دار الكتاب العربي بحلب، ط ١، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

٦٧- عمرو بن كلثوم: ديوان عمرو بن كلثوم، دار صادر للطباعة والنشر - بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

٦٨- عنترة بن شداد: ديوان عنترة.
أ- ت: فوزي عطوي، دار صعب - بيروت، ط٣، ١٩٨٠م.
ب- ت: محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي - بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.
٦٩ قدامة بن جعفر: أبو الفرج (ت ٣٣٧هـ):
أ- نقد الشعر، ت: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد، ١٩٦٣م.
ب- نقد النثر، ت: طه حسين وعبد الحميد العبادي، القاهرة، ١٩٣٨م.
٧٠- قيس بن الخطيم: ديوان قيس بن الخطيم:
أ- ت: أحمد مطلوب وإبراهيم السامرائي، بغداد، ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م.
ب- ت: ناصر الدين الأسد، مكتبة العروبة بمصر، ط١، ١٩٦٢م.
٧١- كعب بن زهير: شرح ديوان كعب بن زهير، صنعة الإمام أبي سعيد الحسن بن الحسين ابن عبيد الله السكريُّ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م، الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
٧٢- لامية العرب:
أ- لامية العرب "نشيد الصحراء" لشاعر الأزد (الشنفرى)، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت، ١٩٧٤م.
ب- لامية العرب أو نشيد الصحراء، ت: محمد بديع شرف، مكتبة الحياة - بيروت، ١٩٦٤م.
٧٣- لقيط بن يعمر: ديوان لقيط بن يعمر، ت: عبد المعيد خان، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٩٨٧م.
٧٤- ياقوت الحموي: أبو عبد الله، شهاب الدين، ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي البغدادي (ت ٦٢٦هـ): معجم البلدان، ت: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٩٩٠.

ثانياً: المراجع

١- إبراهيم عبد الرحمن محمد: الشعر الجاهلي - قضاياه الفنية والموضوعية - دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
٢- إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ٣، ١٩٦٥م.
٣- إحسان النص: العصبية وأثرها في الشعر الأموي، دار اليقظة - دمشق، ١٩٦٣م.

٤- أحمد أبو حاقة: فن الشعر الملحمي ومظاهره عند العرب، دار الشرق الجديد - بيروت، ١٩٦٠م.

٥- أحمد الحوفي: البطولة والأبطال، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

٦- أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة - القاهرة، ط ٢٤، (مزيدة ومنقحة)، د.ت.

٧- أحمد إسماعيل النعيمي: الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، دار سينا للنشر - القاهرة، ط ١، ١٩٩٥م.

٨- أحمد أمين:

أ- الصعلكة والفتوة في الإسلام، دار المعارف - القاهرة، ط ٢، ١٩٥١م.

ب- النقد الأدبي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ٤، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

٩- أحمد الشايب:

أ- تاريخ النقائض في الشعر العربي، مكتبة النهضة المصرية، ط ٣، ١٩٦٦م.

ب- تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني، مكتبة النهضة المصرية، ط ٤، ١٩٦٦م.

١٠- أدونيس (علي أحمد سعيد): مقدمة للشعر العربي، دار العودة - بيروت، ط ٣، ١٩٧٩م.

١١- أمجد الطرابلسي: نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغة والأدب، دار الفتح - دمشق، د.ت.

١٢- بدوي طبانة: معلقات العرب، دار المريخ للنشر - الرياض، ١٩٨٤م.

١٣- بشرى الخطيب: الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام، كلية الآداب - جامعة بغداد، د.ت.

١٤- بطرس البستاني:

أ- الشعراء الفرسان، دار المكشوف - بيروت، ط ٢، ١٩٦٦م.

ب- أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، حياتهم، آثارهم، نقد آثارهم، دار مارون عبود، توزيع دار الجيل - بيروت، ١٩٧٩م.

١٥- بهيج مجيد القنطار: الطبيعتان الحية والصامتة في الشعر الجاهلي، دار الآفاق التجارية - بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٦- جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، دار الهلال - مصر، ١٩٥٧م.

١٧- جواد علي:
أ- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين - بيروت، ط ٣، ١٩٨٠م.
ب- تاريخ العرب قبل الإسلام، المجمع العلمي العراقي - بغداد، ١٩٥٠ - ١٩٥٨م.
١٨- حسن السندوبي: أخبار المراقسة وأشعارهم في الجاهلية وصدر الإسلام، المكتبة الثقافية - بيروت، ط ٦، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
١٩- حنا الفاخوري:
أ- الفخر والحماسة، سلسلة فنون الأدب العربي، دار المعارف، د.ت.
ب- تاريخ الأدب العربي، المكتبة البوليسية - بيروت، ط٢، د.ت.
٢٠- زكي المحاسني: شعر الحرب في أدب العرب في العصرين الأموي والعباسي إلى عهد سيف الدولة، دار المعارف بمصر، ١٩٦١م.
٢١- سعد إسماعيل شلبي: الأصول الفنية للشعر الجاهلي، مكتبة غريب - الفجالة - القاهرة، ط ٢، (مزيدة ومنقحة)، د.ت.
٢٢- سعد الدين محمد الجيزاوي: الملحمة في الشعر العربي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر - القاهرة، د.ت.
٢٣- سعد زغلول عبد الحميد: في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النهضة العربية - بيروت، ١٩٧٦م.
٢٤- شاكر الجودي: إلمامة بالرجز في الجاهلية وصدر الإسلام، بغداد، ١٩٦٦م.
٢٥- شكري عياد: البطل في الأدب والأساطير، دار المعارف بمصر، ط ١، ١٩٥٩م.
٢٦- شفيق الكمالي: الشعر عند البدو، مطبعة الإرشاد - بغداد، د.ت.
٢٧- شوقي ضيف:
أ- العصر الجاهلي، دار المعارف بمصر - القاهرة، ط ٥، د.ت.
ب- الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور، دار المعارف - القاهرة، ط ٢، د.ت.
ت- البطولة في الشعر العربي، دار المعارف بمصر، سلسلة اقرأ، عدد يوليو، ١٩٧٠م.
ث- الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف بمصر، ط ٧، ١٩٦٩م.
٢٨- طه حسين:
أ- حديث الأربعاء، دار المعارف - القاهرة، ١٩٨٢م.
ب- في الأدب الجاهلي، دار المعارف بمصر، ١٩٦٨م.

ت- التوجيه الأدبي: طه حسين وأحمد أمين وعبد الوهاب عزام ومحمد عوض محمد، المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٩٥٢م.

٢٩- عادل البياتي: الملاحم العربية، مطبعة دار الجاحظ - بغداد، ١٩٧٦م.

٣٠- عبد الحميد المسلوت: الأدب العربي بين الجاهلية والإسلام، الجامعة الليبية - طرابلس، ١٩٧٣م.

٣١- عبد الحميد يونس: الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي، كلية الآداب - جامعة القاهرة، ١٩٥٦م.

٣٢- عبد العزيز الميمني: الطرائف الأدبية، دار الكتب العلمية - بيروت، د.ت.

٣٣- عبد الله الطيب المجذوب: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، الدار السودانية - الخرطوم، ط ٢، ١٩٧٠م.

٣٤- عبد الكريم العلاف: الطرب عند العرب، مطبعة أسعد - بغداد، ط ٢، ١٩٦٣م.

٣٥- عبد المعين الملوحي: المنصفات، مطابع وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي - دمشق، ١٩٦٧م.

٣٦- عفيف عبد الرحمن: الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي، دار الأندلس - بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٣٧- علي الجندي: شعر الحرب في العصر الجاهلي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢، ١٩٦٣م.

٣٨- علي مظهر: العصبية عند العرب حتى زوال بني أمية، مصر، ١٩٢٤م.

٣٩- عمر الدسوقي: الفتوة عند العرب أو أحاديث الفروسية والمثل العليا، مكتبة نهضة مصر - الفجالة، د.ت.

٦١٣٩٣٧.

٤٠- عمر فروخ:

أ- حضارة العرب، دار العلم للملايين - بيروت، ط ١، ١٩٦٦م.

ب- تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين - بيروت، ط ٥، ١٩٨٤م.

٤١- فيليب حتي: تاريخ العرب، مطول، دار الكشاف - بيروت، ط ٤، ١٩٦٥م.

٤٢- الفيومي: المصباح المنير، المكتبة العلمية - بيروت، د.ت.

٤٣- لويس شيخو: شعراء النصرانية، دار المشرق - بيروت، ١٩٧٠م.

٤٤- مارون عبود: أدب العرب، دار الثقافة - بيروت، ط٣، ١٩٧٨ - ١٩٧٩م.

٤٥- ماهر مهدي جلال: جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، دار الرشيد للنشر، سلسلة دراسات (١٩٥)، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٠م.

٤٦- محمد بركات حمدي أبو علي: أبو تمام بين أشعاره وحماسته، مؤسسة الخافقين ومكتبتها - دمشق، ط١، ١٩٨٢م.

٤٧- محمد جميل شلش: الحماسة في شعر الشريف الرضي، بغداد، ط٢، ١٩٨٥م.

٤٨- محمد زغلول سلام: مدخل إلى الشعر الجاهلي - دراسة في البيئة والشعر، منشأة المعارف - الإسكندرية، ١٩٩٠م.

٤٩- محمد عفيفي مطر: شروخ في مرآة الأسلاف، دار الرشيد - بغداد، ١٩٨٢م.

٥٠- محمد العيد الخطراوي: شعر الحرب في الجاهلية عند الأوس والخزرج، دار القلم - دمشق، بيروت، ط ١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٥١- محمد عبد المنعم خفاجي:

أ- الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، دار الجيل - بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

ب- الشعر الجاهلي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ٣، ١٩٨٠م.

٥٢- محمد النويهي: الشعر الجاهلي، منهج في دراسته وتقويمه، الدار القومية للطباعة والنشر - بيروت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٥٣- مصطفى السقا: مختار الشعر الجاهلي، المكتبة الشعبية، ط ٣، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

٥٤- مصطفى عبد اللطيف السحرتي: النقد الأدبي من خلال تجاربي، مطبعة لجنة البيان العربي، ١٩٦٢م.

٥٥- مصطفى ناصف: قراءة ثانية لشعرنا القديم، دار لبنان - بيروت، د.ت.

٥٦- مطاع صفدي وإيليًا حاوي: موسوعة الشعر العربي - الشعر الجاهلي - ت: أحمد قدامة، شركة خياط للكتب والنشر - بيروت، ١٩٧٤م.

٥٧- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية المصري - القاهرة، ط ٢، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

٥٨- مي يوسف خليف: القصيدة الجاهلية في المفضليات، دراسة موضوعية وفنية، مكتبة غريب - الفجالة، د.ت.

٥٩- ناهد أحمد السيد الشعراوي: عناصر الإبداع الفني في شعر عنترة، دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية، ١٩٩٦م.

٦٠- نجيب محمد البهبيتي: تاريخ الشعر العربي حتى أواخر القرن الثالث الهجري، دار الفكر، مكتبة الخانجي - بيروت، د.ت.

٦١- نوري حمودي القيسي:

أ- الفروسية في الشعر الجاهلي، دار التضامن - بغداد، منشورات مكتبة النهضة - بغداد، ط ١، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

ب- البطل في التراث، مطبعة المجمع العلمي العراقي - بغداد، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
ت- البطل في التراث، سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد، ط ١، ١٩٨٨م.
ث- شعر الحرب حتى القرن الأول الهجري، مكتبة النهضة العربية - بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٦٢- يحيى الجبوري: الشعر الجاهلي، خصائصه وفنونه، دار التربية - بغداد، د.ت.
٦٣- يوسف خليف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف بمصر - القاهرة، ط ٢، ١٩٦٦م.
٦٤- يوسف اليوسف: مقالات في الشعر الجاهلي، دار الحقائق - بيروت، ط ٤، ١٩٨٥م.

ثالثاً: الدوريات والبحوث

١- إحسان هندي: مكانة السيف عند العرب، مجلة الفيصل - الرياض، إبريل، ١٩٨٠م.
٢- عبد الجبار المطلبي: في الشعر العربي القديم، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، نيسان، ١٩٦٤م.
٣- عوض الغباري: شعر الحماسة في الأدب العربي، الطليعة الأدبية، العدد السابع، ١٩٨٥م.
٤- مطاع الصفدي: قراءة ثانية للشعر الجاهلي، الأصالة والممكن، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي - بيروت، العدد العاشر، ١٩٨١م.
٥- محمد مهدي المجذوب: البطولة في الأدب الجاهلي، مجلة الآداب - بيروت، السنة السابعة، العدد الأول، كانون الثاني، ١٩٥٩م.
٦- محمود عبد الله الجادر: مدخل إلى قصيدة الحرب، مجلة آفاق عربية، نيسان، ١٩٨٢م.
٧- ناصر الدين الأسد: البطولة كما يصورها الأدب الجاهلي، مجلة الآداب - بيروت، السنة السابعة، العدد الأول، كانون الثاني، ١٩٥٩م.

رابعاً: الرسائل الجامعية

١- حنان أحمد الحتاملة: شعر الفخر عند الشعراء الفرسان في العصر الجاهلي - دراسة تحليلية، ماجستير، كلية الآداب - جامعة اليرموك، إربد - الأردن، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
٢- مؤيد محمد صالح اليوزبكي: البطولة في الشعر العربي قبل الإسلام، ماجستير، جامعة الموصل، ١٩٨٤م.
٣- وفاء فهمي السنديوني: شعر طيء في الجاهلية والإسلام حتى نهاية القرن الأول، دكتوراه - جامعة القاهرة، ١٩٨١م.

خامساً: الكتب المترجمة والمعربة

١- بلاشير: تاريخ الأدب العربي، ترجمة: إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، ١٩٩٢م.

٢- دائرة المعارف الإسلامية، تصدرها باللغة العربية، لجنة الترجمة: أحمد الشناوي وزميلاه - القاهرة، ١٩٣٣م.

٣- ديورانت وليم جيمس: قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، مصر، ط٢، ١٩٦٤م.

٤- كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية: عبد الحليم النجار، دار المعارف بمصر - القاهرة، ط٣، د.ت.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	ت
شكر وتقدير	ث
السيرة الذاتية والمؤهلات العلمية	ج
أهمية البحث وأسباب اختياره	ج
منهج البحث	خ
خطة البحث	ح - ذ
المقدمة	ر - ش
الفصل الأول: مؤثرات البطولة عند العرب	٢
أولاً: أيام العرب في الجاهلية	٢
ثانياً: طبيعة الحياة العربية الداعية إلى الحرب	٢
مدلول كلمة يوم	٣
بواعث الحرب في الجاهلية	١٢
ثالثاً: العرب أمة حرب	١٦
رابعاً: الحرب وعدتها	٢٥
الفصل الثاني: البطل والبطولة	٣٥
أولاً: البطل في اللغة	٣٥
ثانياً: مكانة البطل وقدسيته	٣٦
ثالثاً: سمات البطل	٤٢
رابعاً: أنواع البطولة:	٤٦
(١) البطولات الحربية	٤٦
(٢) بطولة النفس	٤٦

الموضوع	الصفحة
(٢) عنترة بن شداد:	١٠٩
(أ) نسبه وكنيته	١٠٩
(ب) منزلته الشعرية	١١٠
(ت) شجاعته وبطولاته وبلاؤه في القتال	١١١
(ث) أغراض شعره وآثاره	١١٣
(ج) موضوعات شعره:	١١٣
(١) البطولة الحربية ووصف المعارك والأسلحة	١١٣
(٢) الغزل	١١٨
(ح) سمات معلقة عنترة	١٢١
(٣) عمرو بن كلثوم:	١٢٢
(أ) نسبه وكنيته	١٢٢
(ب) منزلته الشعرية	١٢٤
(ت) أغراض معلقة عمرو بن كلثوم	١٢٦
(ث) شعر عمرو بن كلثوم	١٢٩
الفصل الخامس: نماذج من الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي	١٣٦
(١) الشنفرى:	١٣٦
(أ) اسمه ونسبه وتنشأته	١٣٦
(ب) وفاته	١٤٢
(ت) نماذج من شعره	١٤٣
(٢) عروة بن الورد:	١٦٠
(أ) نسبه وأخباره	١٦٠
(ب) مكانته وشرفه وأقوال الثناء فيه	١٦١
(ت) نماذج من شعره	١٦٢
(٣) تأبط شراً:	١٦٦
(أ) اسمه ونسبه	١٦٦

الموضوع	الصفحة
(ب) صفاته	١٧٠
(ت) سمات البطولة عند تأبط شراً	١٧١
(ث) الصفات المذمومة والسيئة عند تأبط شراً	١٧١
الفصل السادس: دراسة في الخصائص الفنية	١٧٤
(١) الشكل والبناء (وحدة الموضوع)	١٧٤
(٢) اللغة الشعرية والأسلوب (الألفاظ والتراكيب والمعاني)	١٨٥
(٣) الأخيلة والصور الشعرية	١٩٩
(٤) الموسيقى الشعرية	٢٠١
(٥) الأوزان والقوافي	٢١٦
الخاتمة	٢٢٢
المصادر والمراجع	٢٢٤
فهرس المحتويات	٢٣٨